إقرأ في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العدد

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله
ابن خالد آل خليفة

عزيزى القارىء

للمرة الثالثة نلتقى على صفحات « الوثيقة » وهو لقاء عزيز علينا نرجو ان يستمر وان يطول به العهد . ونرجو ايضا ان يكون عزيزا عليك . لأن معنى ذلك ان « الوثيقة » سدت فراغا لديك . وادت دورا اردنا له ان يكون ذا فائدة لك ولأجيالنا القادمة .

سوف تلاحظ ـ عزيزى القارىء ـ فى هذا العدد أكثر من وقفة للتعليق او التصويب او المناقشة . خاصة حول بعض الحوادث المحورية التى وقعت بالمنطقة . وذلك لا يأتى من جانبنا عبثا . وانما يأتى من منطلق نحرص على تعميقه والتركيز عليه لعدة اسباب منها :

ان كتبا بذاتها كانت ومازالت هى المرجع الوحيد لتاريخ المنطقة العربية عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة هذه الكتب وسواء كان مؤلفها عربيا او كان اجنبيا اصبحت ولتواتر الاعتماد عليها تكاد تكون هى فصل الخطاب فيما عرضت او تعرضت له من احداث ، لدرجة ان بعض المؤلفين المحدثين اصبحوا ينقلون ما جاء فى هذه الكتب حول هذه الأحداث وكأنه واقع لا يحتاج الى دليل ، واخذ جيل ينقل عن جيل . وكأن هذه الكتب أساس لا يقبل النقاش ولا يجوز عليه التعديل . ولما كنا نعتقد ـ وكما قلنا فى مقدمة العدد الثانى ـ ان الكتابة التاريخية لا تعرف شيئا اسمه فصل الخطاب فاننا نتمنى للجهود التى تتصدى الآن لاعادة كتابة تاريخ المنطقة

العربية على اسس موضوعية ان تخضع هذه الكتب والآراء التى تواترت عنها للتحليل التاريخى كغيرها سواء بسواء .

والسبب الثانى : هو ان الجيل الحالى لم يعد يرضيه من الكتابة التاريخية مجرد السرد الذى يفرز فى النهاية قصة قد تكون مسطحة . وانما هو يتعامل مع الكلمة المكتوبة باسلوب جديد . واذا كان السرد التاريخى مقبولا بل مطلوبا فى سنين مضت الا انه لم يعد يشبع اليوم نهم القارىء للمعرفة . ومن هنا نستطيع ان نقول دون مغالاة ان المدرسة التحليلية فى كتابة التاريخ تشهد فى هذا الزمن عصرها الذهبى . ان قارىء الأمس كان يكتفى بمعرفة ماذا حدث . اما قارىء اليوم فيريد ان يعرف ماذا حدث ولماذا حدث وكيف حدث . وقارىء الأمس كان يكتفى من الكتابة التاريخية بالقاء الأضواء على تاريخ منطقة ما وحسب . الا ان طبيعة العصر وما خلقته من ترابط يكاد يكون عضويا بين القارات . وما اتسمت به من تشابك للأحداث وتأثيراتها ينتقل صداها من هنا لهناك . كل ذلك جعل قارىء اليوم لا يكتفى بالنظرة المحلية فى كتابة التاريخ وانما يريد ان يعرف كل الاحداث التى اثرت وموازين القوى التى شكلت واقعا معينا ترك بلاشك تأثيراته على الأحداث فى فترة ما من التاريخ . فقارىء الأمس كان اقليميا أما قارىء اليوم فهو عالمى النظرة .

ثالثا :

ان جيلا من الرواد سواء من كتاب الرحلات او من الموظفين لدى بعض القوى الاجنبية التى هيمنت وقتا ما على الأمور فى الشرق او من المؤرخين سواء العرب او الاجانب كل هؤلاء ادوا دورا كبيرا فتركوا لنا بكتاباتهم اساسا يمكن على ضوئه تبين ملامح الأحداث . ولكن على الرغم من الجهد الكبير الذى بذلوه والأثر المشكور الذى تركوه الا انهم كانوا اما موفدين من قبل جهة ما لنقل صورة مفصلة عن منطقة بعينها . واما كانوا واقعين تحت تأثير عقيدة دينية او سياسية معينة. واما انطلقوا بدافع من انفسهم وبهدف تقديم ما

كتبوه هدية لحاكم ما كى يضيفه الى كنوز مكتبته . وايا كان الدافع وايا كان الهدف فان ما تركوه جاء مشوبا بتأثيرات ما كانـوا هم أنفسهم خاضعين لها بطريقة مباشرة او غير مباشرة .. لذلك فان ما اصطلح على تسميته فى التاريخ بالكتـاب « العمدة » يجب ونحن نعيد كتابة تاريخ هذه المنطقة ان نخضعه كغيره للتحليل العلمى الذى يجرد الأحداث مما شابها او ينظر اليه على ضوء المؤثـرات التى كانت تمتطى قلم كاتبه .

رابعا : ان بعض الموظفين الاجانب خاصة فى القرون السادس عشر والسـابـع عشر والثـامن عشر من الذين تعتبـر رسـائلهم لحكوماتهم مرجعا هاما لتاريخ المنطقة الآن هؤلاء الموظفون فى ذلك الزمن لم يكونوا يعرفون العربية وهم ان عرفوا منها شيئا فقد كان بسيطا للغاية كما ان العرب انفسهم لم يكونوا يعرفـون اللغات الاوروبية ومن هنا فقد جاءت التقارير التى ارسلها هؤلاء ـ وكما لا حظنا من قراءتنا لاعداد كبيرة من الوثائق ـ مشوبه بالكثير من الخلط وخاصة فى التقارير التى لخصـوا فيها لحكـوماتهم بعض الظروف او الاحـداث التـاريخيـة التى مضت والتى جـمعـوا معلوماتهم عنها عن طريق السماع المشوه من شخص لآخر وعبر لغة غير مفهـومة لهم . أمـا التقاريـر التى ارسلوها عن أوضـاع شاهدوها او عاصروها فقد تكون أقرب الى الصواب وان لم تخل من التأثيرات التى كانت تحوط كاتبها والتى اشرنا اليها فيما سبق .

لكل ذلك آثرنا ـ عزيزى القارىء ـ وكما قلنا لك فى بداية هـذا الحديث ان نتوقف معلقين او مصححين او مناقشين وان نعرض بقدر المستطاع لأكثر من رأى حول الموضوع الواحد . فاتحين بذلك بابا للحوار فالحوار فى رأينا وفى المسائل التاريخية يفتح نوافذ على آفاق لم تكن معروفة من قبل . ويثير قضايا ربما ضاعت بين السطور فى ثنايا السرد او الرواية . ومعتمدين فى تعليقاتنا على ما اتيح لنا الاطلاع عليه من وثائق فالوثيقة أى وثيقة ستظل أقرب المصادر الى الحقيقة . وان كانت هى الاخرى عرضة لأن تنسخ او تعدل ـ ولكن

فى حالات قليلة ـ بوثيقة اخرى قد يتم الكشف عنها او العثور عليها .

الحوار والتمحيص واعادة النظر هى اذن غايتنا فيما نكتبه او فيما نعرضه . فمن حصاد كل ذلك يمكن لمن يتصدى للكتابة التاريخية عن البحرين او الخليج او المنطقة العربية ان يخطو فوق أرض صلبة وان يقدم شيئا جديرا بالتسجيل وجديرا بأن يترك للأجيال القادمة . ومن أجل هذا الهدف ذاته فان مركز الوثائق التاريخية بديوان سمو ولى عهد البحرين وبالتعاون مع وزارة الاعلام يعدان لمؤتمر تاريخى تحت اسم « البحرين عبر التاريخ » سوف تشهده ارض البحرين ابان شهر ديسمبر من هذا العام . وقد وجهت الدعوة لاكثر من مائة مؤرخ عربى وأجنبى ممن لهم اهتمام بالدراسات التاريخية عن البحرين والمنطقة وسوف يحضر هؤلاء العلماء وهم على أعلى مستوى يصحبون معهم ابحاثهم التى تغطى فترة او اخرى من فترات التاريخ التى نسجها الزمن فى سماء هذه الارض . وقد حرص اسلوب الاعداد للمؤتمر على ان يكون الحوار وتبادل الرأى هو السمة التى تسود جلساته حتى تأتى الحصيلة خصبة بفضل النقاش وبفضل ما لابد ان يتمخض عنه من اضافات حتى يتفجر من كل ذلك جو من الحديث يكون نبعا لعملية التأريخ التى تشهد فى هذه الآونة نشاطا ملحوظا .

وسوف نحاول بعون الله ان نعرض لهذه الدراسات فى الاعداد القادمة من « الوثيقة » حتى تكون بين يدى القارىء والدارس والمؤرخ

عزيزى القارىء :

هذه هى بعض ملامح المرحلة الحالية من الطريق الذى سرناه معا منذ العدد الاول من مجلتك « الوثيقة » وان كان لا يفوتنا ان نؤكد ان حسن استقبالك للاعداد الماضية وتلهفك على اقتنائها كان وسيظل دافعا لنا الى مزيد من الحرص على ان نحشد فى الاعداد القادمة مزيدا من الجهد كى تظل « الوثيقة » دائما عند حسن الظن بها والله من وراء القصد .

تعليق على مقالات «البحرين قديماً»

رزق وصل للزيارة بدعوة

قصة فريق رجال .. دخلت في

العثور على أساسات قلعة قديمة تحت جامع القلعة بالرفا

رفض محمد بن خليفه تسليم ابنه وهاجر آل خليفه إلى قطر

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله
إبن خالد آل خليفه

ـديثاً» بجريـدة الوطـن الكويتيّة

ـعد وفاة مؤسسّها الشيخ محمّد بن خليفه

ـسطورة وبالغ فيها الخيال البدوي

اتحفنا الأخ الفاضل سيف مرزوق الشملان بمقالاته القيمة التي نشرها في ستة اعداد من جريدة (الوطن) الكويتية الغراء بدءا بالعدد الصادر في ١٠ مايو ١٩٨٢ م وذلك بمناسبة زيارة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين لأخيه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ولبلده الثاني الكويت تحت عنوان (البحرين قديما وحديثا) واننى اشكر الأخ الفاضل على الجهد الذي بذله وهو الباحث المدقق المتتبع لتاريخ منطقة الخليج العربي والمثابر على نشر خبايا هذه المنطقة وما اهمله التاريخ من حوادثها فله منى جزيل الشكر ووافر الاحترام ونحن في انتظار المزيد من مؤرخنا الكبير .

وعندما قرأت هذه المقالات خطرت لى بعض الملاحظات على ما كتب انشرها فيما يلي زيادة للفائدة والله ولي التوفيق .

ليس لى أي تعليق او ملاحظة على المقال الاول المنشور بتاريخ ١٠ مايو ١٩٨٢ بعنوان (مشاهدات وذكريات) . ولا المقال الثانى المنشور بتاريخ ١١ مايو ١٩٨٢ بعنوان (دلمون ارض الحياة) الاسم القديم للبحرين .

ولكن ملاحظاتى تبدأ من المقال الثالث المنشور في يوم الاربعاء ١٢ مايو ١٩٨٢ تحت عنوان (آل صباح وآل خليفة أسسا معا مدينة الكويت بعد هجرتهما من نجد) .

ان اقرب تاريخ لهجرة العتوب من الهدار الى سواحل الخليج العربي هو العقد التاسع من القرن الحادى عشر الهجرى اي ان هجرتهم كانت قبل اكثر من ثلاثة قرون من الان .. ولنضع سنة ١٠٨٢ هجرية/ ١٦٧١ م بداية لهذه الهجرة التى تمت في زمن حكم (براك بن اعريعر) للاحساء وفتح القطيف عام ١٠٨٢ هجرية حيث ان الاخبار التى تناقلها الخلف عن السلف تؤكد اشتراك العتوب في هذا الفتح وان براك اعطى للشيخ (خليفة بن محمد) جد آل خليفة نخلا في القطيف مكافأة لهم لا يزال يتوارثه الخلف عن السلف . واذا كان المهاجرون الاوائل هم الشيخ خليفة جد آل خليفة والشيخ صباح جد آل صباح والشيخ عذبى جد الجلاهمة وكذلك آل بنعلي واجداد العشائر العتبية التى هاجرت معهم فمن المؤكد ان المهاجرين الاوائل كانت اعمارهم لا تقل عن ٢٠ سنة او اكثر ولقد كانت عزوتهم في بدء الهجرة واحدة هى (الاد سالم) اي اولاد سالم وبقيت الى ان سكنوا الكويت ثم بعد ذلك اختفت هذه العزوة بعد ان فتح آل خليفة البحرين وبعد انتصار آل صباح في وقعة الرقة اللتين وقعتا في وقت متقارب فوقعة الرقة كانت عام ١٧٨٢ م ووقعة الزبارة حدثت في عام ١٧٨٢ م أيضا ثم تلاها فتح البحرين عام ١٧٨٣ م والدليل على ذلك ما ذكره لاتوش في كتابه [1]

وقد تطرقت في أولى ملاحظاتى الى اعمار المهاجرين الاول لانه كان يشغل بالى دائما ما ذكر بان (الشيخ صباح بن جابر) جد آل صباح توفى عام ١١٩٠ هجرية وكنت اشك في هذا التاريخ . فاذا كان الشيخ صباح من المهاجرين الاوائل من الهدار وهجرتهم كانت حوالى ١٠٨٢ هجرية فلابد انه في ذلك الوقت كان رجلا يناهز الثلاثين من عمره او حتى العشرين ، ولو قلنا انه ولد عام ١٠٦٠ هجرية فلا يمكن ان يعيش الى عام ١١٩٠ هجرية والفرق ١٣٠ عاما ، وقد تأكد لى ان وفاة الشيخ صباح كانت قبل هذا التاريخ بناء على ما ذكره الشيخ عثمان بن سند في كتابه (سبائك العسجد في أخبار احمد نجل رزق

(١) كتاب لاتوش وترجمته

الاسعد)[٢] قال : انه عندما انتقل رزق والد احمد بن رزق الى الكويت كان الحكم في الكويت للشيخ عبدالله بن صباح حيث ان والده قد توفى وأقرب تاريخ لهجرة رزق من نجد الى الكويت ١١٧٦ هجرية فاذن وفاة الشيخ صباح كانت قبل هذا التاريخ ، والان وبعد ان اطلعت على الوثائق الهولندية تأكد لى ان وفاة الشيخ صباح كانت قبل هذا التاريخ . فقد جاء في التقرير الذي كتب بواسطة (نيفهاوزن) مدير شركة الهند الشرقية الهولندية في (خارج) ومساعده (جان فان درهولست) في سنة ١٧٥٦ م - ١١٧٠ هجرية واللذان وصفا فى هذا التقرير المنطقة الساحلية للخليج وسكانها وهو التقرير الذي رفعاه الى (جيكوب وسيل) الحاكم العام لشركة الهند الشرقية الهولندية . جاء في هذا التقرير عن العتوب ما يلي :

لجأ الشيخ ناصر المذكور الى العتوب واستنجدهم في فتح البحرين على ان يعفيهم في مقابل ذلك من دفع أية ضريبة على ممارسة الغوص في مغاصات البحرين وكان العتوب يتقنون عملية الغوص[٣] - وهذا اول ذكر للعتوب في هذا التقرير - ثم يستمر في وصف بنادر ومشايخ الخليج حتى يصل الى البصرة ثم يقول : وبعد الفرات (الفاو) تأتى جزيرة (فيلكه) على الشاطىء الغربي وتقع القرين مقابل (فيلكه) وتسكن هذه الاماكن قبيلة العتوب العربية وهم ينتمون الى شيخ قبيلة بنى خالد ويدفعون له مبلغا صغيرا من المال ولديهم ٣٠٠ سفينة معظمها صغير ويستخدمونها للغوص على اللؤلؤ وهو المصدر الوحيد لمعيشتهم اذا شحت الامطار ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ نسمة وهم مزودون بالسيوف والدروع والرماح وليس لديهم المام بادوات النار[٤] وهم مشغولون دائما بالحرب مع الهولة وفي خصام دائم معهم ولكن صغر حجم مراكبهم لا يسمح لهم بالابحار لمسافات طويلة ، والمغاصات التى يرتادونها لصيد اللؤلؤ تقع بين البحرين من جهة ورأس بردستان من جهة اخرى ومع ان لهم عدة شيوخ الا انهم يعيشون في وئام . واهمهم هو الشيخ مبارك بن صباح ولكنه صغير السن ومحدود الثروة بينما شيخ آخر اسمه محمد بن خليفة رجل غنى ويملك عدة سفن ويتمتع باحترام قبيلته .

أذن فالشيخ صباح توفى قبل عام ١١٧٠ هجرية ١٧٥٦ م وخلفه ابنه مبارك بن صباح وبعد وفاة مبارك حوالى ١١٧١ هـ تولى أخوه الشيخ عبدالله بن

(٢) كتاب سبائك العسجد

(٣) صورة التقرير بالهولندية وترجمتها منشورة مع البحث

(٤) هذا التقرير يخالف ما ورد في الوثيقة التركية والتى نشرت في العدد الاول من الوثيقة والتى تذكر ان سفن العتوب كانت مزودة بالمدافع وانهم كانوا يستعملون البنادق .

شأى من قبله ، هذا وحيث اشرنا الى بلده المصغرة وصفا ، المكبرة بطلته عظما ورفعا ،

الكلام على بلدة الكويت

فنقول هي الكويت بضم الكاف واسكان الياء بلا خلاف على ساحل بحر العمان ،
بفتح العين في ضبط ذى الاتقان ، لم تمصر قبل وروده المعظم الشان ، الا برهة من
الزمان ، سكنها بنو عتبه : ولهم في عنزة بن اسد نسبه ، والذي يظهر انهم متباينوا النسب
لم تجمعهم في شجرة ام واب ، ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض * وماقارب الشئ يعطى
حكمه على الفرض ، والمقدم عليهم حين وروده اليهم (عبدالله بن صباح) وفقه الله

ترجمة عبدالله ابن صباح شيخ بلدة الكويت

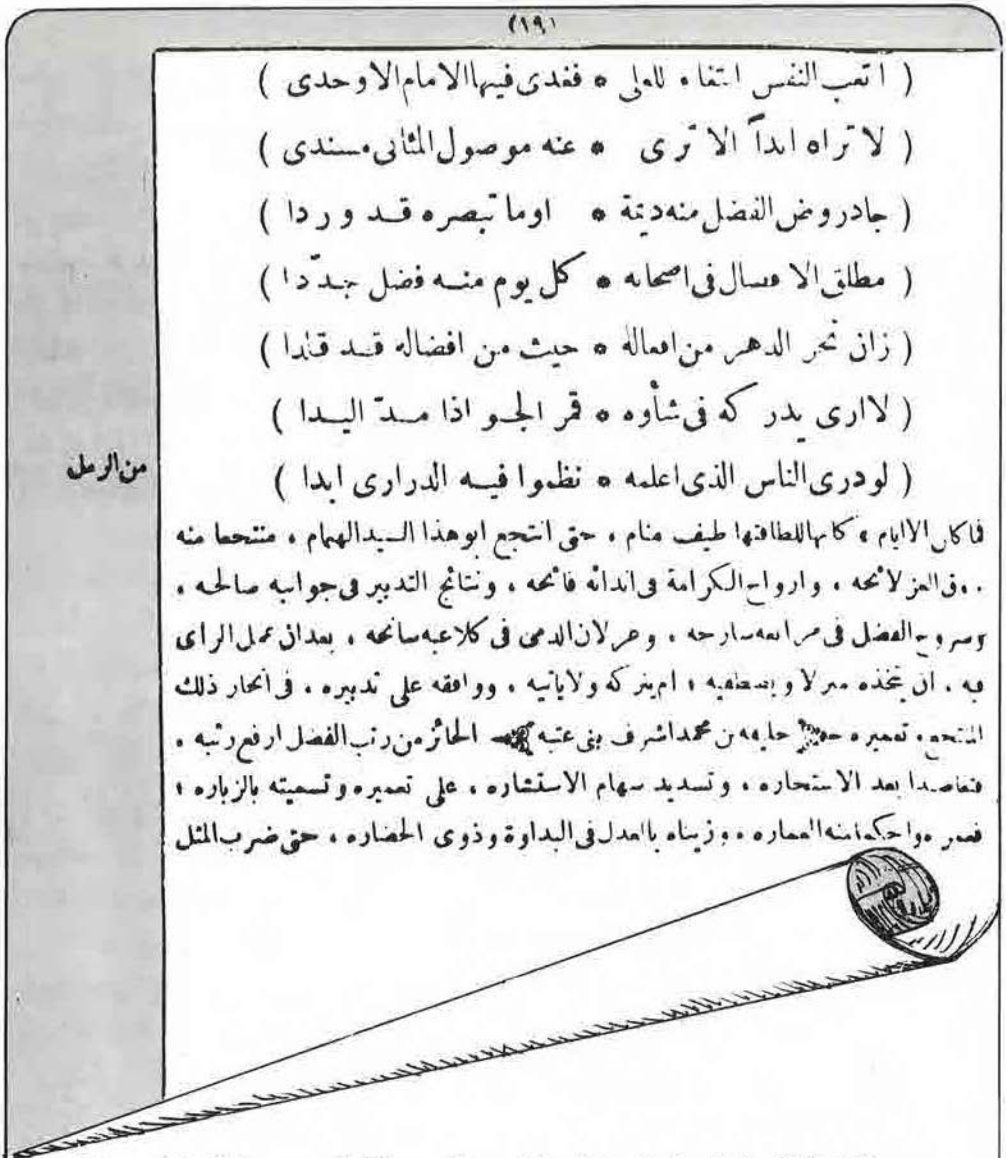
الصلاح ، وكان المقدم ابو المشار اليه ، يفوض ابرام الامور ونقضها اليه ، حتى انهم قبل
وصوله شرذمة قليله ، ذوو امسكنة وذله ، وحين جعلوه لا رأسهم قبله ، وفوض خواصهم
الامر اليه كله ؟ شد اسرهم وسد ثغرهم ؟ ورأب صدعهم ؟ ونصب جمعهم ؟ فسما فرع الثروة
في تلك البلاد ؟ وطمى بحر المكارم وزاد ؟ واقبل العز بسجره وبحره ؟ واطلع المجد في
سمائها وجه قمره ؟ وذلك ايام صغره ؟ فتصدر ابيه في اموره ؟ ارهاصا لظهوره ؟ وعلامة
على انه صدر بدوره ؟ وانه الدرة التي سمح بها القدر ؟ حتى اطلقت ولله الحمد عن درر ؟
هي لرياض الفضل زهر ؟ ولوجه العدل غرر ؟ على ان اباه كان ذا ايمان ؟ ثابت البنيان
مشيد الاركان ؟ يعمر المجالس بالنفاسه ؟ والمساجد بالتلاوة والدراسه ؟ ذا رأى ثاقب
وتدبير صائب ؟ اثبت من الرعان ؟ ان قلب المجرة الزمان ، واكرم من السحاب الهتان
عظيم المقدار ؟ خصوصا عند الاخيار ؟ واصلا للارحام ؟ بالهبات الجسام ؟ دائم الابتسام
وافر الاحتشام ؟ يضيق نطاق الحصر عن افراد شانه ؟ ويعجز الزمان عن حمل اعبائه ،
وماذاك الا لاسفار نجله الكريم ؟ على صفحات وجهه الوسيم ؟ فلقد لف الجد اباه بطرف
الجد ؟ وعطف عليه بطرف السعد ؟ حال ايجاده ؟ في الرحم وقبل ميلاده ؟ فعمت السعادة
اباه ؟ مذ تلا لا سناه ؟ ولقد اتجر في التالي ؟ بثلاثة دنانير اقترضها من الوالي ؟ فبلغت في
زمان يسير ؟ تلثمائه على التحرير ؟ كما روى ذلك افضل مجالسيه ؟ والطف مسامريه
ومواسيه ؟ كما نقف على ترجمته ؟ وننشر بعض برود صفته ؟ في ذكر اصحابه ومسامريه في
رحابه (الشيخ محمد بن سلوم) حرسه الحي القيوم ؟ وفي عام مبارك البدء والختام ؟ ارحم

ذكر انتقاله من الكويت الى الاحسا من البحرين

ختام وبدء سلام سنة ١١٨٨ انتقل ابو هذا الهمام الى الاحسا من البحرين ، وصار فيها
بمنزلة الانسان من العين ، فاتخذ فيها الاوتاد واجزل فيها الارفاد ؟ وبذل فيها المعروف
على المجهول والمعروف ، وحصل له ببركة هذا الغلام ؟ اتم الاكرام من الحكام ؟ وصار
الخاص والعام ، له بمنزلة الخدام ؟ تناخ على بابه الركاب ، وتاتيه الوافدون من كل اوب
وباب ، فاقام فيها تنشر محاسنه ؟ وتحمد مساعيه وميامنه ، بطانته خير بطانه ، يأمر بالمعروف

و-ح

الوثيقة - ١٦


(١٩)

(اتعب النفس اعتناء للعلى ٭ ففدى فيها الامام الاوحدى)

(لا تراه ابداً الا ترى ٭ عنه موصول المثانى مسندى)

(جادروض الفضل منه ديمة ٭ اوما تبصره قد وردا)

(مطلق الاموال فى اصحابه ٭ كل يوم منه فضل جددا)

(زان نحر الدهر من افعاله ٭ حيث من افضاله قد قلدا)

(لا ارى يدرك فى شأوه ٭ قمر الجو اذا مد اليدا)

من الرمل (لودرى الناس الذى اعلمه ٭ نظموا فيه الدرارى ابدا)

فما كان الايام ، كانها للطافتها طيف منام ، حتى انتجع ابو هذا السيد الهمام ، منتجعا منه ، في العز لائحه ، وارواح الكرامة في اندائه فائحه ، ونتائج التدبير في جوانبه صالحه ، وسروح الفضل في مراتعه سارحه ، وعرلان الدمى في كلاعبه سانحه ، بعد ان عمل الراى فيه ، ان يتخذه منزلا ويصطفيه ، ام يتركه ولا يأتيه ، ووافقه على تدبيره ، في اختيار ذلك المنتجع ، تعميره حليمه بن محمد اشرف بني عتبه الحائز من رتب الفضل ارفع رتبه ، فتعاضدا بعد الاستخاره ، وتسديد سهام الاستشاره ، على تعميره وتسميته بالزباره ، فعمروا واحكما منه العماره ، وزيناه بالعدل في البداوة وذوى الحضاره ، حتى ضرب المثل

صورة طبق الاصل للصفحتين ١٨ و ١٩ من كتاب سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الاسعد .

ونحن اذا تركنا السجع الممل والمدح الزائد اللذين التزمهما الشيخ في كتابه وأخذنا المعنى وجدنا ان رزق عندما قدم الى الكويت كان الوالى عليها هو الشيخ عبدالله بن صباح وكان رزق فقيرا فاقترض ٣ دنانير وفتح الله عليه واصبح غنيا وتزوج وانجب أبنه احمد ثم انتقل في عام ١١٨٨ هـ الى الاحساء وعلم به الشيخ خليفة بن محمد فدعاه الى سكنى الزبارة فانتقل اليها وتوفى هناك وخلفه أبنه أحمد الذي لقب بالرزيقى وهو التاجر المشهور الذي الف الشيخ عثمان بن سند هذا الكتاب باسمه .

صباح الحكم . ويتبين ان مبارك كانت مدة حكمه قصيرة لذلك لم يذكر لنا التاريخ الكثير عنه .

ومن المؤكد لدينا ان الشيخ خليفة بن محمد الجد الاكبر الذي ينتسب اليه آل خليفة توفي بالكويت في حوالى العقد الثالث من القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للعقد الثانى من القرن الثامن عشر وخلفه ابنه الشيخ محمد بن خليفة ، وكان صغيرا في السن فرعاه عمه الشيخ صباح بن جابر وزوجة ابنته مريم وانجب منها ابنه البكر خليفة بن محمد بن خليفة وسماه على اسم والده وهذا يدلنا على ان محمد لما توفى والده كان صغيرا في السن لم يتزوج بعد لاسيما اذا عرفنا بان الاولين كان من عادتهم تزويج ابنائهم حال البلوغ ولا يسمون ابنهم البكر باسم آبائهم الا اذا كان الاب قد توفى وان خليفة هذا قد انجب ولدا اسمه (عبدالله) ولعبدالله اربعة اولاد وذرية باقية حتى الان ويتبين لنا ان ابناء الشيخ صباح كانوا اصغر سنا من محمد بن خليفة .

كانت هذه اول مصاهرة بين ابناء العم صباح وخليفة وقد تزوج محمد بن خليفة زوجته الثانية من آل بنعلي وانجب منها ابنه احمد الملقب (بالفاتح) وشقيقه مقرن . وبعد انتقاله الى الزبارة تزوج زوجته الثالثة من آل بوكواره وهى الزوجة التى انجبت له ابنيه علي وابراهيم وبعد وفاة محمد بن خليفة خلفه ابنه الشيخ خليفة على حكم الزبارة التى ازدهرت اثناء حكمه لها .

وذكر الاخ سيف مصاهرة ثانية بين آل صباح وآل خليفة بقوله : (ففى حوالى سنة ١٢٨٠ هجرية ١٨٦٢ م زار الكويت الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين بدعوة من الشيخ صباح بن جابر الاول الحاكم الرابع للكويت ومكث الشيخ محمد عدة ايام وتزوج الشيخة حبابه ابنة الشيخ صباح الثاني واخت الشيخ مبارك آل صباح واخوانه ورزق منها ولدا اسمه سعود وابنة اسمها رقية .. الخ)

وهذه المصاهرة الثانية لا نعرف عنها شيئا .. اما عن زيارة الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة للكويت فقد حدثت سنة ١٢٨٥ هجرية ١٨٦٨ ميلادية وذلك بعد الخلاف الذي وقع بين الشيخ محمد بن خليفة والانجليز وطلب منه مغادرة البحرين لمدة سنتين وتولى الحكم مكانه أخوه الشيخ علي بن خليفة على شرط مغادرة محمد بن خليفة البحرين فطلب منه اخوه التوجه الى الاخوة في الكويت حتى يسوى هو الخلاف مع الانجليز ، وتوجه الشيخ محمد في سفينة وبصحبته والدى الشيخ خالد بن علي بن خليفة والشيخ فهد بن أحمد آل خليفة ولما وصلوا الى الكويت استقبل الشيخ محمد بالحفاوة والترحيب ورجع المرافقون الى البحرين وبقى هو بالكويت حيث قضى فيها فترة من الزمن ،

At the moment, there are 3 shaikhs in Dender-delam. The first, Genum, is poor, but rather popular because he allows everybody to rob and violate strangers and merchants. The second is Shaikh Taan, who is a rich and sensible person, himself a trader, and so he tries to attract merchants and to avoid that they are mistreated, which makes him hated with the common people. The third is Sheikh

Delam counts some 40 great

the last seafaring place on

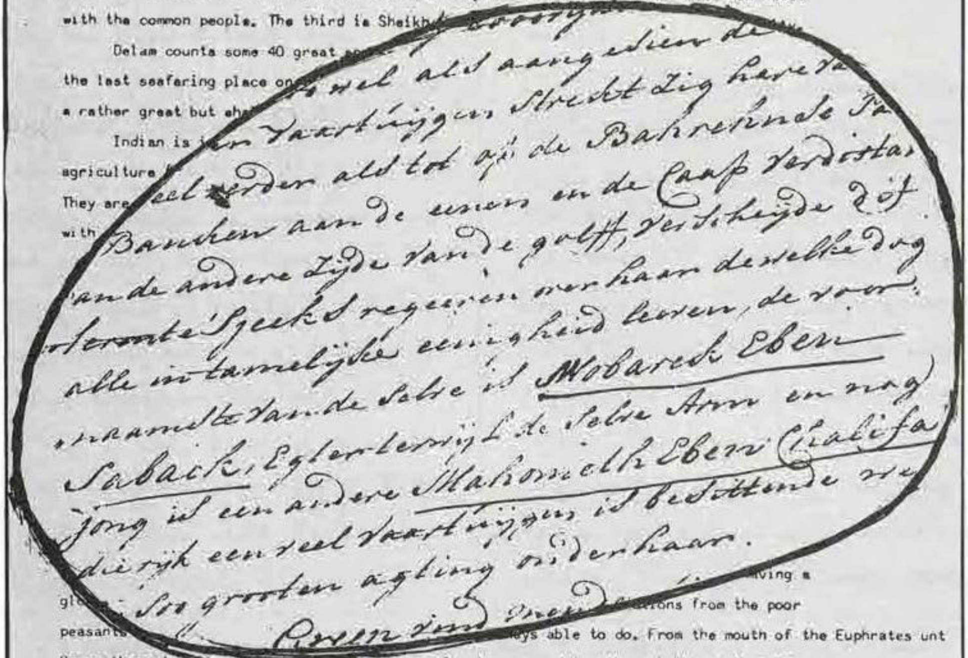
a rather great but sh

Indian is

agriculture

They are

with


...voorige...
...wel als aangesien de
...vaartuijgen Strekt Zig haere Va...
...n vaartuijgen ... Bahreinsche Pa...
veel verder als tot op de Caap Verdistan
Banken aan de eenen en de Caap Verdistan
van de andere Zijde van de golff, verscheyde Zo...
...ende Speeks regeeren over haar dewelke dog
alle in tamelijke eenigheid leeven, de voor-
naamste van de selve is Mobarek Eben
Saback, egter leevijl de selve Arm en nog
jong is een andere Mahometh Eben Chalifa
die rijk een veel vaartuijgen is bezittende ne
Soo grooten agting onder haar.
Rosen ...

...ving a

gl... ...tions from the poor

peasants ...ys able to do. From the mouth of the Euphrates unt Basra there lives ...where a seafaring people who carry dates through the whole Gulf until Mucca. But they have no means of defence, they have no guns and their ships are so badly furnished with masts, yards, sails and rigging that this is a sign by which one recognizes a ship from Basra. Leaving the Euphrates and going along the Arab coast one encounters the small island of Feltschah, and opposite it on the shore Grien. Both are inhabited by an Arab tribe of which we spoke already before, called Etoubis. They are independent of the sheikh of the desert to whom they do pay however a small contribution. They have some 300 ~~guns~~ vessels , but almost all are small because they employ them only for pearldiving . This and fishing during the bad monsoon is their only occupation. They amount to 4000 men, all armed with swords, shields and lances, but they have almost no guns , and they are even unable to handle them.

This nation is almost continually in conflict with the Houlas whose deadly ennemies they are. Because of this and because of the smallness of their vessels they hardly extend their navigation beyond the Bahrain pearlbanks at one side and Cape Verdistan at the other side of the Gulf. Several different sheikhs rule them who all live in relative unity. The principal of them is Mobarek Eben Saback, but because this one is poor and still young, another called Mahometh Eben Khalifan, who is rich and possesses many vessels, enjoys almost equal respect among them.

فقرة من التقرير الذى كتبه نيفهاوزن مدير شركة الهند الشرقية الهولندية ومعاونه هلست والذى أشار اليه الدكتور سلوت في بحثه عن سكان الخليج العربي ..

الوثيقة ـ ١٩

وكـان ذلك في زمن الشيـخ عبـدالله بن صباح واخوانه ، وربما تم الزواج في هذه الفترة وان كانت اقامته لم تزد على بضعة اشهر فقد بـدأت في شوال عـام ١٢٨٥ هجرية وانتهت في حوالى ربيع الاول او الثانى سنة ١٢٨٦ هجرية وعاد الشيخ محمـد مع اخـوانـه من آل صبـاح الى البحـرين وحـاولوا ان يصلحـوا بـين الاخـوين ولكن لم يتم الصلح فـرجـع الشيـخ عبدالله بن صبـاح الى الكـويت وبقى الشيـخ محـمـد بن خـليفـة في (دارين) وجرت بعد ذلك احداث يؤسف لها أدت الى مقتل الشيخ علي بن خليفة وسجن الشيخ محمد بن خليفة في الهند بواسطة الانجليـز . هذه الاحـداث هى التى جعلتنا في البحرين لا نعرف عن هذا الزواج شيئا واذا كان الشيخ محمد بن خليفة قد انجب من الشيخة حبابة ولدا وبنتا فهما بلا شك توأم لان الفترة كانت قصيرة .

وفي المقـال الخـامس المنشـور يـوم الثلاثاء ٢٠ يوليو ١٩٨٣ م تحدث الاخ سيف عن هجرة آل خليفة من الكويت : اسبابها ودوافعهـا (٥) ومما سمعتـه من كبار عشيرتنا آل خليفة ان سبب الهجرة كـان محـددا ، وذلك ان احـدى سفن الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة وفيها احد ابنائه لا اعلم هل هو خليفة او احمد او مقرن كانت راسية في الدورق وكانت تحمل تمرا فهاجمها قـطاع الطرق ليلا بهـدف نهبها ونشبت بـين المهـاجمـين واصحاب السفينة معـركة انتهت بقتل

(٥) سمعت من المغفور له الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة رواية عن المغفور له راشد بن فاضل آل بنعلي ان البنعلي في هجرتهم من الكويت الى قطر حاولوا النزول في البحرين فمنعهم آل بومهير كما منعوهم من المرور بسفنهم بين المحرق والمنامة وطلبوا منهم المرور من شرقي جزيرة المحرق فأبى آل بنعلي ذلك ومروا بين المنامة وجزيرة المحرق وفي ذلك يقول شاعرهم ابن عمار

يـقـول ارشـيـد بـن عـمـار ومـن بـنـا
حـسـين القـوافي مـن بـيـوت القـصـايـد
يـا مـبـلـغ مـنـى صـبـاح بـن جـابـر
فـتـى الجـود جـزل مـا يـمـد الزهـايـد
ركـبـنـا بـمـال مـع رجـال وسـفـنـا
تـصـاول بـنـا شـروى المـهـار العـوايـد
يـجـدونـهـا ربـعـى مـن الاد سـالم
مـصـاريـعـهـا مـا بـين روس الوسـايـد
وجـيـنـا عـلى كـبـد العـمـارة نـدورهـم
بـصـوارم تـدعـى الشـلايـا بـدايـد
وحـنـا يـا بـن طاهـر مـثـل عـظم تـلوجـنـه
يـا ذيـك في الحـلـقـوم لومـاه وايـد

احـد المهـاجمـين وهم من بني كعب . وغادرت السفينة مرساها بسرعة وعادت للكويت فـطالب بنـو كعب بتسليم ابن الشيـخ محمد بن خليفـة لأخـذ الثـأر لقتيلهم فرفض الشيخ محمد تسليم ابنه واقترح عليه الشيخ عبدالله بن صباح ان يأخذوا الابن في مسيرة ويذهبوا الى كعب ويـطلبوا منهم الصفـح عـلى ان يدفعوا لهم دية القتيل فلم يوافق الشيخ محمد على ذلك الرأى وقال انه مستعـد لدفع الدية مهما بلغت لكنه لن يسلم ابنه خـاصـة وهم الذين بـدأوا العـدوان . واشتـد الخـلاف بـين كعب من جهـة والشيـخ عبدالله بن صبـاح من جهـة اخرى فألح على الشيخ محمـد بتسليم ابنه . وقال الشيخ عبدالله انـه ليس في مقـدرونا محـاربة كعب فغـادر الشيـخ محمد بن خليفة الكويت مع من رافقه من العتـوب وتوجـه الى اقاربـه واصهـاره العتوب من آل بنعلي الذين هـاجروا من الكـويت في وقت سـابق وسـكنـوا الفريحة في قطر وسكن هو وأسس مدينة الزبارة . ومن الخطأ الشائع ما يقال من أن أحمد بن رزق كان من مؤسسى الزبارة والحقيقة أن الشيخ أحمد بن رزق وصل الى الزبـارة مـع والده رزق بعـد وفـاة مؤسسها الشيخ محمد بن خليفة وتولى ابنه الشيخ خليفة الامر من بعده وكان ذلك عام ١١٨٨ هـ حيث انتقل رزق من الكويت الى الاحساء . ولما علم به الشيخ خليفة كتب اليه ان ينتقـل الى الزبارة ، وفعـلا انتقل الى الزبـارة هو وكثـير من وجهاء البصرة نظرا لهجوم صادق خان الزندى عليها في تلك الايام . وقد عمرت الزبارة وازدهرت في عهد الشيخ خليفة بن محمـد والذي كـان بـدايـة عصـرهـا الذهبي .

وتحدث الاخ الاستاذ سيف المرزوق في مقـاله السـادس المنشـور بتـاريـخ ١٩٨٢/٧/٢١ عن مسجد آل خليفة في الكويت والحقيقة ان الذي بنى المسجد هو الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة جد آل خليفـة الاكبر عنـد نزولهم الكـويت واوقف عليـه نخلا له في القـطيف ولكن النخل مع مرور الايام بقى في يـد ابناء الشيـخ احمد بن سلمـان آل خليفة ولا يزال في ايديهم يأكلون ريعه وقد طالبت به وزارة الاوقاف في الكويت ولكن بعد ذلك تـركته لورثـة الشيخ احمـد بن سلمان آل خليفة .. اما معركة الرقة فانا أحددها بتاريخ ١٧٨٢ م/ ١١٩٦ هـ وقد ذكرها لاتـوش في كتابـه المؤرخ في ٤ نـوفمبر ١٧٨٢ م والخـلاف كان وقتهـا شامـلا للكويت والزبارة وفي وقتهـا كانت حملة الشيخ نصر بن مذكور على الزبارة .

ومـا ذكره الاخ سيف في بحثـه عن موضوع الشيخ جبر او الجبـرى الذي استـقـل بـحـكـم البـحـريـن عـام ١١١٠ هـ/١٦٩٨ م وكان له وزير اسمه الشيخ فريـر بن رحال . فهـذه الرواية ذكرها النبهانى في كتابه تاريخ البحرين وهي ليست صحيحة فدولة الجبور كانت سابقة على هذا التاريخ والجبور بطن من عقيل بن عامر وقد غلب اسم بنى خالد

A letter from Mr. Latouche (The Basra Residency) to the Court of Directors, London, dated 4th November 1782.

The Zebara and the Grain people, have lately taken and plundered Bahrain and have likewise seized at the Entrance of this river, several boats belonging to Bushire and Bunderick. Shaikh Nassir of Bushire, in return is collecting a Marine as well as a military force, at Bushire, Bunderick and other Persian ports. He gives out that he intends to revenge these hostilities by attacking Zebarra and has wrote for supply of money to Aly Marat Caun at Isphahan. Notwithstanding this show of vigor, however, it is said that he has lately sent to Grain to request a peace, but that the Shaikh had refused to grant it, unless Shaikh Nassir pays him half the Revenue of Bahrain and a large Annual tribute also for Bushire.

It is not many years since Grain was obliged to pay a large tribute to the Chaub and that the name of Zebbara was scarcely known. On the Persians attacking Bussora, one of the Shaikhs of Grain retired to Zebarra, with many of the principal people. Some of the Bussora merchants also retired thither. A great part of the pearl and India trade, by this means entered there and at Grain, during the time that the Persians were in possession of Bussora and those places have increased so much in strength and consequence, considerable advantages against him and now under no apprehension from the force, which Shaikh Nassir threatens to collect against them.

Bussora 4th November 1782

Signed. Latouche.

From the Factory Records, Persia and the Persian Gulf Vol. 17, despatch No. 1230.

رسالة من مستر لاتوش (مقيمية البصرة) الى ديوان الادارة بلندن مؤرخة ٤ نوفمبر ١٧٨٢م

هاجم اهل (أهالى) الزبارة والقرين مؤخرا البحرين ونهبوها مثلما استولوا على عدة سفن تابعة لبوشهر وبندر ريق في مدخل هذا النهر (شط العرب) . ورد الشيخ نصر البوشهرى على ذلك بجمع قوة بحرية واخرى برية من بوشهر وبندر ريق وموانىء فارسية أخرى . وتظاهر (الشيخ نصر) بانه ينوى الثار لهذه الاعتداءات بشن هجوم على الزبارة . وكتب الى على ميرزا على خان في اصفهان كي يمده بالمال

ورغما عن مظهر هذا الحماس ، يقال بانه (الشيخ نصر) ارسل مؤخرا الى القرين في طلب الصلح ولكن الشيخ (شيخ القرين) رفض الموافقة على هذا الطلب مالم يدفع له الشيخ نصر نصف دخل البحرين ، وايضا اتاوة سنوية كبيرة عن بوشهر

لم تمض سنوات كثيرة على الوقت الذى كانت فيه القرين مجبرة على دفع اتاوة كبيرة لبنى كعب اما الزبارة فكان اسمها قل ان يعرف ولكن عندما هاجم الفرس البصرة تحول احد شيوخ القرين الى الزبارة مع كثيرين من كبار القوم . وتحول ايضا عدد من تجار البصرة الى هناك وبهذه الطريقة دخل جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند الى هناك (اى الزبارة) ، والى القرين خلال الزمن الذى استولى فيه الفرس على البصرة . ولقد ازدادت قوة هذه الأماكن (هذين المكانين) زيادة عظيمة . كان من شانها ان تحديا بنى كعب زمنا ما ، وتفوقا عليه (اى الشيخ نصر) بمزايا عظيمة . الآن لا يخشون من القوة التى يهددهم بجمعها ضدهم

التوقيع : لاتوش حرر في البصرة بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ .

من سجلات الوكالة ـ مجلد ايران والخليج الفارسى رقم ١٧ ـ رقم تسجيل الارسال ١٢٣٠ .

ترجمة :

دار الاذاعة البريطانية في لندن .

بواسطة الأستاذ يني بشاى .

عـلى جميع العقيليـين في الوقت الحاضر واصبح الجبور فرعا من بنى خالد .

وقد تأسست دولة الجبور على يد زامل بن جبر وابنه سيف بن زامل في حوالى عام ٨٥٠ هجرية وامتد نفوذهـا الى القطيف والبحرين وعمان في زمن أجود بن زامل اشهر أمراء هذه الدولة وقد توفى أجود حوالى عام ٩١٣ هجرية وخلفه ابنه محمد ثم خلف محمـد مقرن بن اجـود الذي حارب البرتغاليين فـانتصروا عليـه بعد معـارك ضاريـة أضـرت بجيشـه فيهـا المدفعية التى استخدمها البـرتغاليـون وضربوا بها قلعة البحرين واغرقوا بها سفن مقرن . وقد برز في هذه الحـروب صهـره (حميد) جـد آل حميد الذين ملكوا الاحساء فيما بعد واشهرهم براك بن اعريعر الحميد . وبعد ان قتل مقرن واحتـز رأسه وارسـل الى أمـير هـرمـز انفصلت البحـرين والقـطيف عن حكم الجبور وبقى في أيديهم الاحسـاء وقطر وكان جد آل مسلم أميرا على قطر فاحتفظ بامارته عليها .

اما فرير بن رحال فقد ذكرته المصادر البرتغالية بابن رحال والرحاحلة جماعة معروفون بالاحساء وغالبيتهم مولعـون بالصيد والقنص . وحول الجبرى وفرير بن رحال نسج الخيال البدوى قصصـا خرافية فقد ذكروا ان فرير بن رحال كان وزيرا لمقرن بن اجود اثناء حكمه للبحرين وان مقرن كان يسكن قـلاع العمرو في البحرين وفرير بن رحال يسكن هضبـة الرفاع وذات يوم تحدث الامير مقرن مع خاصته وكانت في يده ليمونه فرماها من يـده فاخـذت تتدحـرج فقال اتمنى ان احصل على امرأة تمر هذه الليمونة من تحت خصرها وهي مضطجة على الارض فقالوا له انها موجودة وهي زوجة وزيرك فرير بن رحال فارسل الى وزيره وقال له سأرسلك الى القطيف في مهمـة فقال له سمعا وطاعة وذهب فرير فأرسل مقـرن لزوجته من يقول لهـا استعدى فـالأمير يحب ان يـزورك وكـانت امـرأة عـاقلة فـرحبت بذلك ، وأتى الأمـير الى بيتهـا وكـانت لزوجها جـارية جميلة فـزينتهـا بالحلى وقالت لها اذهبي الى الامير واذا سألك فقولى انك زوجة وزيره فرير ورحبى به وسلميه نفسك . وفعلا تم الامـر كما رتبت ولما عاد فرير والتقى بالأمير جلسا يلعبان لعبة يطلق عليها الحالوسة فغلب الامير وقال :

سبـع سـرى في ظلام الليـل أو كـل شـاتـه
كـل الشـحم واللحـم واروى حشـاشـاتـه

ولعبوا ثانية فغلب فرير فقال :

سبـع سرى في ظلام الليـل او صـاد عنقـوده
هـذاك بـين المـلا قـد شـاع مـنـقـوده

ففـطن الأمير الى ان فـريـر قـد علم بـالموضـوع فضربـه بـالسيف وقتله ، ويستمـر الخيـال القصصى في روايتـه فيقـول : ان زوجة فـرير عنـدما علمت بمقتل زوجها هربت واختفت في المنامـة وذهبت الى صائغ فطلبت منه ان يصوغ لها نخلة على صحن من الذهب الخالص وان يجعل ثمرها لؤلؤا فصنعها الصائغ

فأخذتها الى هرموز وقدمتها الى أميرها وقالت له هل لك في بلد أرضها خصبة كالذهب وحملها لؤلؤ فهاجم أمير هرموز البحرين واحتلها من مقرن .

هذه القصة لعب فيها الخيال دورا كبيرا . اما فرير بن رحال فيتبين انه خان الامير مقرن فقتله والمصادر البرتغالية تحدثنا عن ابن الرحال في الحملة التى جردوها على البحرين مع أمير هرموز اما القصة فهى بالطبع من نسج الخيال .

وبناء على ذلك فان رواية الشيخ محمد بن احمد آل ثانى والخاصة بتأمير عبدالله المسلم عل قطر وفرير بن رحال على البحرين في وقت واحد تسندها هذه الروايات التى ذكرتها .

وقد احتفظ آل مسلم بامارتهم على قطر ومن الملاحظ ان الرحالة الالمانى نيبور عندما رسم خريطة الخليج (٦) والتى نشرها في كتابه كتب على ساحل قطر آل مسلم والخريطة تعود لسنة ١١٧٩ هجرية / ١٧٦٥ م

اما حديث الشيخ محمد بن احمد آل ثانى عن آل مسلم فليس لدى تعليق عليه الا ما جاء في كلامه من ان السعوديين انتزعوا قطر من بنى خالد فهذا غير صحيح لان قطر عند ظهور السعوديين لأول مرة في الاحساء سنة ١٢٠٧ م كانت تسيطر عليها الزبارة التى كانت عاصمة لقطر والبحرين معا والمصادر التى تؤكد ذلك كثيرة منها ما تحكيه الآثار الدالة عليها ومنها المخطوطات والكتب التاريخية الاخرى .

وحول شخصية فرير بن رحال حدث جدل بين الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة وشاعر النبط الشهير حسين بن مشرف عندما قال في قصيدته التى مطلعها :

يا بن حمد ليلى على بعدكم طال
قلبي يباريكم وجسمي مقيمي
واربع على ديرة افرير بن رحال
ذي عادة لى من زمان جديمي

فرد عليه الشيخ محمد بقصيدة طويلة مطلعها :

يابو علي هيضت مكنون الامثال
يا فرع مجد من ذؤابة تميمي
اهلا عدد ما سال شعب وما طال
عشب وما غنى حمام الصريمي
تقول ذي ديرة افرير بن رحال
ذي دارنا دار الندى من جديمي
ديرة هل العليا مناعير وابطال
اللى سقوها من وريد الخصيمي

والذي أريد أن اسجله حول ذلك انه عندما أمر المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة بتجديد جامع القلعة في الرفاع الشرقي كنت اشرف على هذا التجديد وعندما حفرت الأساسات ظهرت لنا أساسات بناء قديم لقلعة كانت في نفس مكان القلعة التى بناها الأجداد وكانت أساساتها تحت المسجد مما يدل على انه كانت هناك قلعة في أيام الجبور وهي التى يقال بأن فرير كان يسكنها .

وختاما أكرر شكرى للأخ سيف مرزوق الشملان وارجو ان يجد في ملاحظاتى بعض الفائدة .

---

(٦) : راجع الخريطة في باب خرائط قديمة

(قصيدة للشيخ محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة

نقل لنا هذه القصيدة الشاعر ابراهيم بن على بن دعلوج الكبيسى ساكن الخبر قال" انه عصر يوم الخميس ٢٧ من شهر صفر ١٣٥٧ هـ في الرميثة أملي على صاحب السمو المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة هذه القصيدة"

القصـــيدة

سقى قصر صبحا من غوادى ربابها ... مـوطن اجـدودى كم شيـخ ربـابهـا
بنـا جـدنـا قصر الزبـاره وشيـده ... على الساحل البحرى الشمالى بنا بها
حماها بـأبراج من الخـوف والخطر ... وفرش أرض قصره بالكرم عن ترابها
وشق البحر للسفن توصل الى القصر ... بكـامـل حمـولتهـا تشـرع ببـابهـا
وسمـوها بـاسمين الزبـاره وصبحه ... الأجـداد سمـوهـا بـاسم زهـابهـا
الزباره اسم طعس عن القاع مرتفع ... وصبحـا اسم بنت جميـل شبـابهـا
ما هاب شاه الفرس ولا خاف باشته ... ولا سلطة الأتـراك حلف ما يهـابهـا
دع اللوم بـاللوام ما اسمـع عتابهـا ... لازم اجى البحـرين وأوطن عتـابهـا
أرسلنـا رمحين ولا صـابت الهـدف ... فى مدة شهرين مـا حسبنا حسـابها
والثـالثـة صـابت وطابت وانجبـت ... بنصر تحقق بـأمـر منشى سحـابهـا
عـزمنـا بعـون الله وقمنـا بقـدرتـه ... وحـانت الفرصـة واغتنمنا غيـابهـا
غـزينا عـلى البحرين فى آخـر الشهر ... آخـر صفـر الخـير فتحنـا أبـوابهـا
بألف رمية وسبعة وتسعين صـادفت ... بـدعـوة خليفـة والآله استجـابهـا
أخـذنـا أوال بقـوة السيف والعـزم ... وتـوفيق من ربى مسبب أسبـابهـا
أوال جـزيـرة دار مـادارهـا البحـر ... حمينـا سواحلهـا وذلت اصحـابهـا
وأرسلنا عائلة ناصر المذكور الى بوشهر ... مـعـززيـن مـكـرمـين جـنـابـهـا
يـا آل يعـرب هـذه شيمـة العـرب ... تحمى المحـارم ما تكشف حجـابهـا
حنـا بنى عتبـة ونتعب خصيـمنـا ... من آل وايـل معـربـين انسـابهـا
هـذا كـلام صـح من صـادق المثل ... تـواريخ مجـد اجدودنـا ينحكى بها
والختم صـلى الله عـلى سيـد البشر ... أحمد شفيع الخلق سـاعة حسـابها

شاعرنا هو الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان بن أحمد (الفاتح) آل خليفة الفارس والشاعر الملهم ولد فى البحرين فى الرفاع وتعلم على يد علمائها فى ذلك الوقت له القصائد العربية والنبطية وقصائده فى رثاء سيدنا الحسين بن على لا تزال معروفة وتقرأ وللأسف فقد الكثير من شعره كما حرف الرواة كثيرا من قصائده قتل فى احدى المعارك وهو فى ريعان الشباب سنة ١٢٥٨ هـ رحمه الله ودفن فى المكان الذى قتل فيه وقبره معروف فى وسط مدينة الرفاع الشرقى بقرب مسجد عيسى بن عيسى آل خليفة .

(عبدالله بن خالد آل خليفة)

إمارة العصفوريّين ودورها السياسي

العصفوريّون وقصة ١٥٠ عا

الظروف الطبيعية بالبحرين تخا

البيئة البحرية بجزأوال ولدت طبقة م

ان مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذى يكتنف حقبة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالا لتنتهى جنوبا بعمان الشمالى ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة فى الخليج العربى والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت فى قاعه اشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعى فى العالم من حيث الجودة والانتاج ، واكبرها حجما واوسعها شهرة جزيرة اوال (البحرين) .

اما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل باليمامة . لقد تعارف البلدانيون العرب

...ن تاريخ شرق الجزيرة العربية

...امضة في تاريخ البحرين

...ية مستقرة للقبائل الراحلة من البوادي

...كان لها ثقلها في الحياة الاقتصادية

بقلم الدكتور : عبد اللطيف ناصر الحميدان

الاوائل على اطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهى بهذا الاتساع والامتداد تشمل فى الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالى . فتاريخ بلاد البحرين هو فى الواقع يشكل جزءا رئيسا وهاما من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

ان هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد ادى الى ارتباط تاريخها ارتباطا عضويا ووثيقا بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذى يحاول التصدى لاماطة اللثام عن الغموض الذى يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الخليج العربى عموما بان لا يكتفى بمصادر واحداث المنطقة وحدها بل عليه ان يجول بناظريه نحو المناطق المجاورة ليستوعب احداثها وينقب فى مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فان منطقة الخليج العربى ليس اصطلاحا جغرافيا يدل على رقعة محدودة من سطح الأرض فحسب وانما يشير كذلك الى لون معين من الحياة ، فهى تغرى الباحث فى التاريخ الحضارى بدراستها كمنطقة متحدة داخليا ، اذ انه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعرضت لها عبر العصور فانها كانت بوتقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية فى البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتى كانت تجرى تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هى من عوامل وحدتها وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربى كوحدة فان هنالك اعتبارات اجتماعية وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لابراز خصوصيات الدور الذى لعبه كل جزء من اجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز .

ان بحثنا هذا ما هو فى الواقع الا الحلقة الاولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربى فى العصر الوسيط والحديث ، وسوف يكرس لابراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادى عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهى من اشد فترات المنطقة غموضا الامر الذى حمل الباحث النجدى سليمان الدخيل على القول بانه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها فى أوقاتها (١) . ومع بروز الاهمية الاقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربى فى عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة واخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة الا ان الباحثين قد احجموا حتى الآن عن ارتياد هذه الفترة او انهم مروا بها مرورا عابرا لسبب رئيسى هو قلة مصادرها ان لم تكن ندرتها ولادراكهم ايضا مدى الجهد المضنى الذى يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الاشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة . ولقد عبر الاستاذ ابو حاكمه عن اسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربى خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التى ظهرت حتى الآن بانها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط » الا قليلا (٢) . ان هذه الفجوة فى معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربى تشكل نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساسا على تجاهل دور العرب فى صنع احداثها لكى ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من ان مثل هذه الادعاءات قد خفت الى حد كبير فان اثارها الثقافية لا تزال باقية ، الامر الذى يستلزم التصدى بموضوعية لرسم صورة اقرب الى وقائع التاريخ لتتجاوز الصورة المنحازة التى رسمت لتاريخها (٣) .

توطئة في السمات العامة لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنها سابقا ، يستحسن ان نشير ولو اشارة موجزة جدا الى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتى اثرت اعمق الاثر فى حياتها وطبعت تاريخها السياسى والاجتماعى والاقتصادى بطابعها ، واول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيرة والعيون التى تجرى مياهها على سطح الارض . اضافة الى قرب مياهها الباطنية من سطح الأرض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتى كانت فى العصور الماضية أكثر اتساعا مما هى عليه اليوم . ويستدل على ذلك اولا من كثرة اسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتى اورد ذكرها البلدانيون العرب ، الا ان كثيرا منها قد اختفى من خارطة الاقليم فى الوقت الحاضر ، وثانيا ان الابحاث الحديثة قد ايدت ايضا اتساع الرقعة الزراعية فى الماضى (٤) .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادى واسواق الخليج العربى ، بل وتصدير ما يفيض عن ذلك وخصوصا التمور الى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندى .

ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادى ذى اوجه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعى فى المنطقة يختلف فى كثير من خصائصه عما حوله من بوادى . ففى مثل هذه البيئة يفترض سعى سكانها لاقامة سلطة تعمل على توفير الامن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادى المتربصين دائما بالمنطقة ، وكذلك الاشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمنتجين واوجه النشاطات الاقتصادية الاخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الامر الذى يستلزم وجود اجهزة متخصصة وقوة رادعة . ان السلطة التى تقوم فى مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من اهدافها الاستراتيجية الثابتة التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين ، وهما البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وان تسعى لاقامة هذه الصلة اما بطريق الاخضاع المباشر او باقامة التحالفات القائمة على اساس المنافع المشتركة .

وكثيرا ما ينشأ عن ذلك حرب مع سكان هاتين البيئتين . ان نجاحها فى ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية ، الأمر الذى ينتج عنه نفع اقتصادى كبير لمناطق الارياف ويحقق الاستقرار السياسى والاقتصادى فيها والنقطة الاخيرة والجديرة بالاشارة هنا هى ان سكان المناطق الزراعية نظرا لارتباطهم بالارض وبالملكيات الثابتة هم اطوع للحكام واسهل خضوعا للسلطة بل واستغلالا من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال فى البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

اما المظهر الثانى لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، اذ ان طول سواحلها الممتدة على الخليج العربى وكثرة تعاريجها ادى لان يلعب سكانها دورا مؤثرا فى كافة اوجه النشاط التى تحدث فى المنطقة كما انها اصبحت من المناطق التى تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها . ونظرا لكون المناخ والبيئة الصحراوية هى السائدة فى بلاد البحرين فان الامر قد ادى لأن تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتى هى اكثر غنى وضمانا فيما تغله من ثروة

سمكيـة فى مياههـا ومن لؤلؤ فى اعماقهـا ومن فرص للربح فى النشاط التجارى مع الخارج ، ومما هو جدير بالذكر هنا ان النشاط الاقتصادى لسكـان السواحـل والجزر فى حـرفتى صيـد الاسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادى لسكان الارياف فى بلاد البحرين فى جنى محصول التمر . على ان هناك وجه شبه بـين حيـاة سكـان البيئـة البحـريـة والبيئـة الصحراوية فاذا كان البدو يتنقلون مع قطعانهم من مكان الى اخر طلبا للماء والكلأ فان عـرب السواحل والجزر ينتقلون هم ايضا من مكان الى اخر عندما تضطرهم الظروف الى ذلك ووسيلتهم هى سفنهم التى يحملون فيها اهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة فى عالم البحار تحتـل نفس الاهمية التى تحتلهـا الابـل لدى البدو . فاذا كانت الطبيعة قد سخت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذى اطلق عليه جوازا بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجـاتهم فى النشاط البحرى فطبعوها بطابعهم وحققت لهم بذلك امتدادا جغرافيا وبشريا وحضاريا يفوق كثيرا رقعتهم الجغرافية . فكانت استجـابتهم لتحدى الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جدا ، تنم عن عبقـرية فـذة بالمقـاييس الحضـاريـة لعصـرهم فاكسبتهم بـذلك تفـوقـا متميـزا فى النشاط البحرى ولقرون طويلة جدا (٥) .

ان البيئة البحرية لبلاد البحـرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلها فى الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث فى تاريخ المنطقة اغفـالها كمـا انها افـرزت زعامـات تعتمد فى مراكزها على قـوتها الاقتصـادية النـاتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادى وهؤلاء هم تجـار اللؤلؤ واصحاب السفن ويسندهم عدد كبـير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعيتهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الاسماك واللؤلؤ والعاملون فى السفن التجارية .

ان هذه القوة المنتجـة اقتصاديـا تشكل فى الواقع قوة عسكرية احتياطية كثيـرا مازجهـا هؤلاء الزعماء فى صراعاتهم السياسية ، فكثير من الاحداث التاريخية التى مرت بهـا منطقـة الخليج عبر عصورها المختلفـة لا يمكن فهمها فهمـا سليما من دون الانتبـاه الى الدور الذى لعبته هذه القوى فى صنع الاحداث فى المنطقة .

اما المظهر الثالث والاخـير للبيئة الطبيعيـة لبلاد البحرين والتى لهـا التأثـير الاعمق فهى البيئة الصحراويـة السائـدة فى الاقليم والتى فرضت نمطا من الحياة الاجتماعية ، هى الحياة القبليـة والتـى طبعـت التـاريـخ السيـاسى والاجتماعى والاقتصادى للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حدا بأحـد المتخصصين بمنطقة الخليج العربى الى القول بان من الخطأ ان نعـزو الخلافـات حـول الحـدود فى شـرق الجزيرة العربية الى سبب رئيسى هـو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه الى عامل اخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط الا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربى فى المنطقة وما يتمسك به من مفـاهيم حول حـدود السيـادة الاقليميـة والمستمدة من تراثه القبلى (٦) .

ان الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هى فقرها وعجـزها عن سـد احتياجـات سكانهـا خصوصا عندما تتزايد اعدادهم ويحدق نقص خطير فى مراعى القبائل لذا فهى بيئة طاردة نحو المناطق الاكثر غنى من بلاد البحرين وهى البيئة البحرية والبيئـة الزراعية الامـر الذى يعرض هاتين المنطقتين دائمـا لضغط سكـان الباديـة وتـوغلهم فيها ويـزداد توغلهم كلمـا احسـوا بضعـف السلطة السيـاسيـة فى هـاتـين المنطقتين . ويميل قسم منهم الى الاستقرار ولقد اوضحت دراسـة بارث عن البـداوة ان الذين يميلون الى الاستقرار من بين البدو هم الاكثر

غنى وكذلك الاكثر فقرا [٧] .

على ان الافراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل ـ بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الاراضى ـ فانهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل ما بين البدو والسكان المستقرين وما بين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار بعض زعماء القبائل بتشجيع من السلطة القائمة فى المدن . واستقرار هؤلاء هو فى الواقع اضعاف لهذه السلطة لانهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الاخيرة التى يجب ذكرها هنا فى العلاقة ما بين سكان البادية والسكان المستقرين هو ان عرب البادية فى بلاد البحرين يسيطرون دائما على طرق القوافل التجارية البرية والتى تبدأ عادة او تنتهى بالموانىء الواقعة على ساحل الخليج العربى . لذا فهم كثيرا ما يحاولون السيطرة على هذه الموانىء التجارية ليمدوا منها سيطرتهم ايضا على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر فى الخليج العربى الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك ان القوى القبلية كانت تلعب ادوارا خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فان التفاعل ما بين البداوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل احد المظاهر الاساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الوطن العربى عموما . ان هذه السمات البارزة للبيئة فى بلاد البحرين وما افرزته من نتائج قد اوردناها توطئة تساعدنا على تفهم اكثر الوقائع التى سوف نتعرض اليها فى الصفحات اللاحقة .

استقرار بنى عامر فى البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية فى فترة ضعفها ان القوى القبلية قد اخذت تلعب ادوارا سياسية رئيسية ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية فى تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانيين وبنى عقيل وبنى اسد والمنتفق وخفاجة ، الا انه بظهور الوصاية السلجوقية على الخلافة العباسية اخذت هذه الكيانات تختفى من الخارطة السياسية الواحدة بعد الاخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة/الثانى عشر للميلاد ومطلع القرن السابع/الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة فى الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه فى السابق .

ويورد لنا القلقشندى (ت ٨٢٨/١٤١٨) خارطة للتوزيع القبلى فى حدود النصف الاول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر للميلاد معتمدا فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل فى هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين متأخرين لمعلوماتهم اهمية خاصة .

ومن ابرز هؤلاء ابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥/١٢٨٦) والحمدانى المعروف بابن زماخ المتوفى فى مطلع ق ٨/١٤ ، وابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩/١٣٤٨) واخيرا ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) . والذى يهمنا من هذه المعلومات هو ما يتعلق منها ببلاد البحرين .

ان روايات هؤلاء جميعا تكاد ان تتفق تمام الاتفاق على ان القبيلة التى كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن/الثالث عشر والرابع عشر فى كل من البحرين واليمامة هى قبيلة بنى عامر بن عقيل .

فمن هم بنو عامر وما هو دورهم فى الاحداث

قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للاجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقرى بضعة قرون الى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببنى عامر .

تجمع المصادر على ان بنى عامر ينتسبون الى بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وان بطون بنى عقيل المشهورة هم بنو عبادة وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر .

وكان العراق وبلاد البحرين احد المواطن الرئيسية التى استقرت بها هذه البطون ، بعد ان غادرت موطنها فى نجد ، وقد لعبت هذه البطون ادوارا مهمة فى هذين الاقليمين ، وكثيرا ما اطلق اسم بنى عقيل على بطن او اكثر من هذه البطون ، الامر الذى يثير بعض الاشكال للباحثين فى التمييز بين الفرع والاصل وهذا ما يحدث كثيرا عندما يشار لبنى عامر فى البحرين ببنى عقيل . ويبدو ان ذلك راجع الى تجاورها فى المسكن واختلاطها بعضها ببعض[٨] .

ان من الاجدى عند دراسة القبائل ان نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد اذ ان بعض العشائر والبطون والافخاذ كثيرا ما ترتبط بهذا الاتحاد او تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية .

وفى الحقيقة فان اسم بطون بنى عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ ان انتقلوا اليها من مواطنهم فى اواخر القرن الثالث/التاسع على رأى رنز[٩]، حيث عاشوا جنبا الى جنب مع قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبنى سليم ، وكان ابرز هذه القبائل القبيلتين الاخيرتين[١٠] .

ان ترتيب الاحداث يشير الى ان بطون بنى عقيل عندما غادرت مواطنها الاصلية فى نجد استقرت فى البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، او انهم انتقلوا اليها مع ظهور حركة القرامطة بعد ان تحالفوا معهم . فابن الاثير يذكر فى حوادث سنة ٢٨٦/ ٨٩٩ ان ابا سعيد الجنابى مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقى مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . اما ابن خلدون فيروى انه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل بنى سليم والكثير من بنى عقيل حلفاء وجنود لابى طاهر سليمان ابن ابى سعيد الجنابى الذى خلف اباه فى حكم قرامطة البحرين فى حدود عام ٩١٥/٣٠٣ . كما انه قال فى موضع اخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على اعدائهم ويستعينون بهم فى حروبهم[١١] .

والواقع ان هجمات قرامطة البحرين المتكررة على عمان وبلاد الشام وارياف العراق خلال القسم الاكبر من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى[١٢]، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بنى عقيل فى هذه المناطق .

فالروايات المتواترة تشير الى ظهور نشاط بنى عقيل فى حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجة كانوا قد استقروا فى خلال هذا القرن على اطراف الفرات الاوسط حيث تصاعد نشاطهم الى درجة كبيرة فى القرون اللاحقة .[١٣] يضاف الى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الاصفر[١٤]اعتبارا من عام ٣٧٨ ، اما بنو عبادة وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بنى عقيل فى الموصل والجزيرة فى حدود عام ٩٩٠/٣٨٠ الى هذين الفرعين بعد ان استطاعوا انتزاع هذه المناطق من اسرة بنى حمدان من قبيلة بنى تغلب الا انه بعد القضاء على دولتهم فى الموصل عام ١٠٩٦/٤٨٩ عادت هذه البطون او على الاقل الغالبية العظمى منهم الى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفة ، فعاشت عبادة متجاورة فى المسكن مع بنى

المنتفق[١٥].

وبمتابعة النشاط القبلى الذى كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد ان بنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى سليم قد استقر قسم منهما فى بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطى هناك . الا انه بعد ان استطاع المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ ـ ٩٥٣/٣٦٥ ـ ٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل اتباعهم من بنى هلال وسليم وانزلهم ببلاد الصعيد[١٦].

اما مصير القسم الاكبر من بنى سليم فى بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتخاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس/الحادى عشر ، اتحدت عبدالقيس مع بنى عامر احد بطون عقيل ضد بنى سليم واخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بنى المنتفق (الخلط) فغادروها الى افريقيا (تونس)[١٧].

ان ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندى بدقة نسبية فى التمييز بين هذه البطون فهو يذكر انه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) الى افريقيا ، بقيت فى جهات بلاد البحرين سائر بنى عقيل ، الى ان استطاع احد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق ان يتغلبوا على بنى ابى الحسين[١٨] (العيونيون) وينتزعوا الملك منهم فى بلاد البحرين وعمان .

بقى ان نضيف ملاحظة اخيرة الى ما ذكره ابن خلدون من ان بنى عامر يعيشون الى الجنوب من البصرة الى جوار اخوتهم المنتفق [١٩]، فانه قصد بذلك بأن مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا فى ذلك الى ما اورده سابقا من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بنى عامر . كما انه من الممكن ان نشير ايضا الى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من ان مواطن المنتفق فى البصرة هى الى جوار بنى عامر وبين ما ذكره فى موضع اخر من ان بنى المنتفق قد انتقلوا الى افريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . اذ ان ابن خلدون قد قصد بذلك الى ان قسما من المنتفق قد انتقل الى افريقيا اما القسم الاكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا فى هذه الاماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثة .

والواقع ان بطون بنى عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر واللذان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعمان كانوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعيا ان تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

ان هذا التقارب فى الاصل والموطن هو الذى حمل البعض على ان يطلق اسم احد البطون على الاخرى او ان يستعمل اسما جامعا لكافة هذه الفروع فى هذا الامتداد الجغرافى والقبلى المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمرى فى القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبطونها من عامر والمنتفق وغيرهما يعبر عنهما بعرب البحرين[٢٠].

علاقة بنى عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم فى هذه الفترة

« ان استعراضنا لنشاط بنى عامر فى هذه الفترة سوف يكون من اهدافه الاولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التى كانت تربطهم ببلاد البحرين ،ثم اضعاف ان لم يكن نفى الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطا اشد الارتباط بسقوط دولة بنى عقيل فى الموصل والجزيرة عام ٤٨٩/١٠٩٦ .[٢١] اذ ان الاحداث التى سوف نوردها ولعب فيها بنو عامر دورا رئيسيا قد وقعت قبل تاريخ سقوط دولة بنى عقيل . على اننا لا نستطيع ان نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بنى عقيل من جهات الموصل الى جهات البصرة .

لقد سبقت الاشارة الى ما رواه كل من ابن الاثير وابن خلدون عن قيام تحالف بين قرامطة البحرين وبعض القبائل ، والتى كان من بينها بنو عقيل ، وغنى عن القول بأن هذا التحالف لا يقتضى بالضرورة وجود اتفاق تام فى الاهداف والمبادىء بين الطرفين اذ ليس هناك ما يشير الى ان هذه القبائل قد تقبلت معتقدات القرامطة ، كما انه ليس هناك من دليل على ان الزعامة القرمطية كانت تقيم تحالفاتها على اسس عقائدية دائما ، بل انه من المؤكد ان مثل هذه التحالفات قد قامت نظرا لوجود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين . ان اقليمى البحرين واليمامة هما من الاقاليم التى تكررت فيها الحركات الخارجة على السلطة المركزية فى بغداد قبل ظهور القرامطة ، وان البعض من هذه الحركات كان ذا اهداف ومبادىء سياسية ودينية معينة ، وقد ساهمت بعض قبائل هذه الاقاليم فى هذه الحركات خصوصا قبائل عبدالقيس . وبالرغم من فشل هذه الحركات الا انها بالتأكيد قد تركت اثارا فى نفوس وعقول السكان وان اقل ما يمكن ان يقال فى ظاهرة التمردات المتعددة فى هذه المناطق هو وجود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرها الحملات العسكرية التى جردت ضدها وما يرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الامر الذى جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما اتيحت لهم الفرصة لذلك . وفى تقديرنا ان العامل الرئيسى الذى يدفع القبائل للتعاون مع الخارجين على السلطة المركزية هو حالة الفقر المدقع التى يعيشها افرادها نظرا لفقر بيئتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيم بدوية ومفاهيم سياسية يتضاءل امامها اى وازع حتى الوازع الدينى لذا فهم ينظرون الى سكان المناطق الحضرية نظرة فيها الكثير من الازدراء والحقد ، لما يتمتع به هؤلاء من رفاء نسبى فى العيش مقارنة بحياتهم البائسة . كما انهم ينظرون الى المناطق الحضرية على انها المجال الحيوى لنشاطهم ولسد احتياجاتهم المادية ، بصورة سلمية او حربية ، فعيشهم فى اطراف سيوفهم كلما اضطروا الى ذلك .

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التى تغلب عليها البداوة فى عيشها او فى قيمها مع الزعامة القرمطية التى قد تتيح لهم فرصة للكسب . اما القرامطة فقد كانوا يرون بالتأكيد فى هذه القبائل القوة العسكرية الاساسية التى يمكن بواسطتها تحقيق اهدافهم او بعضها دون ان تكلفهم اعباء مالية باهظة فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد مادية وسياسية واضحة . على انه يجب ان نستدرك فنقول انه لا يمكن ان نتوقع ان تسير العلاقة بين هذين الطرفين بشكل متوافق ولمدة طويلة . اذ لا بد ان تثور المنازعات فيما بينهم لسبب او لآخر وقد المح ابن خلدون الى ذلك حين قال : كان القرامطة يستعينون بعرب البحرين فى حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم فى بعض الاوقات[٢٢]. وكلما ظهرت بوادر ، ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، واذ كنا قد اشرنا فيما سبق الى اضطرار بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة الى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجرة بعلاقات سلبية مع السلطة القرمطية لعدم توفر الدليل الواضح الذى يؤثر ذلك الا اننا نملك بعض الامثلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطة عليهم خصوصا فى فترة ضعفهم وارتخاء قبضتهم على البلاد حيث اصبحوا تحت رحمة حلفائهم .

ان ما يعنينا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت اليهم بصلة نسب قريب ونتابع هذا النشاط حتى نجاحهم فى الاستيلاء على السلطة فى بلاد البحرين .

يقول ابن الاثير انـه فى سنة ٣٧٨/٩٨٨ ـ ٨٩ قام زعيم المنتفق المعروف بالاصفر (ويرد تارة باسم الاصيفر)ـ وهو لقب له فيمـا يبدو وليس باسمه الحقيقى ـ بحشد جموع كثيـرة وحـارب القرامـطة وانتصر عليهم واوقـع بهم خسائر كبيـرة ثم حاصـرهم بالاحسـاء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف الى القطيف فاكتسحها واخذ ما فيها من عبيد واموال تعود للقرامطة ثم انسحب الى البصرة[٢٣].

ان ابن الأثـير لم يعطنـا أية تفـاصيل عن الموضع الذى تحـرك منه الأصفـر ، فلا نعلم أكانت البصرة هى المكان الذى تحرك منه واليه عاد أم ان ذهابه الى حدود البصرة كان خشية من أن ينتقم منه ؟ ومهما يكن من أمر فان زعيم المنتفق كان يقوم بنشـاطه فى مناطق يعتبـرها القرامطة واقعة تحت نفوذهم . والدليل على ذلك انه عندما قام معز الدولة ومعه الخليفة المطيع بـالله بـالزحـف عـلى البـصـرة عـام ٣٣٦/٩٤٧ ـ ٤٨ لانتـزاعها من أبى القـاسم البريدى وسلكوا اليها طريق الصحـراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمـل خرقا لحـرمة أراضيهم التى لا يمكن سلوكهـا بدون أذنهم وقد دفعهم هذا الانتهاك لأراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب عمان فى الهجوم على البصرة عام ٣٤١/٩٥٢ ـ ٥٣ [٢٤] . فـزعيم المنتفق الأصفـر كـان نشـاطه مستمرا فى هذه البادية ما بين البصرة والبحرين حتى وفـاته ، يعتـرض طريق الحـاج ويـرغم البويهيين على أن يدفعوا له مبالغ معينة لقاء عدم تعرضه للحاج[٢٥] ، ومن الجدير بالذكر ان مثل هذه الأعمال كانت فى السابق موكولة للقرامطة . وان بروز نفوذ المنتفق فى هذه الفترة وفى بادية البصـرة دليـل واضـح عـلى انكمـاش نفـوذ القرامطة .

أما الرحالة الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا انه خلال وجوده فى الاحساء عام ٤٤٣/١٠٥١ شاهد أميرا عربيا يحاصرها وانه قد مضى على حصاره لها سنـة كاملة . وقـد قال له الأمـير العربى انه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لأن أهلها لا دين لهم[٢٦] . على ان الرحالة خسرو لم يـذكر لنـا اسم القبيلة المتمردة أو زعيم هـذه القبيلة ، الا انها اشارة مهمة تدل أيضـا على تداعى سلطة القرامطة وخروج بعض القبـائل عليهم . وأعقب هذه الأحداث بقليل قيام أحد الأثرياء العرب فى جزيرة البحرين الملقب بأبى البهلول واسمـه العوام بن محمـد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة أوال (البحرين) عـام ٤٥٠/١٠٦٨ ، ولقد سـارع القـرامـطة بـالاستعـانـة ببنى عـامـر وبعض بـطون عبـدالقيس ، الا ان العـوام انتصر عليهم فى معركة بحرية وأعلن استقلاله فى الجزيرة وولاءه للخليفـة العباسى[٢٧] . ثم ثـار على القـرامطة بنـومحارب أحد أقوى بطون عبدالقيس بزعامة ابن عياش الذى انتزع القطيف منهم فى العقد السادس من القرن الخامس/ الحادى عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة أوال منتزعا اياها من العوام[٢٨] ومن المحتمل جدا ان بنى عـامر كـانوا هم القـوة الرئيسيـة ان لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التى بقيت الى جانبهم حتى النهاية . ان دى غويه الذى كتب عن نهاية قرامطة البحرين معتمدا على الشروح والتعليقـات الفنيـة لمخـطوطه نـادرة لديـوان ابن المقرب تفوق كثيرا مخطوطة بومبى ، ذكر بأن بنى عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة أن يدفعوا لهم جزءا من حاصلات بلاد البحـرين مقـابل الحمـاية أو الخفـارة[٢٩] والخفارة أو الحماية نـظام كان معـروفا عنـد العرب قبـل الاسلام بقرون عديدة وقد ظل موجـودا حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونـه حقا من حقـوقهم وكان عدم الاقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجـارية ومنـاطق الاستقرار لهجمـاتهم . ان اعتراف القرامطة لبنى عامـر بهذا الحق هـو

موقف يبدو سليما من جانبهم لأنه يخفف عنهم أعباء أمنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، الا انه من الوجهه الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء أمام قوة بنى عامر .

علاقة بنى عامر بالعيونيين

لقد تلا الأحداث التى أشرنا اليها سابقا والتى هى مؤشر على ضعف وتداعى قوة القرامطة قيام عبدالله بن على العيونى الذى ينتمى الى عبدالقيس بمحاولته الناجحة فى انهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعينا بسلطان السلاجقة أبى الفتح ملكشاه الذى أرسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف أولا من ابن عياش عام ٤٦٧/ ١٠٧٤ ثم تلا ذلك انتزاعه للاحساء من القرامطة فى حدود عام ٤٦٩/ ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧ وأقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية فى بغداد .

ومما هو جدير بالملاحظة ان بنى عامر وقفوا الى جانب القرامطة فى محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن على العيونى[٣٠] .

ان قيام سلطة العيونيين الجديدة فى بلاد البحرين لم تمنع بنى عامر من محاول فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بأن يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهروا سلاحهم ضد الأمير عبدالله بن على العيونى الذى كان قد قطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات الا ان الأخير تصدى لهم بقوة وعنف وأوقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الأمر الذى اضطر قسما منهم الى اللجوء الى قبيلة المنتفق بجوار البصرة[٣١] .

على ان نشاط بنى عامر لم يتضاءل أو يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين نحو الانحدار التدريجى ، بل اننا نستطيع أن نقول الا فترة قصيرة ، ثم أخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب انهم كانوا أحد العوامل الرئيسية فى أضعاف سلطة العيونيين وان ما سوف نورده من وقائع يؤيد ما ذهبنا اليه .

فابن الأثير يذكر فى حوادث عام ٤٨٣/ ١٠٩٠ ان زعيم بنى عامر قد قام على رأس عشرة آلاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهبا شنيعا وأحرق بعض مواضعها الأمر الذى حمل السلطة ببغداد على الاسراع فى ارسال نجدات كبيرة لانقاذ المدينة المنكوبة[٣٢] .

ان هذا الحادث يعكس لنا ان بنى عامر قد أصبحوا سادة البادية ما بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده أيضا وصف الشريف الادريسى (ألف كتابه فى حدود عام ١١٥٣/٥٤٨) لبادية البحرين حيث قال .. « ويتصل بالقطيف الى ناحية البصرة بر متصل لا عمارة فيه ، أى ليس فيه حصن ولا مدينة وانما به اخصاص القوم من العرب يسمون عامر ربيعة »[٣٣] .

ومهما يكن من أمر فان اشعار ابن المقرب العيونى (ت فى حدود عام ٦٣٠/١٢٣٢ ـ ٣٣) طافحة بالاشارة الى نشاط بنى عامر والى الصدامات التى كانت تحدث فيما بينهم وبين الحكام العيونيين وكثيرا ما حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيلة (أو عقيلة)[٣٤] . فقد كان بنو عامر يصرون على أن يدفع لهم العيونيون من الأموال مثلما كان القرامطة يدفعونه لهم . الى أن نجحوا فى النهاية فى ارغام العيونيين على الاقرار لهم بذلك . لذا فقد وصف ابن المقرب فى احدى قصائده بلاد البحرين بأنها أرض عامر لأنهم أهل البادية وأصحاب خفارتها[٣٥] .

ان خضوع الحكام العيونيين لمطالب بنى عامر مؤشر واضح على عجزهم عن اخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضيةمعهم . وان ذلك يمكن أن يترجم على ان بنى عامر قد أصبحوا يتحملون مسئولية حماية أرياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والتجار والسلطة الحاكمة . الأمر الذى جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعا مما سوف يمكنهم فى المستقبل من تطويرها الى علاقات ذات طبيعة سياسية أيضا .

كما انه من الجهة الأخرى أصبح زعماء بنى عامر فى وضع مادى مكنهم من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لكى يعترف هؤلاء بزعامة بنى عامر وعدم التعرض من جانبهم الى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدى الى تزايد الدور الذى يلعبه بنو عامر فى حياة بلاد البحرين .

ولعل ما أورده كل من ابن الأثير وابن خلدون يعكس مدى تزايد قوة بنى عامر فى نهاية القرن السادس/الثانى عشر فقد ذكر بأنه فى سنة ١١٩٢/٥٨٨ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة (بن سنان بن عقيلة بن شبانة) بمهاجمة البصرة ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتا خفاجة والمنتفق لصدهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ١١٩٦/٥٩٣ ـ ٩٧ ان هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشرا على ضعف العيونيين الذين كان قد أوكل اليهم الخليفة الناصر لدين الله حماية أرياف البصرة وطريق الحاج[٣٦] .

لقد أشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئة فى بلاد البحرين الى ان البدو يأخذون بالتغلغل التدريجى فى مناطق الاستقرار فى ظل ظروف معينة ، وكما أوضح كوبر فان أى شىء يضعف الحكومة فى مناطق الاستقرار ينتج عنه تغلغل البداوة [٣٧] ومن بين الذين يستقرون منهم بعض أفراد الأسر التى تتزعم القبائل ، الا انهم يحافظون على صلتهم بقبائلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثرة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون الى الاشتراك بها بطريقة أو أخرى مرتكزين فى قوتهم على قبائلهم .

وتنطبق هذه الصورة بوضوح على بنى عامر منذ النصف الثانى من القرن السادس خصوصا بعد أن أصبحوا يشكلون جزءا أساسيا من سكان البحرين ، وكانوا القوة التى ارتكز عليها الحكام العيونيون فى المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو .

ولقد ازداد ارتباط بنى عامر بالأسرة العيونية الحاكمة بالبحرين وذلك عن طريق المصاهرة التى من الواضح ان دوافعها كانت سياسية[٣٨] . فازداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا فى الصراعات التى كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم الى هذا الحاكم أو ذاك بحسب مصالحهم . ومما هو جدير بالملاحظة هنا ان بنى عامر أخذت تظهر بين أفخاذهم زعامات متعددة وينتسب كل فخذ الى زعيمه فهناك الشبانات نسبة الى زعيمهم شبانة والقديمات نسبة الى زعيمهم قديمة والغفيلات أو العقيلات نسبة الى زعيمهم غفيلة أو عقيلة وكل فخذ أوأكثر كان يمنح ولاءه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكم البلاد . الا انه من الواضح ان قوة بنى عامر الرئيسية كانت تتركز فى يد أسرة عميرة بن سنان بن غفيلة . فمصادرنا تشير الى ان زعيم بنى عامر راشد بن عميرة أخذ يلعب دورا هاما فى الحياة السياسية[٣٩] . فقد اشترك مع أحد أفراد الأسرة العيونية الطامح فى السلطة المدعو

غرير بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن أبى الحسين مقابل حصول راشد على جميع أموال الحاكم الموجودة فى القطيف وأوال بالاضافة الى حصوله على عدد من السفن والدنانير التى سوف تدفع له سنويا .

وقد تم تنفيذ المؤامرة وتولى غرير بن الحسن السلطة(٤٠) . الا ان الفضل ابن القتيل سارع الى الاستعانة بخاله الحسين بن المقداد بن سنان زعيم أحد أفخاذ بنى عامر . كما طلب الفضل المساعدة من الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥/ ١١٨٠ ـ ٦٢٢/ ١٢٢٥) فأنجده بها . ولما نجح الفضل فى استلام السلطة قرب اليه قسما كبيرا من بنى عامر الذين أخذوا يمارسون نفوذا كبيرا عليه ، فمنحهم ما أرادوا بأن أقطعهم البساتين فى أوال والعيون الجارية بما تسقيه من النخيل والأراضى وقسم عليهم جميع مناطق صيد الأسماك . كما ملكهم السفن التجارية وسفن الغوص وما فيها من الغاصة . وأخذوا يتوارثون ذلك(٤١) .

وقد أوضح الشاعر ابن المقرب فى احدى قصائده بأن بنى عامر قد أصبحوا يملكون كل شىء ويلبسون الحرير ويركبون الخيول المطهمة ويأكلون أحسن الطعام(٤٢) .

ولعل القصيدة التالية لابن المقرب العيونى تعبر أصدق تعبير عن مدى تغلغل بنى عامر فى الحياة الاقتصادية والسياسية فى بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذى أصبح يهدد المستقبل السياسى للأسرة العيونية الحاكمة(٤٣) .

أخذوا الحسا من الكثيب الى محا
ديث العيون الى نقا حلوان(٤٤) .
والخط من صفواء حازوها فما
ابقوا بها شبرا الى الظهران(٤٥) .
والبحر فاستولوا على مافيه من
صيد الى در الى مرجان
ومنازل العظماء منكم أصبحت
دورا لهم تكرى بلا اثمان
وأمضن شىء للقلوب قطائع
بالمروزان لهم وكرزكان(٤٦) .

ومهما يكن من أمر فان هذا التغلغل الواسع لبنى عامر فى المرافق الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطرة سياسية . لأن كل سيطرة اقتصادية سوف يعقبها حتما سيطرة سياسية . على ان الذى يجدر بالذكر هنا هو ان ضعف وتداعى الدولة العيونية فى بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادره من جزيرة قيس التى حلت محل سيراف كمركز تجارى رئيسى فى الخليج العربى ، وقد استطاع ملوكها من بنى قيصر بعد عدة هجمات على سواحل وجزر البحرين ، فرض شروط معاهدة لم تكن لصالح العيونيين ، اذ أصبح بموجبها لملوك بنى قيصر جزء كبير من واردات بساتين القطيف والاحساء ومن واردات مغاصات اللؤلؤ بالبحرين(٤٧) فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء كبير من وارداتها ، اضافة الى تحكم قيس بتجارة الخليج العربى ، ومما هو جدير بالاشارة هنا ان وصف ابن المجاور لجزيرة البحرين أوال فى حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ، اذ يقول بأن أهلها شبه البحر فى كرمهم وان جزيرة أوال بها ثلثمائة وستين قرية امامية المذهب ماخلا قرية واحدة ، وليس هناك أجود من لؤلؤها(٤٨) .

قيام امارة العصفوريين العامرية

أن حالة التمزق والتداعى الذى اخذ يهدد امارة العيونيين بالسقوط منذ مطلع القرن السابع/ الثالث عشر ، قد أثار كما يبدو حالة قلق واسعة بين اعيان بلاد البحرين ، بعد أن

ادركوا تمام الادراك عجز الحكام العيونيين بما هم عليه من الضعف عن حماية الأمن ، الأمر الذى سوف يعرض اموالهم ومصالحهم التجارية للخطر من قبل بنى عامر اذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فأخذ اغنياء البحرين واعيانهم يتسابقون الى ارضائهم بالأموال والهدايا ويقيمون معهم صلات شخصية وثيقة ، بل ويتواطأون معهم ضد العيونيين ، وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان ابراهيم بن عبدالله بن ابى جروان ابرز اعيان الاحساء وأثريائها . وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيونى المعاصر للأحداث بقصيدة جاء فيها :

اتراك ترضى أن يحدث جاهل
أو عالم من نازح أو دان

فيقول كان خراب دار ربيعة
بعد العمار بنوابى جروان(٤٩)
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة
عربية شهدت بها الثقلان

وقد تطور الأمر اخيرا الى اتفاق معظم اعيان الاحساء ووجوهها على تسليم السلطة فى البلاد الى زعيم بنى عامر المحنك الشيخ عصفور بن راشد بن عميرة ، فاتصلوا به واتفقوا معه على خطة يقوم بموجبها بمحاصرة الاحساء على أن يقوموا بدورهم بخذلان الحاكم العيوني الأمير الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاتلة بنى عامر بل عليه أن يسترضيهم وأن يفتح لهم ابواب أسوار الاحساء . وفى حالة نجاح هذه الخطة فقد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بأن يكتفى بالاستيلاء على املاك الأسرة العيونية جميعها وان لايتعرض لغيرها من الممتلكات .

وقد تم تنفيذ الخطة بنجاح وقبض الأمير عصفور على الأمير العيونى الفضل بن محمد وطرده من الاحساء بعد أن كان قد استولى على كافة امواله وأموال اسرته وكف عن أموال الآخرين(٥٠) وهكذا تم لبنى عامر الاستيلاء على السلطة فى الاحساء وانهاء حكم الأسرة العيونية فيها وبذلك استطاعوا أن يحققوا الخطوة الأولى والأهم لكى يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على أن مصادرنا لا تسعفنا بتاريخ محدد لاستيلاء الأمير عصفور بن راشد بن عميره العامرى على السلطة فى الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر الذى الف كتابا فى تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم فى العقد الرابع من القرن السابع(٥١) . ومن الواضح كما سوف نرى بأن هذا التاريخ الذى حدده الشيخ العبدالقادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذى نميل اليه أن ذلك قد تم على فترات وان تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو حدود العقد الثانى من القرن السابع/العقد الثانى من القرن الثالث عشر ولقد استندنا فى تقرير ذلك الى قائمة الحكام العيونيين ومدة حكمهم فى كل من الاحساء والقطيف وأوال والتى اوردها صاحب المخطوطة التيمورية والذى كان معاصرا للأحداث كما يفهم من اشاراته(٥٢) .

بعد أن استولى الأمير عصفور بن راشد بن عميره بن سنان على واحات الاحساء ، اصبحت تواجه امارته الفتية مسئوليات متعددة ، وأهمها هى اولا حمايتها من الأخطار المحتملة من بقايا الأمارة العيونية فى كل من واحات القطيف وجزيرة أوال وثانيا الخطر المنبعث من مملكة جزيرة قيس التى تملك اسطولا بحريا وتجاريا قويا يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربى ، واذا كان من الصعب حسم العداوة ما بين بنى عامر والعيونيين الا عن طريق القوة ، فانه من الممكن جدا اقامة علاقات حسنه مع بنى قيصر ملوك جزيرة قيس

خصوصا فيما اذا اعترف لهم بحقوقهم فى جزء من واردات بساتين الاحساء كانت قد ضمنتها لهم المعاهدة المعقودة سابقا بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الأمير الفضل الذى كان قد اطاح بحكمه العصفوريون . واذا ما تحقق ذلك فان الامارة العصفورية الناشئة سوف تستطيع المحافظة على منفذها على الخليج وهو ميناء العقير الذى لايمكن لها الاستغناء عنه فى صلاتها ما بين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجي . كما انه من الجهة الأخرى ربما سوف يتمكن الأمير عصفور بن راشد من تحييد بنى قيصر فيما اذا حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونيين .

ومن المرجح جدا ان مثل هذه العلاقة الحسنة ما بين الطرفين قد تحققت بما يفهم من كلام ابن المجاور (ت ٦٩٠/١٢٩١)[٥٣]، وكما يستدل من وصف المؤرخ العثماني أحمد منجم باشى (ت١١١٣/١٧٠٢) [٥٤] **للأمير عصفور انه مقدم امراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس** [٥٥] . **فهذا وصف للأمير عصفور بن راشد يحمل فى طياته دلالات معينة هى وجود علاقة حسنة بين الطرفين ، ومهما يكن من أمر فأن منطق الأمور يقودنا الى مثل هذا الاحتمال ، اذ أن ملوك بني قيصر بالاضافة الى انهم سوف يضمنون حقوقهم فى جزء من واردات الاحساء فان قوة الأمير عصفور هى أحد الضمانات المهمة لاستمرار حصولهم على جزء من واردات اوال والقطيف من العيونيين ، اذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونيين فى سبيل هذا الهدف .**

ومهما يكن من أمر فاننا نجهل بشكل دقيق الكيفية التى تم بها انتقال القطيف الى حكم بنى عامر ، وكل ما نعرفه أن صاحب المخطوطة التيمورية قد ذكر بأن آخر حاكم عيونى هو الأمير محمد بن محمد بن ابى ماجد كان قد غادر القطيف فى حدود عام ٦٣٠/١٢٣١ ـ ٣٢ أو قبلها بقليل وان حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة اوال[٥٦] . أما وصاف الحضره (ت ٧٣٥/١٣٣٤ ـ ٣٥) فانه كان أكثر وضوحا عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيونى الأمير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الأتابك أبو بكر السلغرى على جزيرة اوال قال بأن القطيف كان يحكمها انذاك أقوى شيوخ العرب واوسعهم نفوذا هو أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمر (عميره) بن سنان[٥٧] . ومما لاشك فيه بأن أبا عاصم هذا ما هو الا أحد زعماء بنى عامر وقريب الصلة بالأمير عصفور . والسؤال الذى قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة فى القطيف وهل أبو عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائبا عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد أم انه كان مستقلا عنه تمام الاستقلال ؟ والذى نميل اليه هو ان الصلة وثيقة بين الاثنين وأن الأمير عصفور كانت زعامته معترفا بها بين كافة افخاذ بنى عامر ، ونستدل على ذلك من الأحداث التى سوف تتلو مقتل الامير أبي عاصم حيث أن الشيخ عصفور أخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقى بلاد البحرين من دون أن تثور في وجهه معارضة قبلية . من الواضح اذا انه فى حدود نهاية العقد الثالث / من القرن السابع/ الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة أوال كما أن سيطرتهم قد امتدت الى اليمامة وعمان أيضا .

قال ابن سعيد المغربى الذى كان قد زار المشرق العربى مرتين ، الأولى بين عامى ٦٤٨ ـ ٦٥٢/١٢٤٥ ـ ١٢٥٤ والثانية عام ٦٦٦/١٢٦٧ وهو يصف بلاد البحرين بأن (بين القطيف واليمامة مجالات بنى عامر ولم يبق معهم لأحد من العرب عز فى بلاد اليمامة والبحرين ، ومنهم الآن ملوك الصقعين » . ثم

وصف بنى عامر فى موضع آخر فقال بأنهم عرب اليمامة والبحرين([٥٨]) .

والواقع فان الروايات عن نفوذ بنى عامر فى القرن السابع/الثالث عشر والتى ترد عند ابن فضل الله العمرى وابن خلدون والقلقشندى كلها منقولة عن ابن سعيد المغربى وهى تتشابه الى حد كبير لفظا ومعنى . فهم ينقلون قوله سألت أهل البحرين فى سنة ٦٥١/ ١٢٥٤ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا « الملك فيها لبنى عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم اصحاب الاحساء دار ملكهم » .([٥٩]) .

كما ترد رواية عن ابن سعيد المغربى تتعلق بنفوذ بنى عصفور فى اليمامة فهو يقول « سألت عرب البحرين لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا للعرب من قيس عيلان وليس لبنى حنيفة بها ذكر »([٦٠]) .

ولعل النص التالى الذى يروى عن ابى سعيد هو أكثر وضوحا ، فعند حديثه عن بنى عامر قال « وملكوا ارض اليمامة من بنى كلاب ، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه »([٦١]) . ومما هو جدير بالذكر أن ابن خلدون ينفرد بأن بنى عصفور قد غلبوا أيضا على عمان .([٦٢]) .

علاقة امارة العصفوريين بالسلغريين (اتابكة فارس) .

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين باتابكة فارس من السلغريين ، يجدر بنا أن نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الاوضاع العامة فى الخليج العربى فى الربع الثانى من القرن السابع/ الثالث عشر .

فالملاحظة الاولى هى ان بلاد فارس اخذت تتعرض فى هذه الفترة لهجمات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على اثر الهزائم القاسية التى الحقها بهم المغول . ثم ما لبث ان ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين من المسرح بقليل فانتشرت هجماتهم فى رقعة واسعة من ايران . وقد ولدت هذه الهجمات المتكررة تخريبات واسعة واضطرابا فى الحياة السياسية والاقتصادية والامنية فى ايران ووصل اثره الى مياه الخليج العربى وسواحله الشرقية وفى مثل هذا الجو من الخوف والهلع يمكن لنا ان نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الاكثر أمنا من الخليج . ولما كانت الجزر والشواطىء العربية بعيدة نسبيا عن مراكز الخطر فهى اكثر أمنا ، لذا فأن قسما من المهاجرين كان لابد له أن يندفع للاستقرار فيها واذا ما توقعنا ان نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والاثرياء الذين هم من اكثر الطبقات شعورا بالخوف فاننا نستطيع ان نقول بان امارة العصفوريين قد تعزز مركزها الاقتصادى والسياسى بأستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين .

والملاحظة الثانية هى ان الامارة العيونية التى اصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة أوال ثم بعد ذلك على جزيرة أوال فقط كانت تعانى ضغطا شديدا فى الوقت الذى كان تحت سلطانها اثمن ثروة فى الخليج وهى مغاصات اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملوك جزيرة قيس من بنى قيصر .

ان مجمل هذه الاوضاع فى الخليج العربى كان لابد ان تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة منها فى الحصول على افضل غنيمة . وكان اسبق هؤلاء امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، اذ استطاع فى جمادى الاخرة عام ٦٢٦/ مارس ١٢٢٩ **الاستيلاء على جزيرة قيس بعد ان تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بنى قيصر** . وبذلك انهى حكم هذه الأسرة فى جزير قيس ([٦٣]) . وبعد ان تم لامير هرموز ذلك ارسل نوابه الى جزيرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيونى الامير منصور

بن على بان يدفع لهم من واردات البحرين مثلما كان يدفعه لبنى قيصر على اعتبار ان امير هرموز اصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد ان ادخل قاعدتهم الرئيسية تحت سلطانه . وقد اضطر الامير العيونى على الاقرار لامير هرموز بهذه الحقوق (٦٤) .

الا انه بعد وفاة اتابك فارس الامير سعد بن زنكى بن سنقر بن مودود السلغرى عام ٦٢٨/ ١٢٣٠ - ٣١ خلفه فى الملك ابنه ابو بكر (٦٢٨/ ١٢٣٠ - ٦٥٨/ ١٢٦٠) فثار نزاع بينه وبين امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، ويعلل لنا زكريا القزوينى سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم امير هرموز لهم قد استغاثوا بأبى بكر السلغرى فى حين ان غفارى القزوينى (ت ٩٧٥/ ١٥٦٧ - ٦٨) ومنجم باشى يعللان اسباب هذا النزاع بخروج امير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التى كان يؤديها سابقا للسلغريين وذلك بعد وفاة اتابك سعد ، مما حمل الامير الاتابك ابو بكر على ان يحشد ضده جيشا كبيرا مستعينا باصحاب السفن من اتباع بنى قيصر والذين لابد ان يكون القسم الاكبر منهم من العرب ، وقد استطاع ابو بكر فى محرم ٦٢٨/ تشرين الثانى ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من امير هرموز ، وبعد ذلك سعى ابو بكر لان يبسط نفوذه على كافة المناطق التى كان لبنى قيصر نفوذ عليها فقام بارسال عماله الى جزيرة أوال ليطالبوا حاكمها العيونى بأن يدفع له مثل ما كان يدفعه لبنى قيصر سابقا ولامير هرموز لاحقا ، ولكن الاموال التى تجبى فى هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية فى بغداد وان ابا بكر نائب عنه وقد خضع الامير العيونى لهذه المطالب . ومما يجدر ذكره هنا ان صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفى الاتابك الذين كانوا يتولون الاشراف على جباية حقوقه فى جزيرة اوال (٦٥) .

على ان الاتابك ابا بكر السلغرى لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة اوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع فى خطته هذه من الامير عصفور بن راشد ، فارسل ضدهما حملتين بحريتين احداهما عام ٦٣٠/ ١٢٣٢ - ٣٣ والثانية عام ٦٣٣/١٢٣٥ - ٣٦ الا ان الامير العيونى محمد بن محمد بن ابى ماجد الذى خلف منصور بن على فى الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين (٦٦) .

اننا نميل الى الاعتقاد انه فى حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التى اخذت تمر بها الامارة العيونية وهى تواجه اطماع السلغريين .

ومهما يكن من امر فان الاتابك ابا بكر قد اعد حملة بحرية كبيرة عام ٦٣٦/ ١٢٣٨ - ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالها الاستيلاء على جزيرة أوال وقتل آخر حكام العيونيين الامير محمد بن ابى ماجد ثم نهبت امواله واموال اسرته وتعرضوا لتنكيل شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وان الامر الجدير بالأنتباه هنا ان وصاف الحضرة قد سكت تماما عن الحملات الفاشلة التى قادها ابو بكر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجة من عام ٦٣٣/ أب ١٢٣٥ كتاريخ لاستيلاء ابى بكر على جزيرة اوال ، وعنه اخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد اشاروا الى هذه الواقعة . ان سبب متابعتهم لوصاف يعود الى عدم اطلاعهم على ما اورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هذه الوقائع والتواريخ التى ذكرناها . لقد رجحنا اقوال الأخير لانه معاصر للأحداث بل فى موقع الأحداث ، فهو احد الموظفين الذين عملوا فى جزيرة اوال فى خدمة ابى بكر السلغرى (٦٧) . فى حين ان وصاف قد الف كتابه سنة ٧٢٨/ ١٣٢٨ أى بعد حوالى

القرن من وقوع هذه الاحداث . ويعطينا الوصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بانه بعد الاستيلاء على أوال والتى يسمونها البحرين ثبتت فى ديوان الخليفة المعتصم بالله ، وفى كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به الى بغداد مع معتمد الخليفة فى أوال ثم يضيف القول أيضا بأن الاتابك أبا بكر السلغري بعد ان انتهى مباشرة من أوال اعتزم الاستيلاء على القطيف ، الا ان مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة [٦٨] . الا انه من المحتمل ان لهذا التردد والتأجيل علاقة بالأخطار التى اخذت تهدد بلاده فى هذه الفترة من قبل المغول ، بعد ان اخذت هجماتهم تنتشر فى مناطق عديدة من ايران ، على الرغم من انه ـ وكما يذكر الجوينى كان قد سبق له ان ارسل اخاه تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينة [٦٩] . الى اوكتاى (ت ٦٣٩/ ١٢٣١) الذى تولى حكم المغول بعد وفاة جنكيز خان . ومن الواضح ان الاتابك كان بذلك يحاول استرضاء المغول لتحاشى خطرهم عن بلاده .

بعد مرور اكثر من خمس سنوات على استيلاء الاتابك ابى بكر السلغرى على جزيرة اوال ، سنحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانىء ساحل بلاد البحرين ، ففى ربيع عام ٦٤١/ ربيع ١٢٤٤ جرد حملة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل اكبر شيوخ بنى عامر فيها وهو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان ، والذى كان كما يبدو حاكما لمنطقة القطيف . اذ أن وصاف قد نعته بانه كان « من وجوه العرب ومشايخهم ومن ارباب المجد الشامخ والكرم الباذخ » [٧٠] . وكنتيجة للانتصار الذى احرزه الاتابك فى معركة تاروت استطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الاتابك ترمى الى حكم هذه المناطق حكما مباشرا ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . الا ان وجود هذه القوات الاجنبية قد اثار غضب واستياء بنى عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكررة ويضايقونها الامر الذى حمل الاتابك أبا بكر على ان يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته من ازمتها واعبائها المالية، لذا فقد لجأ الى استرضاء العصفوريين بأن أخذ يدفع لشيوخهم اتاوه سنوية مقدارها اثنا عشر الف دينار مصرى ، على ان يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جنى محصول نخيل واحات القطيف وفى مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للادارة السلغرية .

ولقد كان بنو عصفور وفى احايين كثيرة يلجأون الى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجود تلكؤ ، من قبل السلغريين فى دفع هذه الاتاوة بل ان شيوخ بنى عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الاتاوة السنوية المقررة لهم . اذ يروى لنا وصاف حكاية تعكس بعض متاعب الادارة السلغرية وهو ينقل ما يرويه عن احد موظفى الاتابك الذين كانوا يعملون فى جباية الرسوم فى ميناء القطيف . ومفادها انه فى بعض الاحيان يقوم بعض الشيوخ بأرسال احد اتباعه الى موظفى الاتابك فى ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغا من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تلكؤا فى دفع ما يطلب منهم ، يتم ارغامهم على الدفع عن طريق التهديد بأستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف الى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون الى ما يدفع لهم من أتاوة ، كحق من حقوقهم الثابتة ، وانها بمثابة الفدية لقاء قبولهم ببقاء اتابكة فى بلادهم .

فى ضـوء التجربـة الصعبة التى مـرت بها الادارة السلغرية فى بعض اجزاء بلاد البحرين والتى استمرت لمدة تـزيد عـلى العشر سنوات ونتيجة للاخطار الخـارجية التى آخـذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الاعباء والاستعداد لمواجهة اخطار محتملة تكون أشد من سـابقتها ، قـام الامير ابـو بكر بن سعـد السلغـرى بتسليم السلطة فى بـلاد البحـرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفع مبالغ معينة من الاموال سنويا الى خزينة الاتابكة فى فارس . وقد أورد وصاف ذكر زعيمى بنى عـامر اللذين تم تسليم السلطة اليهما . وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن على بن ماجد بن عميرة ، كما انه اورد ذكر تسليم القطيف اليهما وسكت عن ذكر جزيرة آوال فى حين اننا نجد ان كـلا من القاضى احمد غفارى ومنجم باشى قد ذكر اسم الامير عصفور بن راشد فقط . اما المناطق التى كانت قد سلمت اليه ، فعندهما انها قد شملت كـلا من القطيف والبحـرين وعمان (صحـار) والحسـا[٧١] . ومعنى ذلك أن سـلطة امـارة عصفور العامرية قد أخذت تشمل على كافة بلاد البحرين بما فيها أوال ، اضافة الى أجزاء من نجد (اليمامة) ومن عمان . ومما يجدر ذكره هنا ان اسم عمان كان قد ذكرها ابن خلدون ايضا كجزء من ممتلكات امـارة العصفوريـين[٧٢] . وان مؤلفات العصر الوسيط كثيرا ما تطلق عبارة عمان لتعنى بها ميناء صحار . لذا فمن المرجح انه قد استعمل هنا بهذا المعنى . ان التاريـخ الذى اعـطاه وصـاف لاستقـلال بنى عـامـر بـالسلطة فى كـافـة بـلاد البحـرين هـو عـام ٦٥٤ـ ١٢٥٦ ، وهذا التاريـخ يتعارض بعض التعـارض مع مـا رواه ابن سعيد المغـربى ـ والذى سبق الاشارة اليه ـ من ان السلطة فى بلاد البحرين كانت فى عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وان قاعدة ملكهم هى الحسا . وللتوفيق بين ما رواه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى ان هناك احتمالين : فالاحتمال الاول هو ان وصاف ربما لم يكن دقيقا فى هذا التاريخ الذى ذكـره حول تسليم السلطة فى بـلاد البحرين لعصفـور بن راشـد ، والاحتمال الثـانى هو ان روايـة ابن سعيد يجب ان تفهم على ان المقصـود بها ان سلطة الشيخ عصفور كانت تشمل عـلى كافـة بادية البحـرين ، وان منطقـة الاستقرار التى تحت حكمه المباشر هى واحات الحسا فقـط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وان عدم اشارة ابن سعيد لكل من جـزيرة آوال والقـطيف فى روايتـه ، قد يعنى انهمـا كانتـا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقـع فان روايـة وصاف حول تسليم القطيف الى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بانه صاحب النفـوذ الاول فى معظم بلاد البحرين .

بقيت نقـطة أخيرة يجـدر مناقشتهـا وهى تتعلق بمدى اتساع نفـوذ السلغريـين فى بلاد البحـرين . اذ ان كلا من المستـوفى القزوينى (الف كتابه عام ٧٤٠/ ١٣٤٠) وحاجى خليفة (ت ١٠٦٧/١٦٥٧) كانا قد ذكرا بان ابا بكـر قد استـولى على الاحسـاء اضـافـة الى القـطيف وأوال[٧٣] فى حين أن وصاف الحضـرة والذى كان عصره اقـرب لعهد الاتـابك ابى بكـر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التى استولى عليها . يضـاف الى ذلك ان ابن سعيد المغربى قد ذكر فى روايته التى مرت بنا سابقا بانه فى عام ٦٥١/١٢٥٣ ـ ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد فى البحرين ، ومعنى ذلك انها تحت سلطتـه قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذى حدده وصاف لانسحاب السلغريين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بان الحسا لم تخضـع لحكم الاتابك بشكل مباشر ، وانما بقيت تحت حكم الشيخ عصفـور والذى ربما كان يعترف بتبعية اسميه للسلغريين .

ومهما يكن من أمر فلا بد لنـا ان نشير الى

الاسباب المحتملة التى كانت تكمن خلف انسحاب السلغريين من بلاد البحرين فى هذه الفترة وتسليمها الى الامير عصفور بن راشد . اذ لا يمكننا ان نعزو ذلك الى المتاعب العسكرية والمالية التى واجهتهم فى حكمها فحسب ، بل يمكن ان تعزى الى عوامل لا تقل عنها أهمية وهى : اولا الزحف المغولى المدمر فى داخل الاراضى الايرانية بقيادة هولاكوخان . وثانيا ظهور زعيم طموح فى الخليج العربى . وهو محمود بن احمد الكوسى (الكوشى) القلهاتى ، الذى استولى على السلطة فى مملكة هرموز التى كانت تشمل جزءا من الساحل الايرانى والعمانى واخذ يتطلع الى توسيع دائرة نفوذه واستطاع ان يتحكم بمدخل الخليج العربى ولا بد ان يكون هذا الزعيم قد اثار مخاوف الاتابك ابى بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك ابا بكر السلغرى واذا ما علمنا بان للعصفوريين اسطولا تجاريا قويا يمكن ان يستخدم ايضا فى عمليات عسكرية ، مثلما كان قد سبق للاتابك نفسه ان استعان به فى حملاته على جزيرتى قيس واوال ، لادركنا مدى المخاطر المحتملة التى قد تهدد السلغريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التى سبق الاشارة اليها ربما كانت تكمن خلف سياسة الاتابك ابى بكر الجديدة التى اخذ يتبعها تجاه بنى عامر وزعيمهم عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة فى كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة اوال . وبذلك يكون قد اضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما انه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون فى البحرين فى مواجهة الخطر المغولى المحتمل .

قبل ان ننهى الحديث عن علاقة السلغريين ببلاد البحرين ، نرى انه من المفيد ان نشير الى النقود السلغرية التى اكتشفتها البعثة الدانماركية فى جزيرة البحرين . فقد وجدت قطعة نقدية واحدة مصنوعة من الرصاص ، تعود الى زمن الاتابك ابى بكر الا انه غير واضح عليها مكان الضرب او تاريخه . ويقرر لوويك الذى كتب بحثا عن النقود المتداولة فى الخليج العربى ، بان هذه العملة لا بد ان تكون قد ضربت فى جزيرة البحرين . الا اننا نرى انه ما دام الدليل القاطع على مكان ضربها لم يتوفر ، فان الامر ليس مؤكدا بل محتملا ، خصوصا ونحن قد عرفنا فيما سبق ان البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلغرى فى عهد ابى بكر . والواقع فان اكتشاف النقود فى مكان ما لا يحتم على كل حال ان تكون هذه النقود قد ضربت فى المكان الذى اكتشفت فيه . واذا كانت هذه النقود قد ضربت فى عهد السيطرة السلغرية على الجزيرة فمن المفروض ان اسم الخليفة العباسى يجب ان يذكر الى جانب الاتابك ما دام الاخير يعترف بتبعيته الى الخلافة العباسية . ولما كان اسم الخليفة غير مذكور على هذه العملة ، فمن المحتمل جدا انها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد اى بعد زوال السيطرة السلغرية عن الجزيرة . الامر الذى يحملنا على رفض فرضية لوويك من ان هذه العملة قد ضربت فى جزيرة البحرين .

لقد اكتشفت ايضا فى جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهى تحمل اسم آبش خاتون بنت الاتابك سعد بن ابى بكر السلغرى (١٢٦٤ ـ ١٢٨٦) وهى اخر حكام السلغريين ، وكان قد تزوج بها منكوتيمور وهو الابن الحادى عشر لهولاكوخان . كما وجدت ايضا عملة برونزية تعود الى السلغريين ، وهى لا تحمل تاريخا ولا اسم الحاكم الذى ضربت باسمه .

ومهما يكن من امر فان اكتشاف هذه النقود فى جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية ايضا ما بين امارة العصفوريين وبلاد فارس[٧٤] .

علاقة امـارة العصفوريـين بمماليـك مصر ومغول العراق وايران

بتدمير المغول لمركـز الخلافـة العباسيـة فى بغـداد عام ١٢٥٨/٦٥٦ ، ثم سيـطرتهم على معظم اجزاء ايران والاناضول تكون الحضارة العربية الاسلامية عمـوما ، والمشـرق العربى خصوصا قد دخلا مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبيا . فقد كان من نتائج هـذا الاحتلال المغولى ان تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الاسلامى ، اذ اختفت كيانات سياسية تماما ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التى ظهرت وقدر لها ان تلعب دورا مهما فى تاريخ المشرق العـربى ، دولة المماليك فى مصر . وقد بـرزت اهميتهـا السياسيـة والعسكريـة بسرعـة بعد نجاحها فى سحق الهجوم المغولى على بلاد الشام فى معركة عين جالوت عـام ١٢٥٩/٦٥٨ ، ثم نجاحها فى توحيد سوريا ومصر فى دولة واحدة ، مثلمـا كـانتـا فى معـظم الفتـرات التـاريخيـة السابقة . كذلك فى استمرار تصـديها للخـطر المغولى ، وتولى دور القيادة فى هذا السبيل .

ان تجـاور هاتـين الدولتـين ـ دولة المغـول الايلخانيين فى ايران والعراق ودولة المماليك فى مصر والشام ـ وتصدى احـداهما للاخـرى ، ادى الى ان يقـوم بينهمـا صـراع عسكـرى وسياسى وثقافى واقتصادى لفترة طويلة ، ممـا دفـع كـلا منهمـا لكسب الانصـار والحلفـاء وحشدهما لمواجهة الطرف الاخر .

ان احدى القوى المهمة التى توسل كل طرف لكسبها الى جانبـه وزجها فى الصـراع الدائر بينهما ، هى القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، اذ كانت مساكنها تتأخم اريـاف العراق والشـام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بامكانها ان تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لاحد الجانبين او كليهما .

وقد يكون العكس اذ قد تلحق ضررا لأحدهما او كليهمـا . ومن ابـرز هـذه القـوى القبليـة الـ فضل الذين كانـوا يبسطون زعـامتهم على قبائل طى القوية اضافة الى قبائل كثيرة كانت منضوية تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد الى بـوادى الشام واجـزاء واسعـة من البـوادى الغربية للعراق وكذلك إلى أجزاء من نجد[٧٥] .

ومن القوى القبلية المهمة ايضا قبليتا عبادة وخفاجة اصحاب النفوذ الواسع فى معظم غرب ووسـط وجنوب العـراق . ثم أخيرا قبيلة بنى عامر والتى تبسط نفوذها فى المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالى ثم يمتد غربا الى اجزاء من نجد .

ان الدارس لـموقف هذه القـوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين يلاحظ انها كانت متقلبة فى ولائها نحوهما وذلك تبعا لظروفها وما تأمل الحصول عليه من منافع من كل منهما . فهدف القبائـل الذى يهمها قبـل كل شىء هـو الحصول على أكبر قدر ممكن من المغانم . الا أن المماليك كانوا فى معظم الأحيان هم الفائزون بولاء هذه القبائل . ومهمـا يكن من أمر فـأننا معنيـون بـالدرجـة الأولى بمتـابعـة عـلاقـة العصفـوريين بهـذه القوى ، وحـديثنا سـوف يقتصر عليهم بقدر ما تسعفنا به المصادر ..

وقبـل كـل شىء يجب القـول أن المصـادر لاتسعفنا لكى نقرر بدقة المـوقف الذى اتخذه العصفوريون . من ظهور النفوذ المغولى فى كل من ايران والعراق ، بالرغم من اننا نميـل الى الافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيـرا لزوال دولة بنى العباس وسبب هذا الافتراض أن العباسيين قد كانوا سندا قـويا للعيـونيين الذين كـانـوا يعتـرفـون بتبعيتهم للخـلافـة العباسية ، ولابد أن زوال الامارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد أدى الى توتر عـلاقاتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشيـة لدى بنى عصفور من احتمال انتقام العباسيين ، هذا من

جهة ومن الجهة الأخرى فأن الخصم الآخر للعصفوريين وهم السلغريون الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على اجزاء هامة من بلاد البحرين ـ هم أيضا اتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج بأسم الخلافة العباسية . فالغزو المغولى فضلا عن كونه قد ازال خطر العباسيين عن بنى عصفور ، فانه ايضا قد أدى الى اضعاف نفوذ السلغريين فى الخليج الى حد كبير . الأمر الذى ربما أدى الى شعور بنى عصفور بنوع من الارتياح ، رغم الأخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول . هذا وكنا قد افترضنا سابقا بأن امارة العصفوريين ربما تعزز مركزها الاقتصادى والسياسى بتقاطر سيل المهاجرين من العراق وايران خصوصا من طبقة التجار واصحاب الأموال الهاربين فزعا من الخطر المغولى المحيق بهم ، وربما تعزز هذا المركز أكثر بظهور الصراع المغولى المملوكى .

على أن الأمر الذى لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة ما بين بنى عصفور وسلطنة المماليك فى مصر . فالقلقشندى ينقل عن الحمدانى المعاصر لما يرويه قوله ، بأن بنى عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية فى دولة الظاهر بيبرس (١٢٥٩/٦٥٨ ـ ١٢٧٧/٦٧٦) ، صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقيد « العقيدى » بن سنان بن غفيلة « عقيلة » بن شبانه بن عامر ، وعوملوا بأتم الاكرام وافيض عليهم سابغ الأنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء[٧٦] على انه لدينا ما يدل على أن هذه العلاقة الحسنة قد اصابها بعض الفتور بعد وفاة السلطان بيبرس فبتجدد الصراع على نطاق واسع وفى كافة الميادين بين المغول والمماليك قام آل فضل وآل مرا حلفاء المماليك بمهاجمة عرب البحرين عام ٦٨٤/ ١٢٨٥ ـ مثلما هاجموا المغول ـ ونهبوا اموالهم وقتلوا عددا من رجالهم وكان من بينهم أحد زعمائهم المدعو على بن ماجد[٧٧] .

ان هذا الهجوم على بنى عصفور ربما كان قد تم بتوجيه من المماليك لأنهم كانوا قد حالفوا المغول . على أن تطور الأحداث كان قد ارغم الطرفين على اعادة توثيق علاقتهما . فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر اوراسيا فحسب ، بل كانوا راغبين بالسيطرة أيضا على الطرق البحرية الرئيسة التى تربط البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى بالصين والهند[٧٨] فقد ارسل الايلخان ارغون ، البوذى المتعصب (١٢٨٤ ـ ٩١) فى عام ٦٨٩/ ١٢٩٠ يطلب مجىء مائتين من الجنويين الى بغداد على ان يعملوا فى نهر دجلة هذا وقد صادف فى الوقت ذاته وجود سبعمائة شخص من الفرنك (من اطنى غربى اوربا فى بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معتزمين قضاء فصل الشتاء فيها . فما كان من الايلخان ارغون الا أن طلب منهم صنع سفينتين من نوع قادرغه . (غراب)Galley ، والتى هى من السفن التى تسير بالأشرعة والمجاديف ، وتستعمل للأغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن أن تحمل ما بين ١٠٠ ـ ١٢٠٠ شخص ، أما طولها فيتراوح ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ قدم . وكان هدف الايلخان من صنع هذه السفن ، هو تسييرها فى الخليج العربى والبحر العربى لعرقلة المواصلات التجارية ما بين الهند ومصر . الا أن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح نظرا للنزاع الذى ثار بين الجنويين من بحارة السفينتين ، فانقسموا الى فئتين متناحرتين ، الأمر الذى أدى الى استحالة استمرار ابحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة[٧٩] لهما .

ومن الطبيعى أن يدرك المماليك مدى الأخطار التى تهدد تجارتهم من جانب المغول ، فيراقبوا هذا النشاط ويعملوا على التصدى له وافشاله . فالسلطان قلاوون كان قد ارسل عام

۱۲۸۳/٦۸۲ وكذلك عام ۱۲۸۸/٦۸۷ برسائل الى التجار في الهند والسند والصين وسيلان واليمن ، يدعوهم فيها للقدوم بتجارتهم الى مصر والشام ويعدهم بحسن المعاملة[٨٠] .

لقد كان الصراع ـ كما اسلفنا ـ ما بين المغول والمماليك يتخذ اشكالا مختلفة ويقع على محاور متعددة ، ولم يترك أي طرف فرصة لضرب الطرف الآخر واضعافه الا اهتبلها . فابو الفدا (ت ۷۳۲) . المؤرخ المعاصر للأحداث يذكر بأنه عندما طرد الشريف حميضة بن ابى نمى من امارة مكة ولجأ الى السلطان المغولى أو لجايتو خدابنده محمد بن ارغون (۱۳۰٤/۷۰۳ ـ ۱۳۱٦/۷۱٦) في بغداد واستنجد به لاعادته الى مكة ومبديا استعداده في مقابل المساعدة التى تقدم اليه لأن يعلن تبعية مكة لسلطنة المغول في العراق وايران . فما كان من السلطان خدابنده محمد الا أن رحب بذلك معتبرا اياها فرصة ثمينة لتوجيه ضربة موجعة لهيبة وسمعة سلاطين المماليك في العالم الاسلامى وان يحل المغول محلهم في هذا النفوذ . وعليه فقد جهز السلطان خدابنده عام ۱۳۱٦/۷۱٦ الشريف حميضة بقوة تتألف من عشرة آلاف مقاتل من المغول والعرب واسندت قيادتها الى الأمير طالب الدلقندى الحسينى نائب المغول في البصرة . وقد سارت الحملة الى مكة سالكة الطريق عبر بلاد البحرين . ان سلوك هذه القوة عن هذا الطريق ليعكس اطمئنان المغول من عدم تعرضها لهجوم قبائل بنى عامر . والواقع فان بلاد البحرين في هذه الفترة كانت قد اصبحت تدين بالتبعية لأسرة الطيبيين العربية والتى كانت تحكم اقليم فارس ومعظم جزر وسواحل الخليج العربي. وكان الطيبيون في نفس الوقت يحكمون في معظم هذه المناطق بأسم المغول ، كما يقومون بدفع مبالغ سنوية الى زعماء العصفوريين لتسكينهم ولكى يقفوا الى جانبهم عسكريا عندما تدعو الحاجة لذلك .

ومن خلال هذه العلاقات المتشابكة التى يرتبط بها العصفوريون يمكن لنا أن نعلل السبب في عدم تعرض هذه القوة لهجومهم عند وصولها الى القطيف ، ان لم يكن هناك سبب آخر كالخشية من هذه القوة الضخمة نفسها .

لقد اثارت أنباء الاستعدادات التى تجرى لارسال هذه الحملة ضد مكة ، ذعرا شديدا لدى السلطان المملوكى الناصر محمد قلاوون ، خصوصا اذا ما عرفنا بأن السلطان المغولى خدابنده محمد كان ينتمى الى المذهب الشيعى ، الأمر الذى أدخل عنصرا جديدا في الصراع ما بين القوتين . لذا فقد سارع السلطان الناصر قلاوون بارسال الأوامر الى قبائل طى وامرائهم من آل فضل بأن يهاجموا القوة المتجهة نحو مكة ، كما ارسلت الأوامر لاثارة كافة القبائل العربية للتحرك ضد هذه الحملة خصوصا قبائل جنوب العراق ، وربما تم الاتصال أيضا بالعصفوريين .

ومهما يكن من أمر فان هذه الحملة قد اصيبت بكارثة كبيرة . فعند وصولها الى القطيف وصلتها الأخبار بوفاة السلطان خدابنده وبأن على رجال الحملة أن يتفرقوا . وقد هيأت هذه الظروف فرصة جيدة لقبائل طى ـ التى كانت قد وصلت البصرة في أثر الحملة وانضمت اليها قبائل البصرة ـ لكى تهاجم هذه الحملة في طريق تراجعها فأوقعت بها خسائر مادية كبيرة ، وقد وصف ما غنم من هذه الحملة من اموال « بأنه شىء عظيم »[٨١] . على اننا لانستطيع أن نقرر الموقف الذى كان قد اتخذه بنو عصفور من الحملة وهى تواجه هذا المصير ، فهل شاركوا في الهجوم عليها أم لا ؟ والذى يبدو أن غالبيتهم قد وقفوا على الحياد تاركين الحملة تلاقى مصيرها ومعنى ذلك أن التزاماتهم العسكرية تجاه الطيبيين غير ملزمة لهم بمساعدة المغول .

على أن مواقف العصفوريين قد اضحت

اوضح من السابق فيما وقع من أحداث لاحقة ، فأبو الفدا يذكر بأنه حين اظهر الأمير مهنا أمير طى فى بلاد الشام والعراق عصيانه على السلطان الناصر قلاوون وقيامه بتهديد أرياف الشام وطرق التجارة التى تربطها بالعراق . ثم قيام أخيه فضل بن عيسى بالذهاب الى بغداد والالتجاء بالسلطان المغولى ابى سعيد بن أولجايتو (١٣١٦ ـ ٣٥) ، الذى رحب به كثيرا واقطعه البصرة . فما كاد الأمير فضل بن عيسى الطائى يستقر فى البصرة واتباعه حتى قام بنو عصفور عام ١٣١٨/٧١٨ بمهاجمته وطردوه من البصرة . فسارع أخوه الأمير مهنا لنجدته وتوجه صوب بنى عصفور ، الا انه اضطر لسبب ما الى الانسحاب من دون أن يدخل فى معركة معهم ، وقد غنم بنو عامر اموالا طائلة تعود لقبائل طى واتباعهم وقد قدرت بما يزيد على العشرة آلاف بعير[٨٢] .

ان قيام العصفوريين بمهاجمة آل فضل واتباعهم فى البصرة يمكن أن يعزى الى احد السببين التاليين : الأول أن يكون قد تم بايعاز من السلطان الناصر قلاوون للانتقام له من آل فضل ، والثانى وقد يكون هو الأرجح أن يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبد العزيز بن ابراهيم الطيبى (ت ١٣٢٥/٧٢٥) والذى سبق ان ذكرنا بأنه كان يحكم اقليم فارس ومعظم اجزاء الخليج العربى . وان العراق العربى بما فيه البصرة كان قد اقطعه المغول لوالده ثم اقطع له ايضا بعد أن اعقب والده فى السلطة . فقيام السلطان أبوسعيد باقطاع البصرة لآل فضل كان يعنى خسارة مادية للطيبيين ، فطرد آل فضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدينون بالتبعية لعز الدين عبدالعزيز ربما قد يرغم السلطان أبا سعيد على اعادة اقطاعها للطيبيين كما كان في السابق.

ومهما يكن من أمر فأن هجوم العصفوريين على آل فضل فى البصرة كان فيه خدمة لكل من المماليك والطيبيين معا .

على أن العلاقة بين بنى عصفور وسلاطين المماليك فى مصر قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والرسوخ فى عهد السلطان الناصر قلاوون والذى تولى السلطنة ثلاث مرات اطولها واهمها الفترة التى امتدت من ٧٠٩ الى ٧٤١ ـ ١٣٠٩ ـ ٤٠ ، ويبدو أن هذا السلطان كان يدرك أكثر من غيره مدى النفع السياسى والعسكرى والاقتصادى الذى يمكن أن تؤديه العلاقة الحسنة مع امراء العصفوريين . والأدلة التى سوف نوردها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة . ويبدو أن أحد اشكال هذا التعاون هو أن يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين والايرانيين التى قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق أى كسب سياسى أو اقتصادى من ذلك . الا انه بعد ما تصالح السلطان الايلخانى ابوسعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ١٣٢١/٧٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بألف فارس وارادوا نهبها . فما كان من المسئولين عن قيادة القافلة الا أن سارعوا لابلاغ بنى عصفور بأن القافلة قد سيرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبنى عصفور الأمر اجابوهم ـ لأجل الناصر نخفركم بغير شىء ـ وسمحوا للقافلة بمواصلة السير الى مكة .

فلما بلغ ذلك الأمر السلطان الناصر سر به وبالغ فى الانعام على بنى عصفور[٨٣] .

على أن ابن فضل الله العمرى يروى لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين والسلطان الناصر قلاوون اذ يقول « بأن بنى عامر قد توالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية واغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائى منهم وبرز الأمر السلطانى

الى آل فضل رؤساء بوادى الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتأمينهم فى الورود والعود ، وانثالت عليه جماعتهم ، واخلصت له طاعتهم ..» ثم ان ابن فضل الله قد اوضح بأن بنى عامر قد استمروا فى التردد على مصر باعداد كبيرة ، حيث قال « فكان لايزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لايزال يسد تلك الرحاب ويغص بقبابة تلك الهضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام » ثم قال « وكانت الأمرة فيهم فى اولاد مانع بن عصفور الى بقية امراء فيهم وكبراء لهم »[٨٤] . وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض اسماء زعماء بنى عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن ابى الحسين العامرى العقيلى ، والذى وصفه بأنه من كبار قومه[٨٥] . وكلبى بن ماجد العقيلى ، والذى قابله ابن فضل الله عام (١٤٣١/٨٣٢) فى مصر وسمع منه بعضا من شعره ، ووصفه بأنه من امراء البحرين وانه ذو وقار واجلال[٨٦] .

والواقع فان الجهاز المملوكى المعقد كان يضم فى اقسامه ، قسما خاصا مهمته متابعة شئون القبائل . وهذه الدائرة تسمى المهمندارية ، والموظف المسئول عنها يسمى المهمندار[٨٧] .

كما أن الادارة المملوكية قد اعتنت عناية خاصة بمراتب رؤساء القبائل ، فقسمتهم الى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعة منه . وعلى أساس هذه الأهمية ثبت اسلوب مكاتبته والألقاب التى يجب أن تذكر عند مراسلته .

وفيما يخص امراء بنى عصفور ، فبعد أن ضبطت اسماؤهم ، صنفوا الى ثلاث مراتب . فأصبحت القابهم التى ترد فى المراسلات معهم على الشكل التالى : فالمرتبة الأولى منهم يخاطبون فى الرسائل بالمجلس السامى الأميرى . أما المرتبة الثانية فيخاطبون فى الرسائل بالقاب مجردة من ياء النسب . كالمجلس السامى الأمير .... أما الذين يأتون فى المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الأمير[٨٨] .

هذا وقد اورد القلقشندى قائمة تتضمن اسماء امراء بنى عصفور ومرتبة كل منهم فى سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب اهميته . وسوف نورد هذه الأسماء فى الموضع المناسب ، محاولين الاستفادة منها فى معرفة نوع الادارة فى الامارة العصفورية العامرية .

بقى لدينا اشارة واحدة يجمل بنا ذكرها ، وهى تخص العلاقة ما بين بنى عصفور ومغول العراق . فقد ذكر الحسينى (ت١٣٦٣/٧٦٥ - ٦٤) بأنه فى عام ٧٥٥/ ١٣٥٤ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، الا انها عجزت عن صدهم ومنيت بهزيمة . فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجلايرى - الذى كان قد خلف المغول الايلخانيين بعد انقراض دولتهم - الا أن استنجد بالأمير فواز بن مهنا الطائى أحد شيوخ آل فضل والتحالف مع الجلايريين فاستطاع الأمير فواز ايقاع الهزيمة بعرب البحرين من بنى عصفور بعد أن قتل من الفريقين عدد كبير[٨٩] .

والذى يبدو لنا أن هجوم بنى عصفور على البصرة كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وارغام الأمراء فى بقية اجزاء بلاد البحرين على أن يدينوا له بالتبعية ، وهذا ما سوف نشير اليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز .

يتضح لنا مما سبق بأن سلاطين المماليك فى مصر كانوا أوفر حظا ونشاطا من المغول فى كسب

ولاء رؤساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بنى عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا أكثر تقديرا للأدوار التى يمكن للقبائل العربية أن تنهض بها فى صنع الأحداث .

علاقة العصفوريين بالطيبيين حكام فارس وجزيرة قيس

ان الاضطراب فى الحياة السياسية والاقتصادية فى ايران والذى رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس أثره أيضا فى مناطق واسعة من الخليج العربى ، وكان من أبرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ فى المنطقة . ففى حدود عام ٦٤٢/ ١٢٤٤ ـ ٤٥ قام الأمير محمود بن أحمد الكوسى القلهاتى ـ الذى ينحدر من أصل عربى ، كما تذكره الشاهنامة ـ بالاستيلاء على السلطة فى مملكة هرموز[٩٠] لينهى بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة أخذت تلعب دورا خطيرا فى الحياة السياسية والاقتصادية للخليج العربى لفترة طويلة . ولقد تطلعت نفس هذا الأمير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربى والبحر العربى ، فقام فى العقد السابع من القرن السابع/ الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها اخضاع عمان الداخل . الا ان هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل أمراء عمان الداخل من النبهانيين ، مما جعله يغير فى اتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التى كانت تحكمها أسرة الحبوضيين . وقد شن هجوما بحريا عليها بعد أن جند عددا كبيرا من العرب وفتك بأهلها ونهبها نهبا ذريعا وانسحب بعدها عائدا الى قاعدته قلهات . الا ان هذا النصر الذى أحرزه الأمير محمود القلهاتى لم يمر دون أن يدفع ثمنه غاليا . فقد تاهت قواته فى الصحراء وهى فى طريق عودتها برا الى مواطنها ، فمات عدد كبير من افراد هذه القوات جوعا وعطشا. اما بقية أفراد هذه الحملة والتى تركت كحامية فى قلهات ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هى الأخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بنى جابر ، فأبادوها وأحرقوا سفنهم الراسية فى الميناء . ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من أفراد هذه الحملة بخمسة آلاف رجل[٩١] .

ولقد أخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن أمير هرموز محمود بن أحمد القلهاتى كان من بين الذين هلكوا فى هذه الحملة[٩٢] ، اذ ان الأمير القلهاتى قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة .

ان هذه النكبة التى أصيبت بها قوات الأمير محمود القلهاتى لم توقف طموحة للسيطرة على مناطق الخليج العربى ، فقد قام فى حدود عام ٦٧٠/ ١٢٧١ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس احدى أهم المراكز التجارية فى الخليج ـ وتمكن من الاستيلاء عليها . كما تمكن فى حدود هذا التاريخ من اخضاع جزر البحرين والقطيف .

ويعدد لنا الشبانكارى (ألف كتابه فى حدود عام ١٣٤٢/٧٤٣ ـ ٤٣) ونطنزى (ألف كتابه فى حدود ١٤١٣/٨١٦) المناطق التى كان قد أخضعها الأمير محمود بن أحمد القلهاتى لسيطرته ، بأنها قد شملت كلا من ظفار وقلهات وقيس والبحرين والقطيف ونزوين[٩٣] ، وان نفوذه أخذ يمتد من الهند حتى البصرة[٩٤] .

والذى يبدو لنا ان الأمير محمود قلهاتى لم يتمتع بنفوذه طويلا فى جزر وسواحل بلاد البحرين ، اذ ان اتساع سلطته كان يتهدد مشاريع المغول الاستراتيجية فى السيطرة على طرق التجارة مابين المحيط الهندى والبحار العربية ، لذا فقد قام الحاكم المغولى لبلاد فارس سوغونجاق ببناء اسطول فى خورسيف عند

سواحل فارس وهاجم به أساطيل أمير هرموز عام ١٢٧٢/٦٧١ . الا ان هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة ، فما كان من سوغونجاق الا أن عاود الكرة مرة أخرى وقام باستعدادات أكبر ، فبنى سفنا جديدة كما صادر سفن بنى عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على اسطول الأمير محمود القلهاتى وتعقبه حتى قلهات .

ان البروفسور أوبين يبدى شكوكه فى الرواية القائلة بأن الأمير القلهاتى كان قد استطاع اخضاع جزر البحرين والقطيف . فهو يرى بأنه من غير الممكن لأمير هرموز بعد الهزيمة التى أحاقت باسطوله أمام اسطول المغول أن يستطيع السيطرة على هذه الأجزاء[٩٥] .

الا اننا نقول بأنه ليس هناك من مصدر يشير بأنه قد تم للأمير محمود القلهاتى بسط نفوذه على جزر وسواحل بلاد البحرين بعد هزيمته أمام المغول . ان الأكثر قبولا أن يقال بأنه يستبعد على أمير هرموز أن يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعد هذه الهزيمة ومهما يكن من أمر فان الفترة التى سيطر فيها أمير هرموز على بلاد البحرين ربما كانت قصيرة جدا .

ومما هو جدير بالذكر ان النبهانى قد ذكر بأن جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلغريين ، من دون أن يبين سنده التاريخى فى ذلك[٩٦] . ولقد تابعه فى ذلك آخرون ممن نقل عنه دون أدنى تمحيص . ان الأدلة التى أوردناها أو التى سوف نوردها تضعف هذا التصور الى حد كبير . ويمكن أن نوضح ابتداء بأن جزر البحرين يصعب اخضاعها بالقوة الا لمن يملك قوة بحرية ضاربة فى الخليج العربى . وحيث ان المغول لم تتوفر لديهم مثل هذه القوة لذا فان فرض سيادتهم عليها أمر مشكوك فيه الى حد بعيد .

ومهما يكن من أمر فان مالدينا من أدلة تكفى للقول بأن العصفوريين كانوا فى هذه الفترة يتمتعون بسلطة كاملة فى بلاد البحرين وانهم أقاموا علاقة حسنة مع السلطان المملوكى الظاهر بيبرس على الرغم من العداء القائم بين هذا السلطان والمغول فى العراق وايران . أما بخصوص ظفار فان الحبوضيين كانوا أصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا أصحاب النفوذ الأقوى فى حضرموت أيضا الى الحد الذى جعلهم يتحدون الدولة الرسولية فى اليمن .. ومما هو جدير بالذكر ان كلا من ظفار والبحرين هى من المناطق التى ذكرتها المصادر بأنها كانت خاضعة للأمير محمود القلهاتى .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين العصفوريين فى البحرين والحبوضيين فى ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من انه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولى عام ١٢٧٩/٦٨٩ بارسال حملة ضد ظفار الحبوضى ، ووصلت هذه القوات الى ظفار ، سرت اشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لنجدة الحبوضيين مما أثار مخاوف القوات اليمنية . وبالرغم من اننا لا نملك معلومات كافية عن مدى صحة هذه الاشاعات التى راجت فى حينها ، الا ان مجرد انتشارها يعكس فى الواقع وجود الصلة المتينة مابين ظفار الحبوضى وحكام البحرين . على ان موقف أمراء بنى عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد أن نجح سلطان اليمن فى انهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجى مؤرخ الدولة الرسولية ، يذكر بأنه « لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين .. فأرسل صاحب عمان بهديته .. ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين الى زبيد[٩٧] .. » ان كل ما نستطيع قوله مع كثير من التحفظ هو انه فى أواخر القرن السابع/الثالث عشر ارتبطت

بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . اذ انه فى عام ١٢٩٣/٦٩٢ أقطع الايلخان كيخاتو (٦٩٠/١٢٩١ ـ ٦٩٤/١٢٩٥) سلطان العراق وايران ، اقليم فارس بما فيه جزيرة قيس الى تاجر عراقى اسمه جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبى الملقب بابن السواملى[٩٨] لمدة أربعة أعوام . وابراهيم هذا كان قد استطاع أن يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة مابين الخليج العربى والمحيط الهندى وامتلك مايقرب من مائة سفينة . فهو فى عرف ذلك الزمان من أصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين ابراهيم الطيبى من الايلخان المغولى على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الاسلام وأن تضرب له النوبة فى بابه ثلاث مرات[٩٩] .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المقصود بالاقطاع الذى منحه الايلخان كيخاتو الى جمال الدين ابراهيم الطيبى ليس شبيها بالاقطاع الأوربى أو الاقطاع الحربى ولا يقابل كلمة Fief بل ان المقصود به هو التفويض لشخص ما بادارة اقليم من الأقاليم ادارة شبه مستقلة مقابل قيامه بدفع مبالغ سنوية مقررة الى الخزينة المركزية للدولة الايلخانية[١٠٠] . ومهما يكن من أمر فانه لم تكد تمضى سنة واحدة على تسلم ابراهيم الطيبى ادارة اقليم فارس وجزيرة قيس حتى تمكن من التخلص من موظفى الادارة المغولية ، وأخذ يحكم فيها حكما شبه مستقل .

ولقد استطاع ابراهيم هذا أن يدخل كلا من القطيف والحسا وجزر البحرين الى دائرة نفوذه السياسى والاقتصادى ، مستغلا الخلافات الحادة بين الأمراء العصفوريين ومعتمدا على قوته الخاصة دون الاستعانة بالمغول كما استطاع أن يدخل فى دائرة نفوذه أيضا العراق العربى بما فيه المدينتين الهامتين واسط والبصرة ، بعد أن كان قد أقطعهما اليه السلطان الايلخانى غازان (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤) ، عام ١٢٩٦/٦٩٦ ولمدة ثلاث سنوات[١٠١] . وخلال فترة تمتعه بالسلطة والتى امتدت حتى عام ١٣٠٦/٧٠٦ ـ ٧ تمكن من احتكار التجارة مابين الخليج العربى والمحيط الهندى ، بالتعاون مع أخيه تاج الدين عبدالرحمن الطيبى ، والذى كان هو الآخر قد استقل بحكم بعض المدن الساحلية فى الهند[١٠٢] .

ومن أجل كسب رضى وولاء زعماء بنى عصفور فى بلاد البحرين لجأ ملك الاسلام ابراهيم الطيبى الى اعطائهم مبالغ من المال سنويا[١٠٣] . مثلما كان يفعله السلغريون .

ان ظهور الزعامة السياسية لملك الاسلام جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبى ، فى الخليج العربى تمثل أصدق تمثيل ماسبق ان ذكرناه عند الحديث عن سمات مجتمع الخليج العربى بأنه قد أفرز زعامات سياسية معتمدة على قوتها الاقتصادية وعلى كثرة اتباعها الذين يدينون لها بالتبعية الاقتصادية وانهم فى قوتهم يوازون قوة الشيوخ والحكام . وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ والخيول وأصحاب السفن . لقد استطاع ابراهيم الطيبى أن يؤسس سلالة عربية حاكمة فى الخليج العربى تمكنت من السيطرة سياسيا واقتصاديا على كافة سواحله بل امتد نفوذهم الى السواحل الهندية . ومن المؤسف حقا أن يتعمد باحث ايرانى معروف هو المرحوم عباس اقبال الى اهمال الانتماء العربى لهذه الأسرة ، مثلما تجاهل أيضا ما ذكرته المصادر التى اعتمد عليها من ان الغالبية العظمى من سكان الساحل الايراني هم من العرب. ولا يمكن أن يعزى ذلك الا الى شدة تعصبه ضد العرب وتسخير بحثه لدعم ادعاءات سياسية معروفة .

بعد وفاة جمال الدين ابراهيم الطيبى عام ١٣٠٧/٧٠٦ أعقبه فى السلطة ولده عزالدين

عبدالعزيز ، كما ان بقية أولاده كانوا يحكمون في مناطق مختلفة من الخليج خصوصا في جزيرة قيس . وقد استمر نفوذهم قائما في البصرة وبلاد البحرين[١٠٤] . ومن المحتمل جدا ان العصفوريين قد اشتركوا الى جانبهم ـ بحكم ماتفرضه عليهم شروط التبعية ـ في الحرب التي دارت بين حكام هرموز وعزالدين عبدالعزيز الطيبي والتي استمرت لمدة ثلاث سنوات وانتهت لصالح الطيبيين[١٠٥] . وقد بلغت أسرة الطيبيين أوج قوتها واتساع نفوذها في هذه الفترة .

بعد وفاة الملك عزالدين عبدالعزيز الطيبي عام ٧٢٥/١٣٢٥ ثار النزاع حول السلطة بين أحفاد جمال الدين ابراهيم الطيبي ، مما أضعفهم كثيرا وانتهى الأمر بهم الى الزوال من اقليم فارس أولا على يد محمود شاه اينجو الذي نجح في تأسيس أسرة حاكمة في هذا الاقليم عام ٧٢٥/١٣٢٥ . وثانيا من جزيرة قيس على يد أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني وذلك في حدود عام ٧٣١/١٣٣٠ . فلقد استطاع الأخير الاستيلاء على جزيرة قيس وهي القاعدة الرئيسية لنفوذ الطيبيين السياسي والاقتصادي في الخليج العربي ، كما استولى تهمتن فيما بعد على جزر البحرين أيضا .

ولقد استغل أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني ، الفوضى التي عمت ايران والعراق في أعقاب وفاة السلطان المغولي أبي سعيد عام ٧٣٦/١٣٣٥ فاستولى على القطيف وأجزاء من السواحل العربية للخليج[١٠٦] . وفي هذا الصدد يقول الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة ـ الذي كان قد زار الخليج العربي مرتين ـ بأنه بعد وفاة السلطان سعيد الايلخاني تغلب المتغلبون على ملكه فمنهم الملك قطب الدين تهتمن (تهمتن) تغلب على هرمز وكيش (التسمية الفارسية لقيس) والقطيف والبحرين وقلهات[١٠٧] .

يتضح لنا مما سبق بأن بلاد البحرين لم تخضع لنفوذ المغول المباشر ، كما ذهب الخيال بالنبهاني انما كانت خاضعة لمدة تقرب من أربعة عقود من السنين لأسرة عربية هي أسرة الطيبيين وانهم قد فرضوا نفوذهم عليها بقوتهم الخاصة . وان نفوذ الطيبيين كان يتركز في الاشراف على شئونها المالية ، خصوصا واردات الكمارك وتركوا شؤونها الداخلية لأمراء بني عصفور من آل عامر ، مع دفع مبالغ سنوية لهم على أن يقدموا الدعم العسكري للطيبيين كلما دعت الحاجة الى ذلك . ويمكننا أن نستثني جزر البحرين من ذلك . اذ ربما كان للطيبيين عليها اشراف أوسع من بقية بلاد البحرين نظرا لموقعها وأهمية مواردها . ويمكن أن نستدل على ذلك من قول المستوفي القزويني (ألف كتابه عام ٧٤٠/١٣٤٠) من ان كلا من البحرين والاحساء والقطيف والخط ودارين كانت في السابق تعتبر من مملكة العرب ، أما في الوقت الحاضر فان جزيرة البحرين تدخل اداريا ضمن اقليم فارس أما القطيف والاحساء والأماكن المجاورة لها فهي لا تعترف في معظم الأوقات بحكام البحرين[١٠٨] . والذي يفهم مما ذكره المستوفي ، ان هذا الوضع في بلاد البحرين ، هو الذي كان سائدا في عهد الطيبيين ، بل ربما كان كذلك في عهد ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثاني . ولعل أبرز دليل على تحرر بلاد البحرين من التبعية للمغول هو ما أسلفنا ذكره من قيام العصفوريين بالهجوم على البصرة بهدف احتلالها وهي جزء من السلطنة الايلخانية وذلك عام ٧١٨/١٣١٨ ثم تعرضهم لقافلة الحج العراقية التي أرسلها السلطان أبو سعيد عام ٧٢١/١٣٢١ . وأخيرا علاقتهم الوثيقة بمماليك مصر خصوم المغول خصوصا في عهد السلطان الناصر قلاوون .

ان بلاد البحرين قد بقيت في هذه الفترة تحكم من قبل العصفوريين وهذا ماسبق ان

اوردناه نقلا عن ابن فضل الله العمرى المعاصر لهذه الفترة .

ولعل القلقشندى كان يدرك ماسوف يثور من جدل حول الهوية السياسية لبلاد البحرين خلال هذه الفترات الغامضة . فقطع جازما بالقول « بأن بلاد البحرين لم تزل بيد العرب »(١٠٩) ومن المؤسف حقا ان ابن بطوطة الذى قد زار كلا من جزر البحرين والقطيف والحسا خلال زيارته للخليج العربى فى حدود عام ٧٣٢/١٣٣٢ لم يذكر لنا أسماء حكام هذه المناطق أو طبيعة علاقتهم بمملكة هرموز ، فأضاع بذلك علينا الفرصة للكشف عما يكتنف هذه الفترة من غموض . ومن الغريب ان رنز قد نسب الى ابن بطوطة القول بأن القطيف كانت تحكم من قبل أسرة جروان العقيلى(١١٠) . وهذا مالم يقله ابن بطوطة قط وما هو الا تخليط من رنز . ان ابن حجر العسقلانى هو الذى انفرد بهذه الرواية ونقلها عنه السخاوى ، وهذا ماسوف نشير اليه فى موضعه المناسب . والذى نميل اليه هو ان بلاد البحرين لم تكن خاضعة لأحد عند زيارة ابن بطوطة لها وانه لم يقابل امراءها لكونهم متغيبين عن المدن التى مر بها ثم انه لم يمكث فيها الا فترة قصيرة .

لقد بقى أن نقول بأن العملة المكتشفة فى جزر البحرين من قبل البعثة الاثارية الدنماركية وهى تحمل اسم بادشاه ابو سعيد ، يمكن أن تصلح دليلا للعلاقة التى تربط هذه الجزر بحكومة الطيبيين. ومن الغريب حقا ان يذهب الخيال بنيقولاس لوويك الى القول بأن هذه النقود من المحتمل انها تعود الى حاكم ينحدر من أسرة أبى سعيد الجنابى ، حكم فى جزر البحرين فى هذه الفترة(١١١) .

علاقة العصفوريين بمملكة هرموز

بدخول امارة العصفوريين ضمن دائرة نفوذ قطب الدين تهمتن الثانى فى نهاية العقد الرابع من القرن الثامن/ الرابع عشر ، تكون الامارة قد بدأت فترة جديدة فى تأريخها اذ ان صلة بلاد البحرين بمملكة هرموز قد استمرت بعد ذلك لمدة تزيد قليلا على القرن ونصف القرن .

والواقع فأن الفترة الاخيرة من عهد تهمتن الثانى تمثل بداية عهد من القوة والازدهار شهدتها مملكة هرموز . اذ بدأت تحل فى الزعامة السياسية والاقتصادية محل جزيرة قيس بعد ان زال منها حكم الطيبيين، على ان عهد تهمتن الثانى بالرغم من ذلك لم يخل من بعض المشاكل الداخلية . ففى ربيع عام ٧٤٥/ ١٣٤٥ وخلال غيابه عن جزيرة هرموز ، دبر اخوه نظام الدين كيقباذ ثورة ضده فى الجزيرة ونصب نفسه على اثرها ملكا فيها ، ولم تنجح محاولات تهمتن لاستعادة عرشه ، الا بعد الوفاة المفاجئة لاخيه كيقباذ . وقد خلف ولدين هما شادى وشنبه اللذين عجزا عن الاحتفاظ بالسلطة من بعده فهربا بالخزائن والاموال ومعهم عساكرهم الى جزر البحرين حيث سيطرا عليها . لكنهما لم يركنا الى الهدوء بعد استقرارهما فى البحرين ، اذ تطلعت نفوسهما للسيطرة على جزيرة قيس ونجحا فى ذلك حيث اتخذ شادى من قيس مركزا لحكومته . وقد مثل هذا التوسع الذى قام به الاخوان شادى وشنبه تهديدا خطيرا لمملكة هرموز ، فجهز تهمتن ضدهما حملة بحرية هدفها استعادة قيس منهما ، الا انه فشل فى حملته الاولى . وعندما عاود الكرة فى حملته ثانية نجح فى استعادة جزيرة قيس ، مما اضطر شادى الى الهرب واللجوء الى جزر البحرين . وعلى الرغم من ذلك فأن الاخوين شادى وشنبه لم تفت فى عضدهما هذه الهزيمة وواصلا الاستعدادات لاستعادة جزيرة قيس . وعندما تهيأت لهما الظروف انطلقا من جزيرة البحرين بحملة بحرية كبيرة تمكنا بها من الاستيلاء على قيس ثم انطلقا منها لاكمال ما اعتزما احتلاله من اراض . ومن الطبيعى ان يتحرك عمهما ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثانى لصد هذا الخطر الداهم على ملكه ، وقد تمكن بعد معارك بحرية عديدة من استرجاع ما استوليا عليه من

مناطق وخاصة جزيرة قيس . وكان من نتيجة هذه الهزيمة التى حاقت بالاخوين ان ثار بينهما النـزاع ، أذ أن شادى قـد حمل اخـاه شنبه مسؤولية هذه الهزيمـة مما اضـطر الاخير الى الهرب من البحرين والالتجاء الى شيراز (١١٢) .

ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطة عندما زار جزيرة هرموز عام ٧٤٧/١٣٣٦ كان ملكها قطب الدين تهمتن الثانى مشغولا بحـربه مـع ابناء اخيه . وقد قال ابن بطوطة بأن هذه الحرب قد سببت ضـررا كبيرا لتجـارة الخليج العـربى وخصوصا لبلاد البحرين ، التى قال عنها بأن معظمها قد تخرب لتعـرضها لهجمـات شادى وشنبه (١١٣) .

ومهما يكن من أمر فأننا لا تملك اى معلومات عن موقف بنى عصفور خـاصة وسكـان بلاد البحرين عموما من هذه الحروب . الا انه يفهم من كلام ابن بطوطة بأن الأخوين شادى وشنبه كـانـا قـد حـاولا الاستيـلاء عـلى سـواحـل بـلاد البحرين وقـامـا بعـدة هجمـات عليهـا الا انهما صدا في جميع هجماتهما هذه. وكانت النتيجة ان اصيبت بلاد البحرين باضرار مادية كبيرة .

وعندما توفى ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثانى عام ٧٤٨/ ١٣٤٧ ـ ٤٨ حـاول شادى الاستفادة من هذا الظرف فانطلق بحملة بحرية جديدة من جزير البحرين وتمكن بواسطتها من الاستيـلاء على جـزيرة قيس . وكـان على ملك هرموز الجديد تورانشاه الذى اعقب والده فى الحكم ، ان يحسم الوضع مع ابناء عمه لذا فقد جرد حملة ضد شادى وتمكن بعد معـارك من طرده من قيس واضـطره للهـرب الى جـزيـرة البحرين . ولم تمض الا مدة قصيرة على عودته الى البحـرين حتى وافـاه الاجـل مخلفـا ولدا صغيرا .

وعندما علم تورانشاه بوفاة ابن عمـه ، لم يتحرك نحو البحرين بل انه اعطى حكم الجزيرة لابن شادى الصغير . الا ان شنبـه الذى كان يراقب الموقف عن كثب وهو فى شيراز ، سارع الى جزيرة البحرين واستولى على السلطة فيها بعد ان قتل ابن اخيه ونكل بقسوة بكافة اتباع اخيه ممن كان قد وقف ضده عندما تنازع مع اخيه . لقد اشاع شنبه الرعب فى الجزيرة فأخذ يهرب منها سكانها خشية من بطشه . وفى هذا الجو الارهابى الذى خلقته نوازع شنبه ، اخذ زعمـاء جزيـرة البحرين يتحـركون ويتكلتلون لازاحتـه عن كـاهلهم وتخليص الجـزيـرة من السيـطرة الخارجيـة واعـادة الحكم فيهـا الى زعمـائهـا الاصليـين . ويفهم مـمـا ورد فى الشاهنامة انه كـان فى جزيـرة البحرين ثـلاثة زعماء بارزين لهم ثقلهم فى الحياة العامة . الاول هـو الشيـخ احمـد بن راشـد بن [مـانـع بن عصفـور] زعيم بني عصفـورمن عـامر . والثانى على بن محمد البهلوان والذى كان شنبه قد اودعه السجن لان اتجاهاته فيما يبدو معاديه لشنبـه وللحكم الاجنبى فى الجزيـرة هذا ومن المحتمـل ان لقب البهلوان الذى يحمـله عـلى بن محمد يعود لكونه قائدا لقوافل الحج . اذ ان كلمة البهلوان تأتى بـالفارسيـة بمعنى البطل والشجاع ، كما تأتى بمعنى أمير الحج . واذا صـح ما ذهبنـا اليه من ان هـذه الكلمـة قـد استعلمت لقبا له بمعناها الثانى فلابد أن يكون عل بن محمد من اصحـاب الثروة والنفـوذ فى الجزيرة بالاضافـة الى احتمال وجـود صلات واسعة له مع زعماء بنى عصفور وبقية زعماء القبائل العربية لما يتطلبه نجاح قيـادة قوافـل الحجاج من وجود مثل هذه الصلة . ومهما يكن من امر فان ميوله السياسية والتى سوف تظهر فيما بعد ربما تعزز ما ذهبنا اليه . اما الزعيم الثالث فهو الامير عجيب Ageb والذى نميل اليه ان هذا الاسم ربما قد حرف عن اصله نتيجة لترجمة الشاهنامة الى اللغات الاجنبيـة . وان الاسم الاصلى له قد يكون عجيل او عقيل . وعلى كل حال فأن الأمير عجيب او عجيل كان اسبق زعمـاء البحرين للعمـل ضد شنبـه . اذ جمع اتبـاعـه وهـاجم شنبـه فى قصـره وتمكن من اقتحامه وقتل شنبه . وبذلك اصبحت السلطة فى الجزيرة فى يديه . الا انه رأى بانه لكى يستتب الامر له لابد من الحصول على تأييد اصحاب

النفوذ القوى فيها . فسارع للاتصال بعلى بن محمد البهلوان . الذى كان اطلق سراحه فور نجاح انقلابـة وكاشفـة بنوايـاه فى الاستقلال بالبحرين وطلب منـه الدعم والتأييـد . الا أن البهلوان سرعان ما خيب اماله واصر بدلا من ذلك على ان تضم جزيرة البحرين الى بقية بلاد البحرين كما كانت فى السابق وان يعود الحكم فيهـا الى بنى عصفور العـامريـين الامر الذى جعلهمـا يفتـرقـان فى الهـدف والعمـل ، ومن الطبيعى ان تكـون وجهة نـظر الشيخ احمـد بن راشد زعيم بنى عصفور فى جزيرة البحرين متطابقة مع وجهة نظر البهلون . لذا فقد اخذا يعملان معا فى هذا السبيل ولكى يتحق لكل من الشيخ احمد بن راشد وعلى بن محمد البهلوان ما يهدفان اليه قام هذان الزعيمان بالذهاب الى القطيف واتصلا بحاكمها الشيخ ماجـد وطلبا منه العون للتخلص من الامير عجيب او عجيل وضم جـزيرة البحـرين الى القـطيف . الا ان موقف حاكم القطيف الشيخ ماجد كان مفاجئا لهما عندما رفض طلبهما لشكوكه فى نواياهما ، معتقدا بان هدفهما الحقيقى هو الاستيلاء على السلطة فى جزر البحرين والاستقلال فيها ، لذا فقـد فضل ان تعـود الجزر الى سلطة مملكـة هرموز وان يحافظ على علاقة التبعية معها لذا قـام الشيخ مـاجد بـأعتقال هـذين الزعيمـين وارسلهما مخفورين على ظهر سفينة الى الامير تورانشاه . والواقع فان الموقف الذى وقفه حاكم القـطيف من الشيـخ احمـد بن راشـد زعيم بنى عصفور فى البحرين ومن حليفـة البهلوان ليؤكد عمق الخلافات بين زعماء بنى عصفور ، وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمرى وهـو يتحدث عن وضع زعمـاء بنى عصفور حينمـا قال ... الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، والجمـاعة متفـرقة [١١٤] . وبعـد اطلاع ملك هرموز تورانشاه على احداث البحـرين سارع اليها على رأس قوة بحرية ، وبصحبته الشيخ احمد بن راشد وعلى بن محمد البهلوان . فما كان من الامير عجيب الا ان سارع لاستقباله وقدم له فروض الطاعة ، والتمس منه تكليفـه بحكم جزر البحرين مقابل الخدمات التى قدمها بقضائه على شنبه .

الا ان تـورانشاه كمـا يبدو لم يـطمئن الى نواياه ، وانما كان يعتزم احكام سيطرته عـلى الجزيرة لذا فلم يكتف برد طلبه بل هدده بأوخم العواقب . فما كان من الامير عجيب (عجيل) والخطر يهدد حياته ، الا ان هرب من المنامـة وهى ميناء البحرين الرئيسى ـ واختفى فى احدى القرى فى الجزيرة ، لكن مكان اختفائه اكتشف فقبض عليه حيث اعدم .

اما الشيخ احمد بن راشد وعـلى بن محمد البهلوان فقد اطلق تورانشاه سراحهما بعد ان كان قد استرضاهما . امضى تورانشاه فترة من الزمن فى جـزر البحرين كـان خلالهـا مشغولا بترتيب الاوضاع فيها بالشكل الذى يمنع تكرار ما حدث فى السابق . على ان تورانشاه نفسه ـ والذى ينسب اليـه تأليف كتـاب الشاهنـامـه المكرس لتأريخ ملوك هرموز ـ لم يذكر لنا الوضع السياسى والادارى الذى استقرت عليه الامور فى البحرين . وهل عين عليها حاكما من افـراد اسرته يخضع له مباشرة ، ام انه جعلها تابعة الى حاكم القطيف الذى ابدى اخلاصا وطاعة له ؟

ومهما يكن من امر فان تورانشـاه بعد ان اكمل مهمته فى البحـرين غادرهـا الى القطيف حيث استقبله بترحاب شديد حـاكمها الشيـخ مـاجد . وقـد وصفت الفترة التى قضـاهـا فى القطيف بأنها فترة راحة واستجمام على انه كما يبدو قد استهدف من هذه الزيارة تأكيد تبعية كل من القطيف والحساء الى مملكته . وبعد أن تأكد لتورانشاه استقرار الامور فى بلاد البحرين بالشكل الذى يريده ، غادر القطيف الى جزيرة البحرين ومنها الى جزيرة هرموز حيث مقر ملكه [١١٥] . ان الامر المهم الذى نفتقر اليه بخصص احداث بلاد البحرين هو معرفة تاريخ حدوثها . فتورانشاه الملك المؤرخ لم يشر الى ذلك . الا انه من المحتمل انها وقعت فيما بين العقد السادس والسابع من القرن الثامن/ الرابع عشر . هذا ومما يجدر ذكره ، ان الملك المؤرخ تورانشاه قد

توفى عام ٧٧٢/ ١٣٧٠ ـ ٧١ بحسب ما رواه نظنزى وعام ١٣٧٧/٧٧٩ ـ ٨ بحسب مارواه تكسيرا . اما منجم باشي والذى اعتمد فيما كتبه عن ملوك هرموز على القاضى غفارى ، فقد ذكر انه توفى عام ٧٨٨/ ١٣٨٦ (١١٦) .

وبقى ان نقول ان كتاب الشاهنامه يمثل مصدرا فيما لمعرفة تاريخ القوى السياسية في الخليج العربى خلال الفترة التى تطرقنا اليها في بحثنا هذا وقد القت المعلومات التى زودنا بها هذا المصدر الثمين الضوء على هوية القوى الحاكمة في بلاد البحرين وطبيعة صلتها بمملكة هرموز . ومن الواضح ان بلاد البحرين كانت لا تزال تحكم في هذه الفترة من قبل بنى عصفور العامريين الأمر الذى ينفى الرواية القائلة بأن حكمهم قد زال في هذا التاريخ من بلاد البحرين وحل محله حكم بنى جروان . وهذا ما سوف نتعرض له بالنقد عند الحديث عن زوال حكم بنى عصفور .

على انه من المفيد مواصلة البحث في العلاقة ما بين مملكة هرموز وبلاد البحرين والوقوف بها في حدود نهاية النصف الاول من القرن التاسع/ الخامس عشر ، بغض النظر عما حدث خلالها من تغيير في الاسرة الحاكمة في بلاد البحرين . على ان نعاود الحديث في هذه الصلة خلال الفترات اللاحقة وذلك عند بحثنا عن الدور الثانى لحكم بنى عامر تحت زعامة بنى جبر .

لابد لنا ابتداء من نفى ما ذكره النبهانى من ان جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم تيمورلنك . (١١٧) ان ما ذهب اليه النبهانى لا يستند الى دليل . فنظام الدين شامى وشرف الدين يزدي اللذان الفا سيرة تيمورلنك لم يوردا اية اشارة في هذا الصدد . فكل ما اوردا ذكره هو وصول قوات تيمورلنك الى سواحل الخليج العربى . فتيمورلنك ارسل عام ٧٩٦/ ١٣٩٣ ـ ٩٤ حملة عسكرية بقيادة حفيده امير زاده محمد سلطان بن جهانكير ، نحو اقليمى فارس وكرمان حيث استطاعت اكتساح مدنهما وقلاعهما والموانئ المطلة على الخليج العربي ووصلت في تقدمها الى ذلك الجزء من كرمان الذى يسمى موغستان او هرموز القديمة ويعتبر جزءا من مملكة هرموز مما اضطر ملك هرموز محمد شاه الى الهرب من جيوش تيمورلنك والاعتصام بجزيرة هرموز . ولما كانت جيوش تيمورلنك لا تملك السفن فأنها وقفت عاجزة عن احتلال الجزيرة ، ومع ذلك فأن محمد شاه اضطر الى دفع مبالغ كبيرة الى حفيد تيمورلنك لقاء الاعتراف به حاكما في هرموز .

ان هذه الرواية عن علاقة تيمورلنك بالخليج العربى يؤكدها ايضا نطنزى المعاصر للاحداث ومثل ذلك يرد عند منجم باشي وليس هناك من رواية البتة يفهم منها خضوع بلاد البحرين او جزء منها لنفوذ تيمورلنك(١١٨) ونعيد القول بأنه لا يمكن لقوة خارجية لا تمتلك اسطولا قويا من اخضاع بلاد البحرين .

ومن المفيد هنا ان نلفت النظر الى حقيقة كانت قائمة وهى ان ملوك هرموز كانوا قبل غزو تيمورلنك وبعده يقومون بدفع مبالغ من المال لحكام كرمان وفارس من المظفريين وبني اينجو بشكل منتظم تارة وغير منتظم تارة اخرى وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف العامة . وبالرغم من ذلك لا يمكن القول بأن بلاد البحرين التى تدين بالتبعية لملوك هرموز في ذلك الحين ، خاضعة بشكل مباشر او غير مباشر لحكام تلك الجهات . والواقع فأن الأعتبارات الاقتصادية والسياسية هى التى ترغم امراء بلاد البحرين على ان يدينوا بالتبعية لمن يمتلك قوة بحرية متفوقة في مياه الخليج العربى ، لئلا يؤدى وقوفهم في وجه هذه القوة الى الحاق ضرر كبير بنشاطهم التجارى ، بأعتبار ان بلاد البحرين تشكل حلقة الصلة ما بين الطرق التجارية البحرية والبرية او الى اضعاف مركزهم العسكرى تجاه خصومهم السياسين في الداخل .

ومن المفيد ايضا ان نورد ما ذكرته بعض المصادر ان تيمورلنك بعد استيلائه على بغداد عام ٧٩٥/١٣٩٣ قام بأرسال حملة عسكرية الى

البصرة بقيادة ابنة ميرانشاه ، الا انها منيت بهزيمة كبيرة فيها واسر ابن تيمورلنك . ان الذى يهمنا من هذه الواقعة هو ان المصادر قد ذكرت بأن الذى هزم جيوش تيمورلنك فى البصرة اسمه صالح بن جولان [١١٩] . وقد وصف صالح هذا بأنه صاحب البصرة والبحرين ، وانه كانت تلتف حوله اعداد كبيرة من عرب البصرة والبحرين [١٢٠] .

ومهما يكن من امر فأن هذه الحادثة تفيد بأن عرب البحرين قد قاوموا جيوش تيمورلنك فى البصرة ، واذا كان تيمورلنك قد نجح اخيرا فى الاستيلاء عليها فأنه لم تردنا اشارة تفيد بقيامه بهجوم برى على بلاد البحرين .

ان ما نملكه من شواهد تدل على ان بلاد البحرين قد استمرت خلال القرن التاسع/ الخامس عشر تدين بالتبعية لملوك هرموز . فالسخاوي (ت ٩٠٢/١٥٠٧) عندما ترجم لقطب الدين فيروزشاه وصفه بأنه ملك هرمز والبحرين والحساء والقطيف ، كما ان السخاوى نفسه قد وصف ايضا سيف الدين مهار الذى اطاح بحكم والده فيروز شاه سنة ٨١٩/١٤١٧ ، بأنه صاحب جزيرة هرموز والبحرين [١٢١] . اما جعفرى فقد ذكر عند حديثه عن سيف الدين مهار بأنه قد قام بأرسال حكام من قبله الى مناطق عديدة ، وذكر من بينها القطيف والبحرين [١٢٢] . ويعطينا منجم باشى صورة اخرى عن الموقف . فعند حديثه عن الانقلاب الذى دبره سيف الدين مهار ضد والده الذى كان متغيبا فى الحج قال بأن سيف الدين مهار قد استولى على جيرون والبحرين وعمان والقطيف وقلهات وهرموز ومنوجان وغيرها وضبط البلاد [١٢٣] . ومما هو جدير بالذكر ان حاكم قلهات فخر الدين تورانشاه قد قام بثورة اطاحت بحكم اخيه سيف الدين مهار عام ٨٤٠/ ١٤٣٦ ـ ٣٧ . ان ثورة فخر الدين تورانشاه ضد اخيه قد تمت بتحريض ومساندة من زعماء العرب الذين كان هدفهم فيما يبدو اضعاف الاسرة الحاكمة فى هرموز والتخلص من تحكمها فى بلادهم [١٢٤] .

ان فترة حكم فخر الدين تورانشاه فى هرموز تمثل بداية انحسار وضعف فى نفوذ مملكة هرموز ، وتمثل ايضا انكماشا فى نفوذها على بلاد البحرين ، حتى انتهى الامر اخيرا الى استقلال تلك البلاد على يد احد بطون بنى عامر وهم بنو جبر .

نهاية الامارة العصفورية

على الرغم من افتقارنا الى الحد الادنى من المادة التاريخية التى من خلالها يمكن ان نتلمس طريقنا فى ظلمة الغموض الذى يلف بلاد البحرين خلال الفترة التى نتصدى لكشفها ، الا اننا نمتلك بعض ادوات التصور لما نتوقع ان يكون قد حدث ببلاد البحرين ، مستهدين بضوء الدراسات الاجتماعية التى نشرت والمتعلقة بقوى سياسية واجتماعية مماثلة فى ظروفها الاقتصادية وبنائها الاجتماعى والتحولات التى مرت بها ، مع اوضاع الامارة العصفورية ، على الرغم من وجود التفاوت الزمنى فى أحداثها اذ انه مع الثبات النسبى لظروف التحولات الاجتماعية والسياسية ، يكون للتفاوت الزمنى تأثير محدود [١٢٥].

عند بحثنا فى العلاقة ما بين بنى عامر والعيونيين اشرنا الى بروز تحول هام فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبنى عامر . فبعد ان كانت وسائل انتاجهم الرئيسية، التي يتساوون فى الانتفاع بها تعتمد على المراعى ومصادر المياه وترفدها عمليات الغزو والتى يرافقها عادة السلب والنهب ، وكذلك ارغام قوافل الحج والتجارة على دفع الاتاوة لهم ، اصبحوا منذ القرن الثانى عشر يتغلغلون فى أرياف بلاد البحرين وسواحلها ، فأمتلكوا المزارع والبساتين وعيون المياه والسفن البحرية ومغاصات اللؤلؤ . كما أخذت تبرز فيما بينهم افخاذ وبطون تلتف حول هذه الزعامة القبلية او تلك ، كما ان هذه الزعامات اخذ كل منها يقف

بقوته العسكرية الى جانب احد الحكام العيونيين العديدين المتنافسين على السلطة ، وذلك حسب ما تمليه عليه مصالحه .

ان كل هذه الظواهر تعنى بأن الاطار الاجتماعى الرعوى لبنى عامر قد اخذ يتبدل ويتفكك . فبعد ان كانت الروابط الاجتماعية تدور حول الرابطة القبلية الواسعة اصبحت هذه الرابطة غير وثيقة ثم تلا ذلك تطور سياسى هام فى حياة بنى عامر ، فالضرورات الحربية الجديدة والنزاعات فيما بينهم والحرص على ضمان حماية وسائل انتاجهم ومصالحهم الجديدة قد ادى الى بروز سلطة سياسية اتخذت شكل الامارة التى اقامها الشيخ عصفور بن راشد شملت بلاد البحرين واجزاء من نجد وعمان .

ان نجاح قوة قبلية بتأسيس سلطة سياسية فى بقعة يسودها الطابع القبلى ، يعنى العمل على انهاء المساواة فى الانتفاع بوسائل الانتاج على الاسس القبلية ، لانه من غير الممكن ايجاد الموازنة بين ادعاءات القوى القبلية ومصلحة الاسرة الحاكمة الجديدة . فالدولة تعمل على توسيع سيطرتها الاقتصادية وتطوير الملكية الخاصة وتنشيط المصالح التجارية والفعاليات الاقتصادية المختلفة ، وكذلك تنظيم استيفاء الضرائب وحماية المنتجين . كما انها من الجهة الاخرى ترفض الاعتراف للمجاميع العشائرية بحق الانتفاع واياها على قدم المساواة بكل ذلك ، مما يؤدى فى كثير من الاحيان الى حدوث النزاعات فحالة الشقاق العشائرية حالة ملازمة لمثل هذه المجتمعات ، لان كل مجموعة من البطون لا تعترف بحق اى مجموعة قرابية بان تنفرد دونها باحتكار السلطة والانتفاع بالموارد . اذ علينا الا نتوقع بان التحولات التى ادت الى قيام الامارة العصفورية فى بلاد البحرين والتطورات الاجتماعية التى رافقت ذلك ، كانت قد مست بالتغيير المجاميع العشائرية القرابية بشكل رئيسي وانها دمرت كيانها الاجتماعى . فسلاحها كان لا يزال كامنا وموجودا ، الامر الذى يؤدى فى بعض الاحيان الى تمردها كلما شعرت بعدم انسجامها مع كيان الدولة . على انه يجب ان نستدرك ونقول بان المجاميع العشائرية من الافخاذ والبطون تعترف من الجهة الاخرى ، وفى أى مستوى اقتصادى واجتماعى كانت ، بارتباطها بمجموعة اوسع من خلال رابطة النسب الاكبر ، وبالاهمية الكبيرة للشيخ الذى يمثل وحدتها العسكرية ، على انه من الخطأ فى تصوراتنا لطبيعة موقف السكان فى بلاد البحرين من السلطة الحاكمة ، ان يقتصر حديثنا على بطون وافخاذ بنى عامر ، علينا ان نبدى الملاحظات ايضا بخصوص طبيعة الروابط التى تربط فيما بين السكان المستقرين ثم بما يربطهم بالسلطة الحاكمة وطبيعة موقفهم منها .

ان السكان المستقرين فى بلاد البحرين سواء اكانوا فى المدن والقرى والواحات ام على سواحل الخليج تربطهم روابط اقتصادية واجتماعية بالسكان القبليين ، فهم يتحولون من خلال الانصهار والاندماج البطىء الى وحدة كبيرة ذات صلة قربى . على ان السكان المستقرين انفسهم من الجهة الاخرى على الرغم من وجود الملكية الخاصة للارض وما ينتج عنها من تمايز فى الثروة والمراتب الاجتماعية ـ يتحدون فى روابطهم ويتكتلون بحسب المدن والاحياء والقرى ، ويثور بينهم النزاع على اساس هذه التكتلات . كما انهم قد يتكتلون فى قوتهم البشرية والمادية بحيث يصبحون من القوة فى بعض الفترات بالشكل الذى يمكنهم من السيطرة على القبائل المحيطة بهم ، او يقيمون تحالفات معهم .

على ان الملاحظة الجديرة بالاشارة بخصوص السكان المستقرين ، هى ان ضروب النشاط الاقتصادى المختلفة التى يمارسونها

تتطلب توافر الأمن والاستقرار ، اذ بدون ذلك لايمكن للنشاط الاقتصادى ان يزدهر ، لذا فهم يساندون الحكم الذى يحقق لهم ذلك ، فمصلحتهم الخاصة اذن ذات صلة بمصلحة السلطة السياسية القهرية . وكثيرا ما تلجأ الاسرة الحاكمة الى توثيق صلتها بقطاعات السكان المختلفة وتدعيم مركزها بينهم ، عن طريق المصاهرات المتعددة الجوانب .

على انه يجب الا يغيب عن بالنا ان طوائف السكان المستقرين يتباينون فى درجة ولائهم للسلطة ، فاذا كان من السهل اضطهاد الفلاحين واستغلالهم من قبل الأسرة الحاكمة نظراً لارتباط نشاطهم الاقتصادى بالملكيات الزراعية الثابتة ، فان طوائف التجار والصناع تتميز ولاءاتهم عموما بعدم الثبات ، اذ كثيرا ما يلجأون الى تبديلها تبعا لموازين القوى ومصالحهم الخاصة . فأى تبديل فى خطوط المواصلات التجارية اوزيادة كبيرة في الضرائب التى يفرضها الحاكم عليهم اوبروز هيمنة لقوى جديدة منافسة فى منطقة اخرى داخل البلاد او خارجها ، كل ذلك يحملهم على تبديل فى مواقفهم ويتمثل فى اخذهم اموالهم ورحيلهم ، مانحين ولاءهم لمركز القوى الجديد . فهم بذلك يشبهون الجنود الاجراء والعبيد الذين يهجرون اسيادهم عندما يضعفون . كما انهم من الجهة الاخرى بعكس البدو فى ولائهم ، اذ ان الأخيرين يبقى ولاؤهم ثابتا نسبيا لقبيلتهم ولا يمنحون ولاءهم لاية قوة على حساب ولائهم لقبيلتهم .

وبما أن احد مصادر الثروة الرئيسة فى بلاد البحرين تعتمد على النشاط التجارى وما يجلبه من فوائد من خارج البلاد ، كان على حكامها من اجل الثروة ـ ان يتنافسوا من أجل السكان مثلما يتنافسون من أجل الارض . ففى السياسة فى بلاد البحرين لا بد ان يعطى للسكان بالغ الاهمية لانهم مصدر ثروة البلاد .

لاشك بان التصور الذى قدمناه سوف يساعدنا الى حد ما فى تفهم التفاعلات والتحولات والصراعات التى كانت فى بلاد البحرين فى ظل الامارة العصفورية والتى أدت فى النهاية الى التفكك السياسى والانحلال ثم الى زوال سلطتهم من البلاد . وما بقى لدينا الا ان نستعرض ما توفر لدينا من مادة تاريخية شحيحة .

ان الذى نميل اليه هو ان الشيخ عصفور بن راشد خلال جهوده لانتزاع السلطة من العيونيين والسلغريين والفترة التى اعقبتها ، كان قد كسب الى حد كبير تأييد ومؤازرة قطاعات عديدة من السكان المستقرين بالاضافة الى معظم بطون وافخاذ بنى عامر واستطاع ان يلفهم حول حكمة . والذى يبدو لنا ايضا ان الشيخ عصفور كان قد اشرك فى السلطة بعض بطون بنى عامر اضافة الى اسرته ، فعلى الرغم من انه كان قد وزع السلطة فى بلاد البحرين واليمامة على اولاده ، فانه قد اشرك الشيخ مانع بن على بن ماجد بن عميرة فى حكم البلاد ، كما انه كان قد اشرك قبل ذلك فى السلطة الشيخ ابا عاصم بن سرحان بن محمد بن عميره . ومن المحتمل انه خلال النصف الثانى من القرن السابع/ الثالث عشر ، لم تكن هناك نزاعات تذكر حول السلطة . الا انه خلال حكم اولاد الشيخ مانع بن عصفور فى النصف الاول من القرن الثامن/ الرابع عشر ، انفجرت النزاعات حول السلطة . فالقلقشندى ينقل لنا عن ابن فضل الله العمرى وصفا لاوضاع بلاد البحرين خلال تلك الفترة ، حيث يقول بان (الامرة فيهم فى اولاد مانع الى بقية امراء منهم وكبراء لهم ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنية وأطام علية وريف غير متسع ، الى ما لهم من النعم والماشية ، والحاشية الفاشية ....) ثم يضيف القول (الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، والجماعة متفرقة (١٢٦) ثم ان ابن

فضل الله العمرى يورد لنا قائمة تتضمن اسماء عدد كبير من امـراء بنى عصفور اضـافة الى اسماء امراء لعرب البصرة والبحـرين من غير بنى عصفور . وقد قسم هؤلاء الامراء الى ثلاث مراتب حسب أهمية نفوذهم السياسى والقبلى . وقد جعل فى المـرتبة الاولى من هـؤلاء الامراء أثنين من اولاد الشيخ مانع بن عصفور ، وهم محمد وحسين . وقد ضمن هذه المرتبة اسماء نرجح ان يكونوا من امراء عرب البصرة ، وهم صـدقـة بن ابـراهيم بن ابى دلف وعـلى بن منصور .

اما المرتبة الثانية ، فقد ورد فيها اثنان من اولاد الشيـخ مانـع بن راشـد وهمـا بـدران وراشد ، اضافة الى مانع بن بدران ، وكبلى بن ماجد بن بدران ومانع بن على ، كمـا تضمنت هذه المرتبة اسماء يبـدو انها من امـراء عرب البصرة والبادية ، وهم رومى بن ابى دلف وزين ابن قاسم ويوسف بن قاسم وسعيد بن معدى وعيسى بن عرفه وظالم بن مجاشع واسماعيل بن صوارى . واخيرا تأتى اسماء امـراء المرتبـة الثالثة ونجد من بينهم عددا من اولاد الشيـخ مانع بن عصفور واحفاده وهم زيـد بن مانـع وحسن بن عظيم بن مانع وهلال بن يحيى بن معمر بن مانع وموسى بن ابى الحسين ومحمد بن خليفة . ولقد ورد ضمن قائمة امـراء المرتبـة الثـالثة سعـد بن مغامس (١٢٧) وهـو من امـراء البحـرين وسـوف نشـير الى دوره فى الاحداث فى حينه .

يتضح لنا فى القائمة السالفة كثرة امراء بنى عـامر المنحـدرين من نسل الشيـخ مـانـع بن عصفور بن راشد وتعدد مراتبهم واهميتهم . الا انه من المؤسف حقا ان ابن فضل الله العمرى لم يعطنا تفاصيل اكثر عن مركز كل واحد منهم في السلطة والمناطق التى يسود فيها نفوذه ونوع العلاقات القائمة بينهم . والواقع فأن عدم وجود المبدأ الوراثى الثابت لتولية المشيخة ربما يكون خلف كثرة امرائهم وتعدد مشاحناتهم . فالأمير فى مثل هذه الكيانات يخلفه ابنه وربما عمه او ابن اخيه ، وهذا يعتمد على القابلية الشخصية لكـل فرد من افـراد البيت الحاكم وعـلى عدد المنضوين تحت لوائه من عشيرته واتباعه . كما ان يمـين الولاء الذى يؤديـه افـراد الاسـرة الحاكمة والوجوه والاعيان للحاكم ، ما هـو فى الواقع الا اتفاق يمكن فسخه ، فليس له من قوة او قدسية . لذا فعلى الحاكم فى ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية ان يلجـا الى استخدام الاجراء والعبيد لحراسته لكى يشعر بالأمان اذ انهم اكثر اطاعة له ، فلا ينظرون اليه على انهم على قدم المساواة معه ، مثلما ينظر اليه افراد اسرته وعشيرته الذين يطالبونه باشـراكهم فى السلطة والسمعـة والثروة . فـالظروف المشار اليها تدفع الامير اذا لتكوين هذه القوة الخاصة ذات التركيب الاجتماعى المقـطوع الجذور او الضعيف الالتصاق بالواقع القبلى السائد ، مما يسهل عليه استخدامها فى حفـظ الامن وجمع الضرائب فهم خدام الشيخ او رجاله (رجاجيل الشيخ) الذين يحيطون به ويحمونه .

كما ان لجوء الامراء العصفوريين الى اتخاذ المباني المحصنة مستقرا لهم ولحاشيتهم ـ وان كان ذلك يدل على تحول اجتماعى فى حياتهم ـ ما هو فى الواقع الا تعبير عن عدم شعورهم بالامان من خصومهم السياسيين ، فأحتاطوا لانفسهم بالسكن فى القصور والحصون . وهذا مـا عبر عنه ابن فضل الله العمرى فى نصه السابق ، عندما وصف حياتهم بقوله « ... ولهم قصـور مبنية واطام عليه ... والحاشية الفاشية ... » . والواقع فان عمليـة تكوين السلطة السيـاسية تعتمد على التطور الحاصل فى الادارة الوحيدة للقوة ، وهى القوة العسكرية ، ولم تظهر سلطة سياسية بدون ظهور قوة عسكرية الى جانبها . على ان التركيب الاجتماعى للقوة العسكرية ما هو الا نتاج البيئة الاقتصادية والاجتماعية اى

المادة البشرية مع بنائها الثقافي وتركيبها الاجتماعي ومفاهيمها .

على انه يجدر بنا ونحن نستعرض عوامل تفكك السلطة السياسية لامارة العصفوريين ان نشير الى اثر القوة السياسية الخارجية . اذ ان ظهور القوى البحرية التجارية في مياه الخليج العربي كالطيبيين في مقاطعة فارس وجزيرة قيس وكذلك مملكة هرموز ، ربما لعبت ادوارا رئيسية في هذا الخصوص .

فالتنافس بين امراء بني عصفور حول السلطة وخشية بعضهم من بعض ربما دفعهم الى التسابق في طلب الدعم الخارجي من هذه القوى التي سوف ترحب بالتأكيد بمثل هذا الطلب لبسط نفوذها على بلاد البحرين . كما انه لابد ان نشير بان تحكم هذه القوى البحرية في تجارة الخليج العربي هو مصدر تهديد خطر لكيان بلاد البحرين ولازدهار اقتصادها فيما اذا لم يقم حكامها علاقة سياسية مع هذه القوى تلك العلاقة التي انتهت في احيان كثيرة الى اخضاع البلاد الى نوع من التبعية الاقتصادية والسياسية . ولعل فيما مر بنا ما يغني عن اعادة التوضيح .

بقي علينا ان نناقش تاريخ زوال امارة العصفوريين وان نتحدث عن القوى التي تم على يديها ذلك ، والفترة الزمنية لوقوعة .

ان ما نملكه بهذا الخصوص هو نص واحد اورده ابن حجر العسقلاني نستشف منه امورا كثيرة ، فعندما ترجم ابن حجر لابراهيم بن جروان قال عنه (ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قريش ، صاحب القطيف ، انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي في سنة ٧٠٥ ، وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام ابراهيم مقام ابيه ، وكان موجودا في العشرين وثماني مائة ، وهم من كبار الروافض) (١٢٨) .

ان هذا النص لم نعثر على ما يؤيده او ينفيه او يصححه ، وقد اعتمده بعض المعاصرين ممن مروا بتأريخ هذه الفترة مرورا عابرا ، وقبلوه بدون ادنى تمحيص لأفتقارهم الى ادوات تجريحه . على اننا سوف نقف امامه وقفة طويلة ، وسوف ينصب نقدنا اساسا على التواريخ التي تضمنها النص .

على الرغم من ان ابن حجر في هذا النص لا يشير بشكل مباشر الى ما يتعلق بأمارة العصفوريين الا انه يفيدنا بهذا الخصوص . فهو يورد بأن جروان قد انتزع بلاد البحرين من سعيد بن مغامس عام ٧٠٥/١٣٠٥ ـ ١٣٠٦ ، ومعنى ذلك ان سعيد بن مغامس كان قد انتزع تلك البلاد او جزءا منها من العصفوريين . فمن يكون سعيد بن مغامس هذا ؟ يمكن ان نطرح ثلاثة احتمالات بهذا الخصوص ، الاحتمال الاول يستند الى قائمة اسماءامراء بلاد البحرين خلال النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر التي اوردها ابن فضل الله العمري وذكرناها سابقا ، اذ نجد من بين الاسماء اسم سعد بن مغامس فهل ان سعدا هذا ما هو في الحقيقة الا سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه الذي اورد ذكره ابن حجر ، او انه اخ له ؟ انه من الصعوبة الاجابة على مثل هذا الاحتمال .. اما الاحتمال الثاني فهو ان يكون سعيد بن مغامس من احفاد شريف مكة ابي نمي ، اذ تشير مصادرنا الى ان قسما من هؤلاء قد استقروا في العراق ومارسوا نفوذا سياسيا واجتماعيا ودينيا واسعا فيه خلال القرن الثامن/الرابع عشر ، (العهدان الايلخاني والجلايرى) ، ولعل الدور الذي لعبه الشريف احمد بن الشريف رميثة بن ابي نمى في وسط وجنوبي العراق خلال هذه الفترة خير مثال على ذلك . كما انه يرد ذكر اكثر من شخص من احفاده في العراق ممن يحمل اسم مغامس (١٢٩)

والذي يهمنا من بين هؤلاء هو السيد مغامس الذي ذكر ابن عنبه (ت ٨١٢) بانه من ابناء الشريف رميثه بن ابي نمى (ت ٧٤٦) المقيمين في العراق ، وقد يكون السيد مغامس هذا حفيدا للشريف رميثه . ولقد اضاف ابن عنبه قائلا بأن للسيد مغامس عقب [١٣٠] ، ثم سكت دون ان يصرح باسم احد منهم . والسؤال الذي يطرح نفسه هو ، هل سعيد بن مغامس الذي ورد ذكره في نص ابن حجر هو من ابناء مغامس المنحدر من الشريف رميثه ؟ واذا كان كذلك فكيف تسنى له ذلك ؟ للاجابة على ذلك هناك احتمالان ، اما ان يكون السيد مغامس او ولده سعيد قد انتقل من العراق الى بلاد البحرين فاصبح لهم نفوذ ومنزلة كبيرتين نظرا لانتمائهم العائلي ، الامر الذي مكنهم من انتزاع السلطة من العصفوريين . او ان سعيد بن مغامس كان قد استعان في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين ببعض قبائل جنوبي العراق ، وربما قد تم ذلك بتوجيه وتشجيع من الجلايريين الذين لهم الحكم في العراق وايران . الا ان سلطة سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه هذا لم تدم طويلا لاحتمال ان تكون القوى الخارجية التى استعان بها قد انفضت من حوله نظرا لطبيعتها القبلية . مما مكن جروان من انتزاع السلطة من يديه بالاستعانة بنفوذه داخل الاحساء . ان مما يعزز هذا الاحتمال في كون سعيد بن مغامس من ذرية الشريف رميثه هو اولا ان ابن حجر قد وصفه بالقرمطي ولابد ان يكون المقصود بذلك انه شيعي المذهب ، اذ لايوجد للقرامطة في بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمى الى احدى عشائر بني عقيل وكانت هناك علاقة بين قبائل جنوبي العراق وخصوصا البصرة وبين قبائل البحرين ، ولعل تعاونهم معا ضد جيوش تيمور لنك عندما غزت البصرة خير شاهد على ذلك ، وقد مر ذكرها . ثالثا ما اورده العصامي من وجود اقرباء الشريف مكة في الحسا حتى القرن العاشر/السادس عشر [١٣١] .

اما الاحتمال الثالث ، فهو ان يكون صالح بن جولان الذي سبق وذكرنا بانه قد قاوم جيوش تيمورلنك عند هجومها على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ والذي يوصف بانه صاحب البصرة والبحرين هو الذي انتزع بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمى الى احدى عشائر بني عقيل التى تقيم في منطقة البصرة (بنو مالك ، عباده ، خفاجه) او انه من امراء بني عصفور في البحرين وقد مد نفوذه الى البصرة واقام فيها . وعين سعيد بن مغامس نائبا عنه في بلاد البحرين ، وان سعيد هذا قد انتهى بنهاية صالح بن جولان امام تيمورلنك .

او ان يكون سعيد بن مغامس قد استولى على بلاد البحرين منتهزا الهزيمة التى منى بها صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين بعد ذلك امام جيوش تيمورلنك ان هذا الامر لا يتعارض وصلة القرابة التى من المحتمل انها تربط سعيد بن مغامس بشريف مكه رميثه ، كما ان الاحتمال الثالث الذي ذكرناه انفا متداخل مع الاحتمال الثاني .

أما النقطة الاهم في نص ابن حجر فهي التواريخ التى اوردها اذ هي ملفتة للنظر وتحتاج الى مناقشة . فالتاريخ الذي اورده ابن حجر كبداية لقيام حكومة جروان في بلاد البحرين هو عام ٧٠٥/١٣٠٥ ـ ٠٦ اما تاريخ بداية حكومة سعيد بن مغامس فكان في مطلع القرن الثامن/الرابع عشر بحسب ما ذكره الشيخ محمد العبد القادر [١٣٢] . ان التواريخ الانفة الذكر لا يمكن القبول بصحتها للاسباب الاتية :

اولا ـ ان ابن فضل الله العمري الذي عاش في النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر ، وكان معاصرا لما يرويه قد ذكر بان بلاد البحرين تحكم من قبل اولاد مانع بن عصفور ،

وان دارهم الاحساء والقطيف وملح وانطاع والقرعاء واللهابة والجسود ومتالع [١٣٣] .

ثانيا ـ ان القائمة التى اوردها ابن فضل الله العمري لامراء بلاد البحرين في النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر صريحة في ان الحكم في تلك البلاد هو بيد اولاد مانع وليس هناك من ذكر لجروان او اولاده .

ثالثا ـ اذا كان ما افترضناه من ان سعد بن مغامس الذي ورد ذكره عند ابن فضل الله العمري ، ما هو الا سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذى ورد في نص ابن حجر فأننا نجد ان اسمه يأتى ضمن امراء المرتبة الثالثة ، ومعنى ذلك انه ذو نفوذ سياسي محدود جدا اذ لا يمكن ان يكون حاكم بلاد البحرين ، خلال هذه الفترة ويوضع في هذه المرتبة . اما اذا سلمنا بان سعيد بن مغامس ما هو الا حفيد شريف مكة رميثة المتوفى سنة ١٣٤٥/٧٤٦ ـ ٤٦ فمن المستبعد ان يكون الحفيد قد برز الى الوجود في مطلع القرن الثامن/الرابع عشر.

رابعا ـ ان الاحداث التى وقعت في بلاد البحرين في عهد توران شاه وورد ذكرها في الشاهنامه تشير الى ان زعيم بني عصفور في جزيرة البحرين هو الشيخ احمد بن راشد وان حاكم القطيف هو من اقربائه ايضا وهو الشيخ ماجد . وان هذه الوقائع قد حدثت في النصف الثاني من القرن الثامن/الرابع عشر ، وقد حددنا وقوعها بشكل تقريبي في العقد السادس او السابع من ذلك القرن فاين ذكر بني جروان ان كانوا يحكمون جميع بلاد البحرين حسب ما اورده ابن حجر ؟ بل الذي تفيده هذه النصوص التى أشرنا اليها هو ان حكم بنى عصفور لا يزال قائما في بلاد البحرين في هذه الفترة .

خامسا ـ ان ابن حجر قد حدد بداية قيام حكومة جروان بعام ٧٠٥ وان ولده ناصرا قد اعقبه في الحكم ثم حفيده ابراهيم . وقد وصف ابن حجر ابراهيم هذا بانه لايزال يحكم في القطيف عام ١٤١٧/٨٢٠ ومعنى ذلك ان ثلاثة حكام منهم قد حكموا بالتعاقب لمدة تزيد على ١١٠ سنوات ، وان ثالث هؤلاء الحكام كان لا يزال يحكم في البلاد في عام ١٤١٨/٨٢٠ فيكون بذلك معدل حكم كل واحد منهم يقارب الاربعين عاما . الامر الذي يصعب قبوله لانه من الامور القليلة الوقوع في مناطق واسعة من العالم ، فكيف الحال في بلاد البحرين التى يكثر فيها الاضطراب ويتدنى فيها المستوى الصحي .

سادسا ـ ان ابن عنبه ينقل رواية عن استاذه ابن معيه الحسيني (ت ٧٧٦) بخصوص اعقاب موسى الجون الذين يقال لهم الاخيضريون ، بقوله انهم في اليمامة بالف فارس وهم مع عامر [١٣٤] . ان تخصيص دخول الاخيضريون مع عامر يدل على ان بني عامر كانوا لا يزالون حتى ذلك التاريخ هم اصحاب الصوله والجوله في بلاد اليمامة ايضا .

سابعا ـ سبق ان ذكرنا بان صالح بن جولان الذي قاوم ببسالة هجوم جيش تيمورلنك على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ ، وقد وصفته المصادر بانه صاحب البصرة والبحرين ، ومعنى ذلك انه الحاكم فيهما ، ومن بين من ذكر ذلك ابن حجر نفسه ، ومعنى ذلك انه قد ناقض نفسه في نصين مختلفين ، اذ كيف يحكم اولاد جروان ؟ بلاد البحرين في الوقت الذى هي تحكم من قبل صالح بن جولان ؟ يتضح مما اوردناه من اعتراضات بأنها كافية لتفنيد التاريخ الذي اورده محمد العبد القادر حول تاريخ استيلاء سعيد بن مغامس على السلطة في بلاد البحرين ، وكذلك ما اورده ابن حجر حول تاريخ قيام حكومة جروان . لذا لابد ان يكون هذا التاريخ خطأ وقد يكون مصدر هذا الخطأ ان تحريفا او سهوا قد وقع في هذا التاريخ ، اما في اصل كتاب ابن حجر او في المطبوع منه ، وقد يكون هناك رقم قد وقع من الوسط ما بين الرقم الاول

والثالث وحل محله الصفر .

بقى اذا ان نعرف التاريخ التقريبي لزوال حكم العصفوريين من بلاد البحرين . ان اعطاء رقم محدد لذلك ليس بالامر الهين ما دامت مصادرنا ضنينة علينا . والذي نراه ان حكم العصفوريين في بلاد البحرين قد امتد لمدة تقارب من القرن ونصف القرن ، وان زوال حكمهم قد تم في العقد الثامن او التاسع من القرن الثامن/الرابع عشر ، وقد يكون ذلك مرتبطا بالاضطراب الذى عم منطقة الخليج العربي ، والشرق بظهور تيمورلنك . ان تواريخ ٧٧٥ او ٧٨٥ وحتى ٧٩٠ هي تواريخ مقاربة لذلك . واخيرا ونحن بصدد ذكر امارة جروان من المفيد ان نسجل بعض الملاحظات وهي .

اولا - اننا لا نرى بأن جروان ينتسب الى بني مالك القرشيين كما ذكر ابن حجر بل الذي نراه هو انهم من بني مالك احد بطون عبدالقيس ، ويبدو ان محمد العبد القادر قد حاول ان يصلح الخطأ الذي وقع فيه ابن حجر ، عندما ذكر بان جروان من بني مالك بن عامر ، وكلا البطنين هم من عبدالقيس . ومما هو جدير بالذكر هنا بان ابن مقرب العيوني كان قد ذكر في شعره مرارا اسم ابراهيم بن عبدالله بن جروان معاتبا اياه او مادحا له وكان ابراهيم هذا احد اثرياء الاحساء ووجهائها ومعاصرا لقيام امارة العصفوريين . فهل جروان الذي نجح في تأسيس سلطة سياسية في بلاد البحرين هو من ذريته ؟ واذا كان كذلك فلابد ان فوزه في السلطة قد تم نتيجة لتحالف بعض البطون والاحياء في ارياف بلاد البحرين وهذا ما ألمحنا اليه سابقا من ان زعماء السكان المستقرين في الأرياف ربما يكون لهم من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم على مناطق واسعة وان الاثرياء في بلاد البحرين لهم من النفوذ والاتباع الذين يدينون لهم بالتبعية الاقتصادية ما يقارب نفوذ الشيوخ والحكام .

ثانيا - ان امارة جروان لابد ان تكون قد خضعت هي الاخرى لتبعية مملكة هرموز وان حكمها لم يشمل جزيرة البحرين . فالنصوص التى اوردها السخاوي تشير الى ان فيروز شاه الذي قد انتهى حكمه عام ١٤١٧/٨١٩ كان ملكا لهرموز والبحرين والحساء والقطيف . كما ان ولده سيف الدين مهار الذي اعقبه في الحكم وانتهى حكمه عام ٨٤٠/١٤٣٦ - ٣٧ قد قال عنه جعفري بانه كان قد ارسل بالحكام من قبله لكل من القطيف والبحرين .

ثالثا - ان بني عصفور خاصة وبني عامر عامة وقد فقدوا سلطتهم السياسية قد بقوا في بلاد البحرين محتفظين بنفوذهم الاقتصادي الواسع . ولعل فيما ذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن محمد العمري ، من انه قد غادر الحجاز بعد انتهاء موسم الحج متوجها الى بلاد العجم بصحبة قافلة بني عقيل سنة ٨٢٣/١٤٢٠ ، [١٣٥] يمكن اعتباره دليلا مهما على استمرار النشاط الاقتصادى لبني عامر - الذين كثيرا ما يطلق عليهم بنو عقيل - وعلى انهم لايزالون يتمعتون بهيبة واحترام في جزيرة العرب ، خاصة ونحن نعرف الاهمية التجارية لقافلة الحج وبان من يتولى قيادتها لابد ان يكون قادرا على حمايتها . ومن المحتمل انهم دفعوا ثمنا لبقائهم بنقل ولائهم وقوتهم العسكرية الى خدمة القوة الجديدة ، متحينين الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السابقة . وقد تم لهم ذلك اخيرا على يد احد افخاذهم وهم بنو جبر الذين استرجعوا سلطة بني عامر على بلاد البحرين في حدود منتصف القرن التاسع/الخامس عشر .

الهوامش

★ يقر كاتب البحث بانه مدين بالشكر العميق للزميلين الاستاذ اسعد الكبيسي والدكتور محمد وصفي ابو مغلي مدرسي اللغة الفارسية في جامعة البصرة لما قدماه من مساعدة في قراءة النصوص الفارسية وترجمتها . اما النصوص الفرنسية والالمانية فقد تفضل مشكورا الصديق الدكتور وست T-West مدرس الادب الاوربي المقارن في جامعة ايست انجليا بترجمتها الى اللغة الانجليزية بناء على طلب الكاتب .

١) تحفة الالباب في تاريخ الاحساء ، مجلة العرب جـ ٥ـ٦ (١٩٧٥) ص ٤٤٠ـ٧٢ خصوصا ص ٤٧١ .

٢) احمد مصطفى ابو حاكمة ، صفحات مطوية من تاريخ الخليج والجزيرة العربية ، مجلة الدوحة مارس ١٩٧٦ ص ٨٠ـ٨١ .

٣) كمثال على ماكتب بشكل متحيز ويتجاهل دور العرب في تاريخ الخليج العربي راجع عباس اقبال مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس ، طهران ١٣٢٨ شمسي وقد كتب هذا البحث بطلب من الخارجية الايرانية ونشر بأمر منها .

٤) J.H. Stevens. Man and Environments in Eastern Saudi Arabia Arabian studies, I London (1974) 137-8ed. R.S. Serjeant & R.I. Bidwell.

٥) حول اهمية سفن العرب الشراعية ودورها في حياة عرب الخليج راجع .
H. Yajima. The Arab Dhow Trade in the Indian Ocean, (Tokyo, 1976).

٦) J.B. Kelley ''Sovereignty and Jurisdication in Eastern Arabia, International Affairs Vol.34, I. 1959 PP.16-24 esp. 17

وللاطلاع على اثر القيم القبلية في قيام الكيانات السياسية في شرق الجزيرة العربية انظر .
P. Lienbardt. The Authority of Shaykhs in the Gulf Arabian Studies, (London 1975), 61-75

٧) M.B. Rowton. Autonomy and Nomadism in Western Asia Orientalia, Vol.42. Nova Series Fasc. 1. 2, Rome 1973) PP. 247-58 esp. 253-4.

لمن يريد من الباحثين ان يتعرف على الدراسات الاخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الابحاث التالية لنفس الكاتب .
Urban Autonomy in a Nomadic Environment, J. of Near Eastern Sts. No. 1 and 2 (1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism, JESHO, Vol. XIII,1, PP.1-30.

٨) حول عقيل وبطونها ومواطن سكناها راجع الحسن بن عبدالله الاصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح احمد العلي ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ٣ـ١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) جمهرة انساب العرب (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠ـ٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون جـ ٢ (بيروت ١٩٦٦) ، ٦٤٧ـ٤٩ ، جـ ٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤ـ٢٥ ، القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٣٠ ، ٣٦٦ .
نظرا لكثرة الاخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيق علي الخاقاني . راجع ايضا لنفس المؤلف صبح الاعشى (القاهرة ١٩١٤) ، ٤/ ٢٠٤
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦ـ٧٧ ، ١١٩ـ٢١ ، عبدالستار الحسني نظرات في نهاية الارب للقلقشندي ، مجلة البلاغ ٢/ ٦ (١٩٧٦) ٦٣٠ـ٧١ .
خاشع المعاضيدي ، دولة بني عقيل في الموصل (بغداد ، ١٩٦٨) ـ ٢٧ ـ ٣٠
H.C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS Vol. XVIII, 1886, PP.491-526
لقد اعتمد كي في بحثه على ابن خلدون بشكل رئيسي .

٩) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ٣ـ١١
G. Rentz, art. Katif. EI2

١٠) الهمداني (ت ٣٣٤/٩٤٥ ـ ٤٦) صفة جزيرة العرب . (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣) ، ١٣٦-٣٧ ، ١٦٩ وكذلك انظر عبدالرحمن عبدالكريم النجم . البحرين في صدر الاسلام (بغداد ١٩٧٣) ، ٤١-٤٤ .

١١) ابن الاثير ، الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٦/٩٣ ، تاريخ ابن خلدون ، ٤/١٩٥ ، ٦/٢٨ ، ٦٣ ؛ ثابت بن سنان ، تاريخ اخبار القرامطة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ .

١٢) حول هجمات قرامطة البحرين هذه ، راجع ابن الاثير حـ٦ ، جـ٧ ، ابن خلدون ٤/١٨٨/٩٤

١٣) انظر على سبيل المثال ابن خلدون ٦/٢٥ ، عبالجبار ناجي ، الامارة المزيدية (البصرة ١٩٧٠ ٣٥-٤٢ ، الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، بغداد ١٩٦٨) ١٧٣-١٧٧ . يذكر ابن الاثير ٧/١٢٣ ، انه في سنة ٣٧٤ تقلد ابو طريف عليان بن ثمال الخفاجي حماية الكوفة وهي اول امارة بني ثمال .

١٤) ابن الاثير ٧/١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨ و ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤) ؛ ابن الجوزى ، المنتظم ٧/١٧٤

١٥) تاريخ ابن خلدون ٢/٦٤٧-٤٨ ، ٦/٢٤-٢٥ .

١٦) نفس المصدر ٦/٢٨ .

١٧) ابن خلدون ٦/٢٤-٢٥ ، ٦٣ .

١٨) يرد هذا الاسم في تاريخ ابن خلدون بصور ثلاث . فتارة بني ابي الحسن (٢/٦٤٨) وتارة ابي الحسين الاصفر بن تغلب (٦/٢٥) واخرى بنو الاصفر بن تغلب (٦/١٤٢) . وكذلك قلائد الجمان ، ١٢٠ . ولا شك ان المقصود بهذا هو الاسرة العيونية التى تنحدر من احد بطون عبدالقيس اي ابناء محمد بن ابي الحسين بن عبدالله علي العيوني . كما انه من المحتمل ان بني الحسن ربما قصد بهم اولاد ابي الحسن علي بن مسمار زعيم عبدالقيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف . الا ان هذا الاحتمال الاخير ضعيف . انظر محمد عبدالله العبد القادر ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم ، (الرياض ١٩٦٠) ١/٢٥٦ ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ . اما اطلاق اسم بني الاصفر بن تغلب فهو نوع من التخليط ، اذ لا نعرف ظهور اسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استنادا الى ما ذكره ابن الاثير ، بان زعيم المنتفق المسمى الاصفر قد قام بمهاجمة البحرين عام ٣٧٨/٩٨٨ ونهب القطيف ونظرا لانتشار بني المنتفق ما بين البصرة والبحرين وغموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الاسماء والاحداث . راجع الكامل حـ ٧ (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩ . اما الاصفر التغلبي الذي ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٣٩ في رأس العين . وجمع حوله اتباعا كثيرين وادعى بانه مرسل . فقد تم انهاء حركته هذا وقد ذكره ابن خلدون ايضا ٤/١٩٦ فلا نرى له اية صلة بالبحرين .

١٩) تاريخ ابن خلدون ٦/٢٤-٢٥ ، ٦٣ .

٢٠) انظر قلائد الجمان ، ١٢١ .

٢١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت ١٩٦٨) ٤/١٩٥-٩٦ ، القلقشندي ، نهاية الارب ٣٦٦ ، قارن ذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ، ٣٣٨ . انظر ايضا القلقشندي ، قلائد الجمان ، ١١٩-١٢٠ .

٢٢) ابن خلدون ٤/١٩٥ .

٢٣) ابن الاثير ٧/١٣٦ ؛ قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم ٧/١٧٠ .

٢٤) ن . م ٦/٣٢٥ ، ٣٤٠ ؛ ابن مسكويه ، (ت ٤٢١/ ، تجارب الأمم) (القاهرة ، ١٩١٥) حـ ٢/١١٢ ، ١٤٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ٦/٣٦٨ .

٢٥) ن . م راجع ٧/٦٥ (حوادث ٣٨٤) ، ١٧٥ (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤ (حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفى الاصفر او الاصيفر المنتفقي عام ١٤٠٩ او عام ٤١٠ انظر الكامل ٣٠٣ ؛ تاريخ هلال الصابي ، ذيل على تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ .

٢٦) سفرنامه (بيروت ٩٧٠) ، ١٤٥ ترجمة يحي الخشاب .

٢٧) محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القاهرة ١٣٤٢ ط ٢) ٩٣-٩٤ كذلك انظر ، تحفة المستفيد .

٢٨) التحفة النبهانية ، ٩٤-٩٥ ، تحفة المستفيد ، ١/٩٨-١٠٠ ، ٢٥٤ .

٢٩) J.M. de Goeje, Lafin de Empire des Carmathes dus Bahrain, J.A. 1895, IX Serie, 1-30 Quoted in Caskel, Eine Unbekannte Dynastie in Arabien Oriens, 2, 1949, 66-71, esp. 70.
ومما هو جدير بالذكر هنا ان عبدالفتاح الحلو الذي حقق ديوان ابن المقرب لم يطلع عند تحقيقه الديوان على مخطوطه دى غويه او على بحثه المذكور اعلاه . وحول نظام الحماية راجع .
CL. Cahen, art, "Himaya", EI^2

٣٠) التحفة النبهانية ، ٩٦ـ٩٨ ، تحفة المستفيد ، ١/٩٨ـ١٠٠ ، ٢٥٩ـ٢٦٠ وحميد بن رزيق ، الفتح المبين ، (القاهرة ١٩٧٧) ٢٣٨ـ٣٩ .

٣١) ن . م وكذلك تحفة المستفيد ١/١٠١ ، ١٦١ ديوان ابن المقرب (القاهرة ١٩٦٣) هامش ص ٥٣٣ .

٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ب.ت) ٨/١٥٣ ومما هو جدير بالذكر هنا ان ابن الاثير قال بان الرجل الذي حرض زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيما قال (لقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ . ان هذا لدليل على ان بني عامر في ظل القرامطة كانوا يقومون بهذا العمل راجع ايضا الذهبي/دول الاسلام (القاهرة ١٩٧٤) ٢ /١١ .
ومما هو جدير بالذكر ان البرفيسور بوزورث قد وصف هؤلاء المهاجمين بانهم قرامطة البحرين . وهذا ما لم يقله ابن الاثير الذي كان مصدره في هذه الواقعة ، اذ ان القرامطة قد انتهى امرهم في تلك الجهات قبل هذا التاريخ . اما اذا كان بوزورث قد قصد بانهم كانوا على مذهب القرامطة فهو امر يصعب قبوله ايضا راجع .
c.e. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians World, 1000-1217" PP.1-202, esp.99
in the Cambridge History of Iran, Vol.5. Cambridge, 1968

٣٣) جزيرة العرب في نزهة المشتاق تحقيق ابراهيم شوكة ، م . المجمع العلمي العراقي م/٢١/١٩٧١ ص ٥٠ .

٣٤) ديوان ابن المقرب ، ٦٤٦ـ٤٧ .

٣٥) ديوان ابن المقرب ، ١١١ـ١١٢ ، هامش ص ٥٤٦ـ٤٧ انظر كذلك . Caskei, OP. Cit. 70

٣٦) تاريخ ابن خلدون ٣/٥٣٠ الكامل ، ٩/٢١٩ ؛ تحفة المستفيد ، ١٠٤

٣٧)
Quoted in M.B. Rowton, The Role of water Courses in the Grouth of Mesopotamain Civilization, Alter Orient und Altes TEstament. Bd. 7. 1969, 307-16

٣٨) ديوان ابن المقرب ، ٢٠٢ .

٣٩) تحفة المستفيد ٢٦٨ .

٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ .

٤١) ن . م . ١٠٧ـ٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .

٤٢) ديوان ابن المقرب ٤٥٦ـ٤٦٥ .

٤٣) ديوان ابن المقرب ٦٣٨ـ٣٩ ؛ تحفة المستفيد ، ٣١٣ .

٤٤) الكثيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيون طرفها الشمالي ، المحاديث من ارض العيون وحلوان مكان بين الاحساء والقطيف .

٤٥) الخط ، هي القطيف . صفوان طرفها الشمالي ، الظهران طرفها الجنوبي .

٤٦) وامض شيء ، اوجعه . المروزان وكرزكان قريتان في جزيرة اوال .

٤٧) التحفة النبهانية ، ٩٨ ديوان ابن المقرب ، ٥٠٥ وللاطلاع على تفصيل اكثر راجع تحفة المستفيد ١/١٠١ ، ١٠٨/٩٨ ، ٢٥٣ .

٤٨) صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، ٣٠١ .

٤٩) تحفة المستفيد ١١٢ـ١١٤ ، ديوان ابن المقرب ٦٣١ـ٦٤١ .

٥٠) تحفة المستفيد ١١٣ ، ١١٦ـ١٨ ، ٢٥٣ .
٥١) ن . م . ١١٨ .
٥٢) حول هذا المخطوط انظر تحفة المستفيد ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ ـ٥٤ . خصوصا صفحة ٢٥٣ .
٥٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، (ليدن ١٩٥١) ص ٢٨٨ .
٥٤) حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع :

S.A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sljugids of Iran, Islamic Studies, Vol.2, (1963) PP.457-66

٥٥) احمد افندي الملقب منجم باشيء ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ، (المكتبة السليمانية) ، مجموعة اسعد افندي الرقم ٢١٠١ ـ الورقة ٦٤٧ .
٥٦) تحفه المستفيد (ملحق ٣) ٣٥٣ .
٥٧) وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازي ، تاريخ وصاف المسمى تجـزية الأمصـار وتزجيـة الاعصار (بوبي ١٢٦٩) أعيد طبعه في طهران ١٣٣٨ جلددوم ، ١٧٩ .
٥٨) ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ـ كتاب الجغرافيا ـ بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨ ـ ١٣١ .
٥٩) تاريخ ابن خلدون ٤/١٩٦ ـ ٩٧ ، قلائد الجمان ، ٢٠ ، نهاية الأرب ١٠٦ .
٦٠) صبح الاعشي (القاهرة ١٩١٥) ٥/٦٠ .
٦١) تاريخ ابن خلدون ٢/٦٤٨/٤٩ ، ٦٠/٢٥ ، قلائد الجمان، ١٢١ : نهاية الأرب ،٣٣ .

٦٢) المصدر السابق ٦/٢٥ .
★ لقد استعمل الشيخ النبهاني تسمية الزنجيين لاتـابكة فـارس بدلا من الاسم الشـائع في المصـادر التاريخية وهو السلغريون نسبة لجدهم سلغر التركماني الذى كان حاجبا لسلطان السلاجقـة في العراق طغرل الأول . ولقد تابع النبهاني في تسميته هذه من نقل عنه دون ادنى تمحيص . بل ان هذه التسمية قد ادت بالبعض من هؤلاء الى الوقوع في خطأ شنيع ، اذ تصوروا ان السلغريين هم من الزنج الذين كانوا قد ثاروا في جنوب العراق وحكموا البصرة في النصف الثاني من القرن الثالث/ القرن التاسع .
٦٣) تحفة المستفيد (ملحق٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد اول ١٧٦ ـ ٧٧ قاضي احمد غفاري قزويني ، تاريخ جهان ارا (تهران ١٣٤٣ شمسي) ، ١٢٦ ـ ٢٧ ، ومن الجدير بالذكر ان القاضي غفاري قد ذكر اسم جمشيد كآخر ملوك بنى قيصر وتابعه في ذلك منجم باشيء الورقة ٦٤٦ ، وهذا يخالف ما ذكره وصاف الحضرة الذى لمعلوماته عن بني قيصر أهمية خاصة . لذا رجحنا روايته : عباس اقبال ، المصـدر السابق ، ٣٣ انظر ايضا :

Jean Aubin, Les Princes D'Ormuz Du XIII' au XV' Siecle, Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.

٦٤) تحفة المستفيد ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم أمير هرموز يرد في المصادر بصور متعددة فتارة سيف الدين ابو المظفر وتارة ابو نصر وتارة اخرى ابو النظر او ابو النضر .
٦٥) اثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ، تاريخ جهان ارا ١٢٦ـ٢٧ ، جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ ب ـ ٦٤٧ ـ عباس اقبال ٣٣ـ٣٤ .

Audin, OP Cit. 18

ومما هو جدير بالذكر هنا انه في عام ٦٣٢/١٢٣٤ـ٣٥ ، كان قد وصل بغداد كل من أمير البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وامير هرموز (ابو النظر) عن طريق نهر دجلة ومعهم عدد كبير من الاتباع . ولابد ان يكون حضورهما لغرض الحصول عـلى الدعم المادي والادبي من الخليفـة المستنصر ضد الاتابك ابو بكر السلغري وضد العصفوريين راجع ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ ، مجلد ٤ ص ٤١ .
٦٦) تحفة المستفيد ٢٥٣ـ٢٥٤ .

٦٧) تحفة المستفيد ٣٥٤ ، وصاف جلد دوم ١٧٩ ، عباس اقبال ٣٤ـ٣٥ ، التحفة النبهانية ، ٩٩ـ١٠٠ راجع ايضا .

Rwntz & Mulligan art, "al-Bahrayn", EI[2], Aubin, Op. Cit, 81

٦٨) وصاف ، ١٧٩ .

٦٩) Ata-Malik Juvaini, The history of the World Conqueror, Translated by J.A. Boyle (Manchester 1958), Vol. 1, 234,

وايضا ، منح باشيء المصدر السابق ورقة ٦٤٧

٧٠) وصاف ، جلددوم ، ١٧٩ .

٧١) وصاف ، جلددوم ، ١٧٩ ، تاريخ جهان ارا ، ١٢٦ ـ ٢٧ جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ ـ ٤٧ ، عباس اقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رنز بأن عام ٦٥١/١٢٥٣ هو تاريخ انسحاب السلغريين من جزيرة البحرين واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قد اعتمد على ما رواه لبن سعيد المغربي . راجع art "al-Bahrayan" EI[2]

٧٢) راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

٧٣) حمد الله مستوفي قزويني ، تاريخ كزيده نشرة براون (لندن ١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جلبي) فذلكه اقوال الأخبار في علم التاريخ والاخبار ، مكتبة بايزيد ، مخطوط رقم (١٠٣١٨) ورقة ١٣٨ .

٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :

Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence" in Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and History, ed Dickrank Kouy mijian— 319-33, (Beirut 1974)

٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بال فضل .

د. جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ١٦٨ ـ ٧٧ ، د. محمد صالح القزاز . الحياة السياسية الجديدة في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف ١٩٧٠) ٣٢٦ ـ ٤٣ ، د. مصطفى الحياري . الامارة الطائية في بلاد الشام (عمان ، ١٩٧٧) واخيرا فايد حمادي ، عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة ١٩٧٦) .

٧٦) نهاية الارب ، ١٠٦ .

٧٧) محي الدين بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢/١٢٩٣) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (القاهرة ١٩٦١ ، ١١١ .

٧٨) Yajima, The Arab Dhaw Trade, 12

٧٩) Pani-nan Rashid Wa,

The Fall of Baghdad and the Mongol Rule in Al-Iraq, 1258-1335 Unpublished Discration for Ph. D. Univ. of Utah 1974, 133-34

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد وو كثيرا على كتاب الاستاذ جعفر خصباك ونقل عنه معظم افكاره وسايره في تبويب اطروحته . الا انه مما يميز هذه الاطروحة ان المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابه تاريخ العراق واثار قضايا كثيرة كانت حتى الان من القضايا المسلم بها . وقد رفض الفكرة القائلة بأن المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية . وفي مكتبتي نسخة مصورة من هذه الاطروحة .

٨٠) المقريزي (ت ٨٤٥/١٤٤١) السلوك في معرفة دول الملوك (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١ .

Subhi Labib "Egyptian Commercial Policy in the Middle Age" in Studies in the Economic History of the Middle East, ed. M.A. Cook, (London), 1970), 63-77, esp. 69.

٨١) ابوالفدا ، المختصر في اخبار البشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ٤/٨١ وابن عنبة ، عمدة الطالب في انساب ابي طالب ، النجف ١٩٦١ ، ١٤٣ ـ ٤٤ المقريزي ، السلوك ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ٢/٥٣٣ .
٨٢) المختصر في اخبار البشر ، ٤/٨٣ ـ ٤
٨٣) المقريزي ، السلوك ، ١/٢١٤ ـ ١٥
٨٤) عن القلقشندي ، نهاية الارب ، ١٠٦ ، تحفة المستفيد ، ١١٩ . ومن الجدير بالذكر هنا ان السيد نوري عبدالحميد العاني قد خلط بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور لذا فقد فسر قول العمري « بان الامره في أولاد مانع على ان المقصود به مانع شيخ المنتفق وبانه اشارة الى حكام البصرة وهذا خطأ واضح . راجع العراق في العهد الجلايري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٦ .
٨٥) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة القاهرة ، ١٩٦٧ ، ٥/١٩٧٨ .
٨٦) ن . م. القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣/٣٥٤
٨٧) المهمندا ، كلمة فارسية الاصل تتكون من مقطعين الاول مهمن ومعناها الضيف ، والثاني دار وتعني الشخص الذي يستقبل الضيف .
٨٨) راجع حول ذلك ، صبح الاعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٥/٤٤٧ ـ ٤٨ ، ٧/٣٧٠ ـ ٧١
٨٩) الذهبي والحسيني ، من ذيول العبر ، (الكويت ، ١٩٧٠) ، ٣٠٢ ، وكذلك راجع عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٣ الملحق ص٣٩ ، والعزاوي ينقل ما اورده ، عن ابن قاضي شهبة .
٩٠) تور انشاه توفي ما بين عام ٧٧٢/١٣٧٠ وعام ٧٧٩/١٣٧٧ وكان قد تولى الحكم عام ٧٤٧/١٣٤٧ ويرى أو بين انه الف كتابه «الشاهنامة» بعد عام ٧٥١/١٣٥٠ . هذا وقد قام الرحالة البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار الى البرتغالية في النصف الاول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليم سنكلير بترجمته مع رحلة تكسيرا الى اللغة الانكليزية وجعل الشاهنامة ملحقا للرحلة وعلى هذه الترجمة كان اعتمادنا وقد اشرنا اليها تحت تكسيرا . وعنوان الرحلة مع الشاهنامة هي :
The Travels of Pedro Teixira, with "His Kings of Harmuz" Translated by W.F. Sinclair, (London, 1902).
٩١) حميد بن رزيق (١٢٩١/١٨٧٤) ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد موسى . (منشورات وزارة التراث القومي العماني) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ ـ ٤٨ .
٩٢) J. C. Wilkinson, art, "Kathat" EI_2
٩٣) لعل عبارة تزوين الواردة في النص ما هي الا تحريف لاسم جزيرة تاروت او دارين اذ لا يوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم تزوين .
٩٤) محمد بن علي الشبانكاري ، مقتطفات من مجمع الانساب المتعلقة بهرموز نشرة أو بين الملحق لبحثه باللغة الفرنسية ، الذى سبق وان اشرنا اليه مرارا راجع Aubin, 129-37, esp. 130 معين الدين نظنزي . منتخب التواريخ معيني . تحقيق او بين تهران ، ١٣٣٥ شمسي) ١١ ـ ١٢ .
٩٥) Aubin, 85 عباس اقبال ، ٣٦ .
٩٦) التحفة النبهانية ، ١٠٠ ـ ١٠١ .
٩٧) علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة ، ١٩١٤ ، ١/٢١١ ـ ١٣
٩٨) للاطلاع على ترجمة مقتضبة عن حياته انظر ، الذهبي ، من ذيول العبر للذهبي والحسيني ، الكويت ، ١٩٧٠ ، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) ايضا انظر ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ط٢ جـ٢ ، ٦١ .
٩٩) وصاف ، ٢٦٨ ، عباس اقبال ، ٣٧ ;Aubin, Op. Cit, 89-90
١٠٠) للاطلاع على عرض شامل لتطور انواع الاقطاع في العصور الاسلامية المختلفة ، راجع البحث القيم لكاهين . CL. Cahen, art, "Ikta" EI_2.

١٠١) وصاف ، ٣٣١ ـ ٣٢ Aubin, 93
١٠٢) وصاف ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ Dubin, 90
١٠٣) Aubin, 97
١٠٤) مجمع الانساب ، ١٣٣ Aubin, 100
١٠٥) مجمع الانساب ، ١٣٣ منتخب التواريخ معيني ، ١٥ ـ ١٦
Aubin, 101-2. Teixira, 167-71
١٠٦) مجمع الانساب ، ١٣٤ ـ ٣٦ ، منتخب التواريخ معيني ، ١٦ ـ ١٧ عباس اقبال ٤٢ .
B-Spuler, Die Mongolin in Iran,
(Berlin, 1955). 151; Teixeira, 173-81.
١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ، ١/١٤٦ .
١٠٨) Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub,
Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.
١٠٩) أصبح الأعشى ـ القاهرة ، ١٩١٥ ، ٧/٣٧٠
١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EI². قارن ذلك بما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، ١/١٧٧ .
١١١) N.M. Lowick Op. Cit 324 - 30
١١٢) عباس اقبال ، ٤٢ ـ ٤٤ .
Spuler, Op. Cit. 151-52. Teixeira, 181-85;
١١٣) رحلة ابن بطولة ، ١/١٧٤ ـ ٧٥
١١٤) عن القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٧/٣٧١
١١٥) Aubin, 109; Spuler, 152; Teixeira, 186-82, 265. عباس اقبال ٤٤ ـ ٤٥
١١٦) منتخب التواريخ معيني ، ١٨ . مما هو جدير بالذكر هنا ان نطنزي ينفرد بذكر اسم يوسف شاه بدلا من تورانشاه ، حيث لا يشير الى هذا الاسم . وربما يكون قد اخطأ في ذلك او انه احد الاسماء المعروف بها تورانشاه هو يوسف شاه . راجع ايضا . جامع الدول ، ٢/٤٠٢/٤٠٤ (م. بايزيد) .
١١٧) التحفة النبهانية ، ١٠١ ـ ١٠٣ Teixeira, 188
١١٨) نظام الدين شامي ـ ظفر نامه مع اضافات وشروح من كتاب زبدة التواريخ بايسنقري لحافظ ابرو ، تحقيق فلكس تاور ، بيروت ١٩٣٧ ، جلداول ، ١٦٨ ، شرف الدين علي يزدي ، ظفر نامه ، تهران ، ب. ت ، جلداول ، ٥٧٧ ـ ٧٨ ، منتخب التواريخ معيني ، ١٩ جامع الدول ، ٤٠٤ . راجع ايضا Aubin, 111-14
١١٩) لقد اختلفت المصادر كثيرا في رسم الاسم الثلاثي لصالح فورد بالاشكال التالية ابن حيلان او حولان او جولان واخيرا ابن صيلان . ولقد فضلنا استعمال اسم جولان لاعتقادنا بان ذلك ليس اسما لوالده او لقبا حقيقيا له وانما هو وصف فارسي له مصدره كلمة جول الفارسية التي تعني الصحراء فقيل له جولان اي البدوي .
١٢٠) ابن الفرات (ت ٨٠٧/١٤٠٤) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين بيروت ١٩٣٨ ، م٩ جـ ٢ ، ٣٤٧ ـ ٤٨ ، ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١/٤٥٣ ، وابن صصري ، كتاب الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم م. بريز ، بركلي ـ كاليفورنيا ، ١٩٦٣ ، ٢/٨٧١ ، الصيرفي ، انباء الهصر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ١/٣٦٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٦١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، بولاق ١٣١١ ، ١/٣٠٠ ـ ٣٠١ ، عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٦ ، ٢/٢١١
ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون عند حديثه عن قبيلة عبادة وبعد ان حدد موطن سكناهم في البطائح ما بين البصرة والكوفة وواسط قال بان الامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قباب بن صالح وهو في عدد ومنعة ويفهم من عبارات ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥ ـ ٦) ، لهذا العهد ، وعلى ، ما يبلغنا ، ان ذلك كان وضع وقبيلة عبادة عندما كتب تاريخه . وهذا الامر يحملنا على القول بان قبان

هذا من الممكن ان يكون ابن صالح بن جولان وانه خلف والده في الزعامة . وان اصح ما ذهبنا اليه فيكون صالح بن جولان ما هو الا زعيم بني عبادة وانه اصبح حاكما للبصرة ، ثم منها مدى نفوذه الى البحرين وبذلك يكون قد ضم كافة بطون عقيل في هذه المنطقة تحت زعامته . راجع تاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٥/٦ .

١٢١) السخاوي ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، القاهرة ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ ، ١٧٥/٦ ، ١٧٣/١٠ ، كذلك انظر ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ١٠٣/٣ .

١٢٢) Quotedin Aubin, 115 وراجع ايضا Teixeira, 245

١٢٣) جامع الدول ، ٤٠٤/٢ (م. بايزيد) .

١٢٤) جامع الدول ، ٤٠٤/٢ .

١٢٥) مثال على تلك الدراسات ، ابحاث روتون Rowton والتى سبق ذكرها ، كذلك دراسات روزنفيلد التى تناول بها التحولات الاجتماعية التى رافقت تكوين امارة ابن رشيد وهي :

Henry Rosen Feld;

The Social Composition of the Military in Process of State Formation in the Arabian Desert, Part I & II, the J. of the Royal Anthropological Institute of G. Britain & Ireland, Vol.95, 1965 75-86 & 174-94.

ثم دراسة الشعفي حول التنظيم العسكري للدولة السعودية الاولى تحت عنوان :

M.El-Shaafy, The Military Organisation of the First Sa'udi State, The Annual of leeds University Oriental Society, Vol. VIII, 1969-73, PP.61-74.

واخيرا دراسة لينهارت Lienharat حول سلطة الشيوخ في الخليج العربي التي سبق الاشارة اليها .

١٢٦) نهاية الارب ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ، وصبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ ـ ٧١ .

١٢٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ ـ ٧١

١٢٨) الدرر الكامنة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٧٥/١

١٢٩) رحلة ابن بطوطة ١٣٩/١ ، وعمدة الطالب ، ١٤٦ ـ ٤٨ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ٢٣٥/٤ .

١٣٠) عمدة الطالب ، ١٤٩ .

١٣١) سمط النجوم العوالي ، ٣٦٨/٤ ـ ٦٩

١٣٢) تحفة المستفيد ، ١١٩/١

١٣٣) ملح ، ذكرها ياقوت بانها في بلاد البحرين ، اما محمد العبد القادر (التحفة ، ٢٨) فيرى بانها قرية عامر قريبة من الكويت . اما اذا كان الشاعر قد قصد بها ملح ، فان ياقوت ذكرها بانها ناحية من نواحي الحساء وهي قرب انطاع .

انطاع أو نطاع ، قال عنها ياقوت بانها وادي ونخيل بين البحرين والبصرة ،

متالع ، جبل بناحية البحرين بين الودة والحساء ، وفي سطح هذا الجبل عين ماء يقال لها عين متالع . القرعاء ، وربما هي القرحاء ، قرية من قرى الحساء وقد تكون هي الجرعاء القديمة ، الميناء المعروف من عصر ما قبل الاسلام ، والتى حلت محل العقير . وقد ذكر الهمداني بأن الجرعاء سوق في الحساء على كثيب يسمى الجرعاء (صفة جزيرة العرب ، ٢٨١) . حول تحديد مواقع هذه الاماكن راجع تحفة المستفيد ، ٢٣ ، ٢٧ ـ ٢٩ .

١٣٤) عمدة الطالب ، النجف ١٣٨٠/١٣٦١ ، ط٢ ، ١١٦ .

١٣٥) الضوء اللامع ، ٢٥٦/٩ ـ ٢٥٧ .

تعليق لمجلة العــــرب

بقلم ـ الاستاذ حمد الجاسر

ملاحظتان تتعلقان بهذا البحث الممتع ، اولاهما أنني اتفق مع رأي كاتب البحث الاستاذ عبداللطيف الناصر الحميدان في ارجاع بني عامر الذين ينتمي اليهم العصفوريون الى عامر بن صعصعة القبيلة الهوازنية المضرية المعروفة . بل الى بني عامر من عبد القيس من ربيعة ، الذين عرفوا باسم (العمور) ثم (العماير) اخيرا ، وانتسبوا الى بني خالد ، الذين قال فيهم احمد بن مشرف الشاعر الاحسائي :

ولا تنس جمعَ الخالدي فانهم قبائل شتى من عقيل بن عامر

وكذا القول بأن بني عقيل في النصوص التى أوردها الباحث الكريم هم بنو عقيل العامريون الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة .

لقد نشأ عن اشتغال بني عقيل الذين كانوا يحلون المنطقة الشرقية من المملكة وهي ما يعرف باسم البحرين قديما ـ عن اشتغالهم بتجارة جلب الابل والخيل من الجزيرة الى الشام ومصر ، نشأ عن ذلك توسع في اطلاق الاسم حتى صار من القرن السابع فما بعده لا يراد به تلك القبيلة ، بل يعنى به غالبا اولئك التجار بصفة عامة .

وكل ما تقدم يستلزم كتابة بحث مفصل عن أنساب القبائل التى كانت تسكن شرق الجزيرة خلال الفترة التى تناولها الباحث الكريم بالحديث .

الملاحظة الثانية : سقط من البحث رسم يوضح تسلسل نسب الامراء العصفوريين وتجد صورته مع هذا التعليق .

وتعليق من الوثيقة

التعليق الاول :

ان ما ذهب اليه استاذنا الجليل حمد الجاسر من ان عشيرة العماير هم العمور وهم من عبدالقيس فلا يستبعد ذلك ولكنهم انضموا الى كثير من عشائر عقيل بن عامر كالجبور والعصفوريين وغيرهم وغلب على الجميع اسم (بني خالد) وهو الاسم الذي يعرفون به الى الان .

وبنو عقيل اسم يطلق احيانا على بني عامر ، وفي ذلك نجد ان (الكليف) يمدح في قصيدته (الدامغه) مقرن بن قضيب الجبرى فيقول .

واقف عـلى اسـلاف قيس خـافـه   فيهـا الوحـوش رواغـد همـالهـا

والشاعر هنا يقصد (قيس عيلان) .

ثم يقول :

صفوة عقيل هو ازكاهـا وافرسهـا   وأخيـارهـا همـة في كسب الانفـال

وفي ديوان ابن المقرب ص ٥٠٥ وهو يخاطب بني عقيل

ويشير بأنهم من آل كعب فيقول :

لقد ظل قوم من عقيل وما اهتـدوا   بـلى انمـا فيمـا تمنـوه عميـان

فيـا آل كعب لا تخونـوا عهـودكم   فليس بـراق ذروة المجـد خـوان

التعليق الثـاني :

يقول الكاتب الجليل الدكتور عبد اللطيف الحميدان (ان الاتـابك ابـا بكر السلغرى لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة أوال وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هذه من الأمير (عصفور بن راشد) فارسل ضدها حملتين بحريتـين احداهمـا عام ٦٣٠ هـ والثانية عام ٦٣٣ هـ . الا ان الامير العيوني (محمد بن محمد بن ابي ماجد) الذي خلف منصور في الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين) ويستطرد فيقول (واننا نميل الى الاعتقاد انه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التى اخذت تمر بها الامارات العيـونية وهى تـواجه اطمـاع السلغريـين . (عن تحفه المستفيـد للاحسـائي ص ٦٦) .

وتعليقنا : ان العصفوريين كانوا في صف آخر ولاة العيونيين وهو محمد بن محمد بن ماجد بن محمد بن علي وذلك في المعركة التى نشبت اثناء الحملة التى قام بها السلطان ابو بكر سعد بن زنكي سنة ٦٣٣ هجرية ولذلك استطاع العيونيون دحر هذه الحملة .. وللمزيد من التفصيل راجع مجلة (الوثيقة) العدد الثاني ، صفحة ٣٠ و ٣١ .

[التحـرير]



رسم تسلسل الأمراء العصفوريين

شكل تخطيطي يبين نسب أمراء العصفوريين من بني عامر
ورتب هذا الشكل التقريبي استنادا الى ما التقطنا من معلومات متناثرة
في بعض المصادر التي استندنا اليها في هذا البحث

بنو عامر ينطلقون

إحدى الدّول الكبيرة بالبحرين

الجبور

عرب البحرين
أو
عربان الشرق

من نجد لتأسيس

بقلم: الدكتور علي أبا حسين

في أواخر القرن الثامن الهجرى ، أو منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، قامت في البحرين دولة الجبور .. البعض أطلق عليه عرب البحرين ، والآخرون اسموهم عربان الشرق ، وأطلق فريق ثالث على حكامهم لقب ملك او سلطان وطوال اكثر من قرن ونصف قرن ، وهى الفترة التى سادت فيها دولتهم وامتدت الى الاحساء والقطيف ونجد وأجزاء من عمان وبلاد هرمز ، لمعت بعض الاسماء .

مثل أجود ومحمد ومقرن ، ضرب أصحابها امثلة فذة في الشجاعة والكرم وتشجيع الادباء والشعراء في أحد العصور المزهرة التى مرت على البحرين . واذا كانت حركات المد والجزر واقعا جغرافيا تتابع على سواحل أرخبيل البحرين العريق فان المد والجزر التاريخى كان واقعا اخر رسم ملامح دولة الجبور لتنتهى معه حياة بعض ملوكها نهاية مأساوية .

ولكن قبل هذه النهاية كانت هناك بدايات .

رأينا كيف ان دولة العيونيين بدأت فى عام (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) وانتهت عام ٦٣٦هـ ١٢٣٨م). وقد حكم البحرين بعد دولة العيونيين دولتان استمرت كل منهما حوالى ١٥٠ عاما . الأولى هى امارة العصافرة او دولة بنى عصفور . والثانية هى امارة الجبور او دولة الجبور .

واذا كان تحديد الزمن بالتواريخ شيئا مفيدا فى الدراسات التاريخية ، فأننا نستطيع أن نقول على وجه التقريب ان دولة بنى عصفور قد بدأت بعد عام (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) وانتهت قبل عام (٧٨٥هـ)، والتواريخ المذكورة هنا هى اقرب التواريخ المؤكدة الى التاريخ الحقيقى واذا كان هناك فارق فلن يتجاوز السنوات الثلاث او الخمس . وذلك لأنها اخذت عن اشخاص عاصروا هذه الاحداث او عاشوا بقربها . وعلى الوغم من ندرة المراجع التى تتناول هذه الفترة الطويلة نسبيا من تاريخ البحرين ـ اذ تمتد الى خمسة قرون ـ فان الشاعر ابن المقرب العيونى يبرز كفارس الميدان بديوانه الممتاز الذى أرخ فيه لدولة العيونيين كواحد من ابرز افراد الأسرة الحاكمة ، وهو الديوان الذى يفيد الى درجة كبيرة فى القاء بعض الضوء على دولة بنى عصفور ودولة الجبور ايضا لتداخل التواجد الفعلى لبطون القبائل على أرض البحرين للعلاقات التى قامت بين هذه الأسر وبين العيونيين الذين ركز عليهم الشاعر اهتمامه بالدرجة الأولى وابن المقرب فى هذا الصدد يقدم فى ابياته زخما طيبا من المعلومات التى تصلح اساسا موثوقا به لبعض الظروف السياسية فى تلك الفترة .

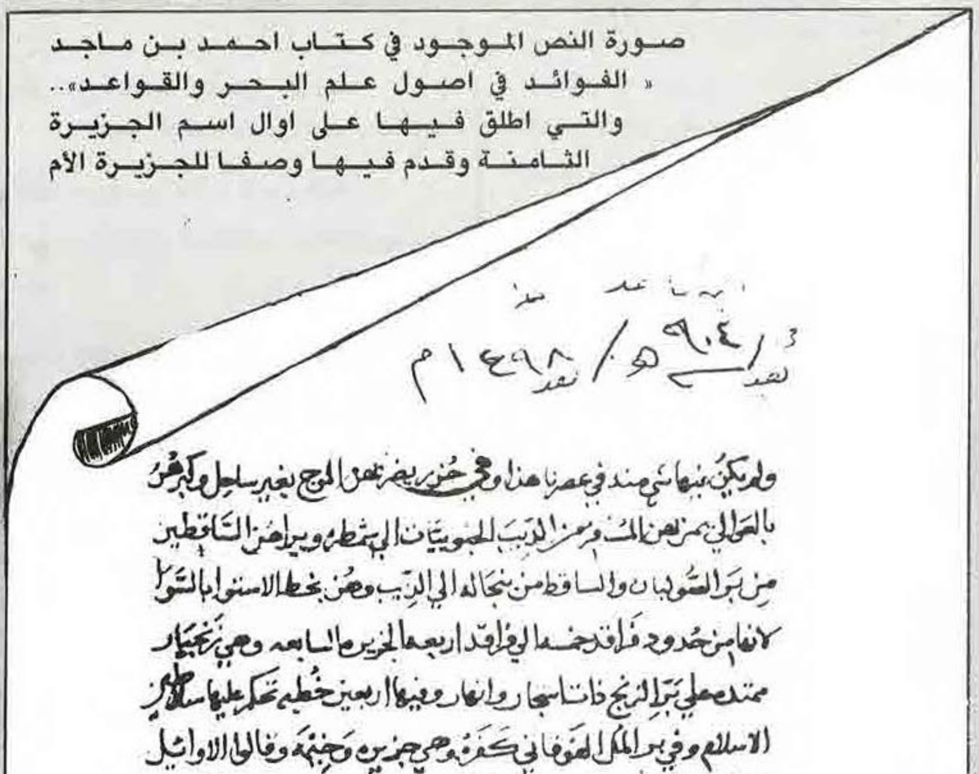
وسوف نخصص هذه الدراسة لدولة الجبور مستعينين فيها ببعض المصادر التى كتبها معاصرون للحوادث شاهدوها او عاشوا فى فترة قريبة منها . وسوف نستعين بشكل رئيسى بالأبحاث القيمة لكل من الشيخ حمد الجاسر والدكتور عبداللطيف الحميدان بالأضافة لبعض الكتب والمخطوطات والوثائق العربية والبرتغالية .

والآن نتساءل من هم الجبور ؟

ان البحث التاريخى يؤكد ان العصافرة والجبور ينتسبون الى عقيل ـ وقد انتهى الشيخ حمد الجاسر الى انهم من بنى عامر بن عبدالقيس من ربيعه والذين عرفوا بأسم العمور ثم (العماير) اخيرا وانتسبوا الى (بنى خالد).

وبنو عقيل اسم يطلق احيانا على بطن من (بنى عامر) و(بنى المنتفك) و(بنى خفاجة) و(بنى عبادة) وقد اشارت الى هذا النسب بعض الاشعار النبطية التى قيلت فى مدحهم فيقول (الكليف فى قصيدته (الدامغة) التى نظمها فى مدح مقرن بن قضيب الجبرى احد ابرز حكام دولة الجبور :

صورة النص الموجود في كتاب احمد بن ماجد « الفوائد في اصول علم البحر والقواعد».. والتي اطلق فيها على اوال اسم الجزيرة الثامنة وقدم فيها وصفا للجزيرة الأم



٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م

ولم يكن بنيها شيء في عصرنا هذا وهي جزيره يضرب فيها الموج بغير ساحل وكبرها
بالطول يمر فيها المد من الديب الجنوبيات الى شطه ويراها الناقطين
من بر الصومال والساقط من نجاله الى الديب وهي بخط الاستوا والشوا
لانها من حدود فلا قد حسبنا الى ما قدر اربعها الجزيره السابعه وهي زنجبار
ممتده على بر الزنج ذات اشجار وانهار وفيها اربعين خطبه تحكم عليها سلاطين
الاسلام وفي بر الملك المعروف الى كفره وهي جزيره وجنبه وقالوا الاوائل
في تواريخهم جزيرتان عظيمتان احدهما باقصى الجنوب وهي هذه الجزيره
والاخرى باقصى الشمال وهي البحرين المسماه بلو الخصوصيا عند نزول الشمس
ببرج الميزان يبتدي فيها الحر والسموم عند اصفرار الارياح وقد رفيها الشاعر
وإذا ترتبع من اول قيضها ٭ ود ما الشتا فيها فبئس المنزل
الجزيره الثامنه وهي البحرين المتقدم ذكرها وتسمى اوال وفيها ثلاثمائه وستين
قريه وفيها الماء الحالي من جملة جوانبها واعجب ما فيها مكان يقال له القصاصير
يغوص الانسان في البحر المالح بالقربه ويملاها من الماء الحالي وهو غرقان في الماء
المالح وحواليها معادن اللولو وعدة جزر كلها معادن اللولو ويجي عليها قريب
الف مركب وفيها جملة قبايل من العرب وجملة تجار وفيها جملة من النخيل المثمرات
اللواتي تضرب الاوصاف والخيل والابل والبقر والاغنام وفيها عيون جاريه

يذكر ابن ماجد ان تاريخ تدوين كتابه (الفوائد) هو في ٨٩٣ هـ وختامه في ٨٩٥ هـ وتوجد ثلاث نسخ مخطوطه من كتابه (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد) : واحدة في باريس تحت رقم ٢٢٩٢/المكتبة الوطنية ومخطوطه في المكتبة الظاهرية في دمشق ومخطوطه في البحرين وهي مصوره في مركز الوثائق التاريخية عن نسخة مصورة في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

واقف على اسلاف (قيس) خـافه
فيهـا الوحـوش رواغـد همـالهـا

والشاعر يقصد هنا (قيس عيلان).

يقول (عامر السمين) فى قضيب بن زامل :

صفوة (عقيل) هـو ازكاهـا وافرسهـا
واخيـارهـا همــه فى كسب الانفـالى

ويقول ابن مشرف التميمى الشـاعر الاحسائى :

ولاتنس جمـع الخــالدى فـانهم
قبـائل شتى من عقيـل بن عـامـر

وشرح هذه الابيات التى قالها شعراء عاصروا بعض حكام الجبور وتـوجهوا باشعارهم لمدحهم . هذا الشرح يدلنا على انهم :

١ ـ من اسلاف قيس عيلان كما فى البيت الأول :

٢ ـ وان الممدوح من صفوة ابناء عقيل وان جمع الخالدى او بنى خالد ـ كما كان يطلق على الجبور ـ هم قبائل تنسب الى عقيـل بن عامـر كما فى البيتـين الثانى والثالث .

لدينا اذن عقيل بن عامر وعـامر بن صعصعــة بن قيس عيــلان وليس من الصعب بعـد ذلك التوصـل الى اصول الشجرة التى تمتد الى العدنانية .

وكان بنو عقيل الذين يسكنون وقتئذ البحرين يعملون فى التجارة حتى اصبح يـطلق على جميـع من امتهن التجارة فى الجزيرة العربية العقيليين وذلك فى القرن السابع وما بعده .

وقبيلة بنى عامر ببطونها وافخـاذها اصل موطنهم نجد وكانوا كمعظم قبائل الجزيرة العربية عربا رحلا واذا كان من الصعب ان نحـدد لكل قبيلة من قبـائل الجزيرة العربية منزلا واحدا ثابتا الا اننا نستطيع ان نحدد لكل قبيلة منازل هى غالبا ما تمتد فى قطاع بذاته تتحرك فيه بــطون القبيلة وافخــاذهــا وراء المــاء والكلأ ، ومن هذا المنطلق فأن بنى عامر وديارهم كانت تنتشر فى رقعة كبيرة تمتد من العراق الى الاحساء الى القطيف الى اوال . وبعـد ان سكنت بعض بـطونهم البحـرين (اوال) اطلق عليهم (عـرب البحرين وذلك للأتصال الذى كان يربط بين بطون هذه القبائل ايام كانت البحرين تمتـد من كـاظمـة الى عمـان الشمـالى بالاضافـة لمجموعـة الجزر الواقعـة فى الخليـج العـربى والمجـاورة للسـاحـل والمحاطة ببحر ضحل واكبرهـا جزيـرة (اوال) وهى اكبـر جـزر البـحــرين الحالية[١] .

والواضــح من استـقــراء تـاريـخ الاحداث فى البحرين ان بنى عامر ،كانوا احـد مراكـز القـوى المـؤثـرة فى هـذه الاحداث بصورة او اخرى ، ففى بحث العيونيين الذى نشر فى العدد الأول من (الوثيقة) نجد ان القـرامطة بعـد ان

ضعفت دولتهم ، كانوا يدفعون بعض العوائد لشيوخ بنى عامر وان عبدالله بن على العيونى بعد ان تمت له السيطرة على اطراف البحرين الثلاثة ـ الاحساء والقطيف واوال ـ فى اواخر القرن الخامس الهجرى وبعد ان انشأ دولته على انقاض دولة القرامطة ، اوقف دفع هذه العوائد ، مما جعل شيوخ بنى عامر يحشدون ضده جموعا كثيرة من البادية اقبلوا بها على الاحساء وهم يسوقون امامهم ابلهم لتكتسح جموعه ولكنه كان يدرك هذه الحيلة البدوية فى القتال فأستعد لها بالطبول والضجيج مما جعل الأبل ترتد على جموع بنى عامر وانقلب ـ ميزان المعركة فانتصر الامير عبدالله بن على العيونى وتشتت جمع بنى عامر . ولم ينس بنو عامر للأمير عبدالله هذا الموقف ونشأ شكل من العداء ظل يتصاعد بين بنى عامر وخلفاء الامير عبدالله وبالذات ابنائه وأحفاده مما كان له تأثير كبير فى رسم الاحداث بعد ذلك .

ونجد ان هذا الحشد العامرى يعود للظهور مرة اخرى عندما تولى الامير العيونى (ابو سنان) حكم العيونيين خلفا لجده الامير عبدالله مؤسس الدولة . ففى سنة (٥٤٣هـ) بدأت الامور تسوء بين الامير ابى سنان وعميه ابى المنصور وابى على الحسن . فى هذه السنة ازمع غفيلة بن شبانة رئيس بنى عامر ان ينزل القطيف بقبيلته وقت الصيف فبعث اليه ابو سنان بأن يتوجه الى الاحساء لانها اكبر وتحتمل قبيلته ، ولكن غفيلة أصر على ان ينزل القطيف . فأنذره ابو سنان فلم يمتثل فهجم عليه (أبو سنان) بجيشه ودارت معركة انهزمت فى أولها جموع بنى عامر الا ان جنود ابى سنان انشغلوا بالنهب مما جعل بنى عامر ينعطفون عليهم ودارت الدائرة على جند ابى سنان الذى حوصر هو وقلة من اصحابه ليدافع عن نفسه دفاعا بطوليا ارهب بنى عامر فتركوه يرحل خوفا من بطشه وعاد بفلول جيشه دون ان يتبعه احد من بنى عامر الذين ارتحلوا الى الاحساء .

ويتضح من سير الحوادث بعد ذلك ان هذه المعركة لم تكن مجرد معركة بسبب رغبة بنى عامر فى نزول القطيف بحثا عن الماء والمرعى . وانما كانت نوعا من التحرش بأبى سنان ومقدمة للتدخل الفعلى لبنى عامر فى البحرين ـ اوال والقطيف والاحساء ـ مستغلين النزاع الذى شب بين ابى سنان وعميه ، يؤكد ذلك ان غفيلة انسحب بعد المعركة الى الاحساء حيث تتمركز قوات عمى ابى سنان ولم يبق فى القطيف كما كان يريد ويؤكده ايضا اتهام ابى سنان لعميه بتدبير هجمة بنى عامر مما دفعه بعد ذلك لمهاجمة عميه فى الاحساء حيث دارت معركة قتل فيها ابو سنان واخوه ابو شبيب(٢) .

وابتداء من هذه المعركة ، بدأ دور بنى عامر فى الظهور بوضوح ، وقد ساعدهم على ذلك ان المعركة لم تؤد لمقتل ابى سنان واخيه شبيب فقط وانما كانت بداية تفكك دولة العيونيين ، وبداية سلسلة من الحروب بين البيوت العيونية وهى بيت الفضل وبيت ابى منصور وبيت ابى على الحسن وهى الحروب التى اجهزت بعد سنوات قليلة على هذه الدولة .

ويحكى لنا الشاعر ابن المقرب امثلة على دور بنى عامر فى الخلاف بين هذه الاسر فى قصيدته التى مطلعها :

رماح الاعادى عن حماك قصار
وفى حدها عما تروم عثار

ففى سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) نشب الخلاف بين بنى عامر والامير محمد بن احمد بن ابى سنان بن الفضل ، ولما كان ابن المقرب من المتحمسين لبيت الفضل فقد وجه فى قصيدته التهديد والوعيد لبنى عامر وقد استغل اعداء الامير محمد من اقاربه هذا الخلاف وتآمروا مع بنى عامر على قتله واتفق غرير بن الحسن بن شكر بن الحسن وراشد بن عميرة بن غفيلة رئيس بنى عامر على اغتياله ، وتضمن الاتفاق ان يكون لراشد بن عميرة جميع ما كان للامير محمد من اموال وذخائر ويكون لغرير حكم البلاد وقد ترصد راشد بالفعل للامير محمد حتى واتته الفرصة عندما كان الامير محمد فى طريقه بين صفوى والاجام فى قلة من رجاله فهجم عليه غرير وراشد ورجالهما وقتلاه (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[٣]. وتصاعد الصراع بعد ذلك بسرعة فقد استطاع الامير الفضل بن الامير محمد واخوته ان يخرجوا من القطيف بعد مقتل والدهم واتجه الفضل الى بغداد لمقابلة الخليفة الناصر لدين الله العباسى الذى كان على صلة طيبة بالامير محمد وطلب منه الفضل الدعم والمساعدة لاستعادة الحكم والاخذ بثأر والده ، فأمده الخليفة بالمال وبعض الجند ، ولكن يبدو من سياق الحوادث ان الخليفة أحاله الى حاكم قيس ليدعم قواته ويساعده لمواجهة خصوم الفضل من البيت العيونى الذين تؤيدهم جموع بنى عامر فلجأ الفضل الى جزيرة قيس حيث عقد اتفاقا مع أميرها (غياث الدين بن الامير تاج الدين جمشيد)[٤] وارتكب بذلك احد الاخطاء القاتلة فقد طلب امير قيس عقد اتفاقية يحصل بموجبها على جزء كبير من عوائد الدولة سواء من الجزر او المغاصات او المصائد او النخيل ، وهى العوائد التى كان يحول جزءا منها للخليفة وعقدت الاتفاقية بالفعل سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) وبقيت سرية وبمساعدة امارة قيس وبقوة متفوقة اكتسح الفضل بن محمد القطيف والبحرين ، واستولى على الحكم وظل فيه عشر سنوات يدفع جزءا

كبيرا من دخل البحرين لحكام قيس مما اضعف الامارة بدرجة كبيرة ، وبعد ان ذاعت نصوص الاتفاقيـة ثار عليـه بنو عامر وحاربوه وأخرجوه من الحكم سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) وتـولى بعده ابن عمه مقدم بن ماجد بن احمد بن محمد بن الفضل وكان صغير السن ويبدو ان نفوذ بنى عامر بـدأ يزداد بصـورة كبيرة فى البحرين ، فلم يعودوا يكتفـون ـ كما فى السابق ـ بمساعدة احد امراء العيونيين ضد الاخر وانما ظهر اتجاههم للاستيلاء عـلى الحكم لأنفسهم . يـعكس ذلك ان شـاعرا كـابن المقـرب العيـونى عـرف بتحمسه الشديد للعيونيين اخذ يتجه الى شيخ بنى عامر (ابوقناع) لدرجة انـه طلب فى شعره من الامير العيونى فاضل بن مـاجد ان يـطيع (أبـا قنـاع) وان يسترشد برأيه فيقول :

واشـدد بهـا بـأبى قـنـاع انـه
نعم المحـامى دونـهـا والحـامى
واشكر له السعى الذى انقادت به
لك ولد سـام كـيف شئـت وحـام
وارض الذى يـرضى وقدم امـره
وأطعـه طاعـة مـقـتـد لامـام

والبيت الثانى يعطينا صورة واضحة عن النفوذ الذى وصل اليـه شيوخ بنى عامر ، وكيف انهم كانوا يسيطرون على الكثير من القبائل .

بعـد ذلك تدهـورت دولة العيونيـين بسـرعـة ، فقـد مـات مقـدم فى سنـة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وازداد الانقسام بين ابناء البيوت العيونية واشتد الصراع على الحكم واصبح الاخ يقتل اخاه . ومع تصاعد الخـلاف على الحكم بـين امراء العيـونيين ، زاد نفـوذ بنى عامـر وبدأ الامراء المتصارعون يقربونهم ويخطبون ودهم ، ويدفعون لهم الاموال والهدايـا ليستميلوهم الى جـانبهم ، حتـى زادت ثـروتهم ، فأصبحـوا يركبـون الخيول المطهمة ، ويلبسون الملابس الحـريريـة المزركشة ، ويملكـون افضل البسـاتين بعيونها الجارية فى (اوال)، ويسيطرون عـلى افضل المصـائد واصبحـوا بـذلك يسيطرون على اقتصـاديات البحـرين ، وهى السيـطرة التى مكنتـهم ولدرجـة بعيدة من احكام سيـطرتهم السياسيـة بعد ذلك . ويترجم الشاعر ابن المقـرب الذى تـوفى سنة (٦٢٩هـ) مـدى مـا وصل اليه النفوذ الاقتصادى لبنى عامر بقوله :

أخذوا الحسا من الكثيب الى محـا
ريـث العـيـون الى نـقـاحـلوان
والخـط من صفواء حـازوها فمـا
أبقـوا بهـا شبـرا الى الظهـران
والبحر فاستـولوا على مـا فيه من
صـيـد الى در الى مـرجـان
ومنـازل العـظمـاء منكم اصبحت
دورا لهـم تـكـرى بـلا اثـمـان
وأمض شىء للقـلوب قـطائـع
بـالمـروزان لهـم وكـرزكـان°

ولم يؤد تهاوى الحكم العيونى الى ان طمع فيهم بنو عامر فحسب وانما تطلعت اليهم ايضا عيون امراء قيس وسال لعابهم لثراء البحرين ، فهاجموها مرارا ، وسيطروا على بعض مغاصات اللؤلؤ وبساتين النخيل ، وبدأ بنو عامر تحركهم للاستيلاء على السلطة وما كاد محمد بن عبدالله بن سنان بن ابى جروان الاحسائى يتصل بهم حتى قاموا بالاتفاق معه وانضم اليهم فى ذلك بعض اعيان البحرين وسلموا السلطة فى الاحساء الى (عصفور بن راشد العقيلى العامرى) الذى نجح فى طرد آخر العيونيين من الاحساء واستولى على الحكم سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وغادر الامير العيونى الاحساء الى البحرين حتى اذا كانت سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) انتهى حكم العيونيين فى البحرين ايضا وأصبح الحكم لبنى عقيل بن عامر ، وتأسست دولة العصفوريين .

وقد نقل ابن خلدون والقلقشندى عن ابن سعيد المغربى المؤرخ المتوفى سنة ٦٨٥هـ والذى عاصر هذه الاحداث قوله : سألت اهل البحرين فى احدى وخمسين وستمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا :

الملك فيها لعصفور وبنيه ، اى لبنى عقيل بن عامر وبنو عصفور من بنى عقيل اما العيونيون فمن جملة رعاياهم .

وحكم العصفوريون مدة تقارب القرن ونصف القرن وزال حكمهم فى العقد الثامن والتاسع من القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى [٦] ثم خلفهم الجبور .

وقد شهدت دولة الجبور مجموعة من الحكام قامت على اكتافهم عملية تأسيس الدولة التى دامت قرنا ونصف القرن على وجه التقريب وشهدت البلاد فى عهد بعضهم تطورا ونماء ورخاء وتقدما فى اكثر من مجال وسوف نقوم فى الصفحات التالية باستعراض ما امكن استخلاصه من الوثائق المتاحة حول هؤلاء الحكام وقد يكون من المفيد قبل ان نبدأ فى استعراض تاريخ هؤلاء الحكام ان نبحث فى نقطة البداية .

ذكرنا فيما سبق واعتمادا على ما نقله ابن خلدون والقلقشندى عن ابن سعيد المغربى المؤرخ الذى عاصر هذه الأحداث انه سأل اهل البحرين عندما التقى بهم فى المدينة المنورة عمن يحكم البحرين فأكدوا له ان الحكم فيها لبنى عصفور وذلك فى سنة (٦٥١هـ) وورد فى تحفة المشتاق ورقة (٩و ١٠) ان زامل بن جبر العقيلى العامرى الذى ظهر فى نجد من الاحساء داهم الدواسر فى واديهم سنة (٨٥٢هـ) وبتحليل هذين الخبرين نخرج ببعض النتائج منها :

١ ـ ان دولة الجبور ظهرت فى الأحساء وانها تنسب الى جبر بن حسين (حصين) بن ناصر بن عقيل وبذلك

يعتبر جبر هو رأس هذه الاسرة أو هذه الدولة [٧] .

٢ ـ انه اذا كان زامل بن جبر وهو اول حاكم من الجبور نطالعه فى الوثائق قد داهم الدواسر فى واديهم سنة (٨٥٢هـ) فلا شك انه كان على رأس هذه الاسرة قبل هذا التاريخ واذا كان قد مات سنة (٨٦٦هـ) فمن المرجح ان تكون دولة العصافرة قد بدأت تلفظ انفاسها فى أواخر القرن الثامن الهجرى .

ونأتى الآن لحكام الجبور .

زامل بن جبر العقيلى :

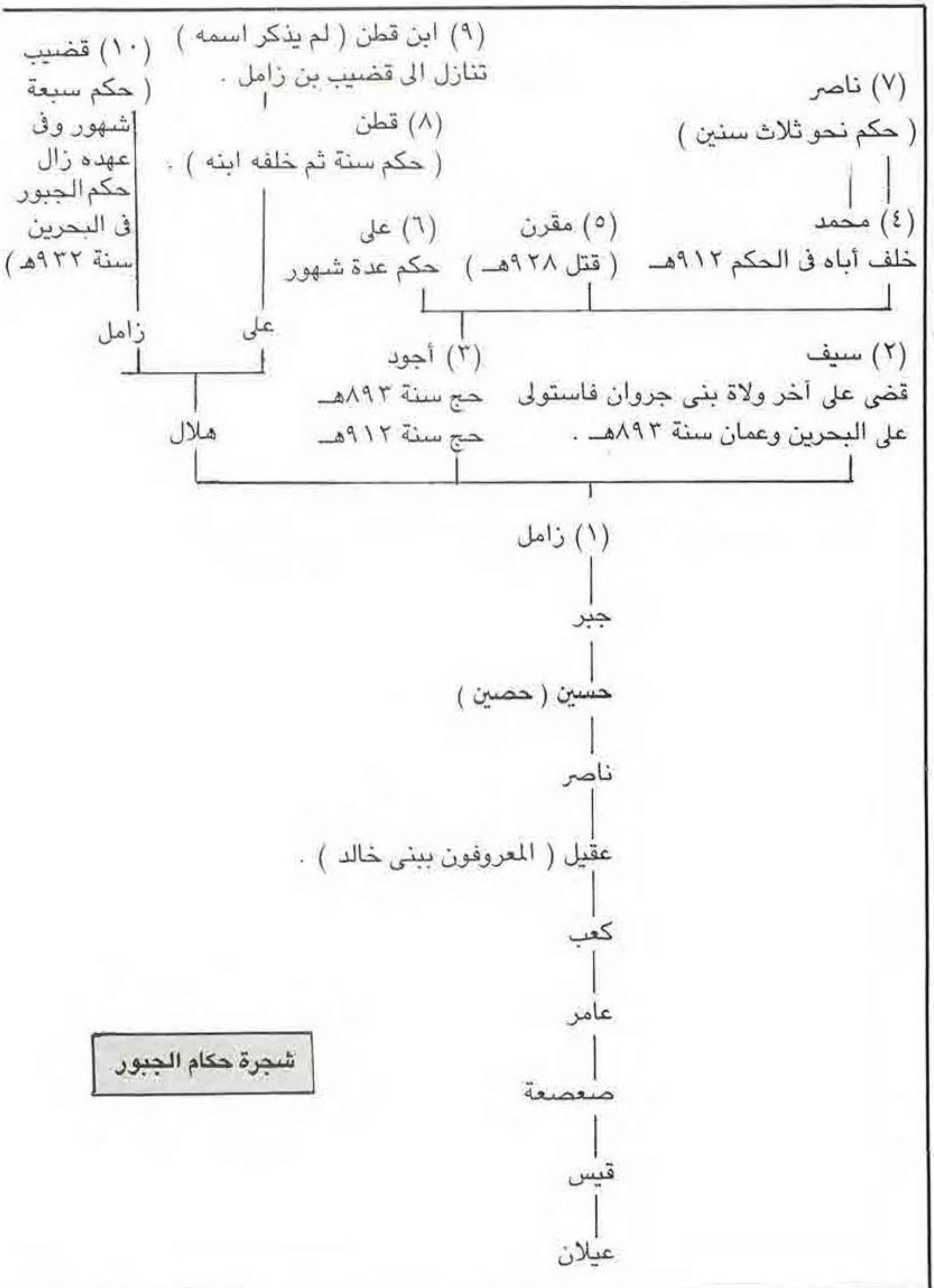
هو أول اسم يطالعنا فى هذه الدولة وقد ظهر فى نجد من الاحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وقصد الدواسر فى واديهم فى سنة (٨٥٢هـ) .

وكانوا قد اكثروا الغارات على بوادى الاحساء فأوغروا صدره فدهمهم فى منازلهم ثم صالحوه فرجع الى وطنه ، كما عاد فى سنة (٨٥٥هـ) فداهم الفضول وهزمهم وفى عام (٨٥٨هـ) و(٨٦٦هـ) غزا بلاد نجد وعاد بالغنائم ويرجح ان وفاته كانت بعد (٨٦٦هـ) بقليل[٨] .

سيف بن زامل :

هو سيف بن زامل بن جبر ولد فى سنة (٨٢١هـ) كما يقول السخاوى تلميذ ابن حجر وقد استطاع سيف بن زامل ان يقضى على آخر ولاة (بنى جروان) وذلك بقتله والاستيلاء على الحكم فى بلاد البحرين فحكمها بالعدل ودان له اهلها بالطاعة وشهدت البلاد فى عهده فترة من الازدهار والرخاء وسيف بن زامل هو الذى اخذ عمان بالسيف من سليمان بن نبهان فى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) وولى عليها اماما من الاباضية يدفع محاصيلها وقد نصروه اهلها وقاموا بنصره فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الاباضى . وفى تحفة الاعيان للسالمى يذكر ان البيعة للامام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى كانت فى سنة (٨٨٥هـ) فأقام سنة وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهانى فتواقعوا فى سمائل فأنهزم الامام وعسكره وفى سنة ٨٨٧هـ انتصر الامام عمر بن الخطاب بن محمد على سليمان بن سليمان النبهانى وصادر جميع املاك بنى نبهان . ودون ان يذكر السالمى شيئا عن مساعدة اجود بن زامل الجبرى للامام . ومن نص ابن ماجد المعاصر للاحداث يتضح ان المساعدة قد حدثت فى سنة (٨٩٣هـ) وليست فى (٨٨٧هـ) وان اجود اعاد عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى الى السلطة بعد ان قضى على سليمان بن سليمان النبهانى[٩] .

وهنا ملاحظة على تاريخ غزوه لعمان فقد ذكر ابن ماجد انه كان فى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) ولكننا نجد نصا آخر فى تحفة المشتاق ورقة ٨ يقول ان



شجرة حكام الجبور

الوثيقة ـ ٨٨

اجود بن زامل غزا نجدا فى (٨٨٧هـ) وانه حج فى (٨٨٣هـ) بما يفيد ان الحكم فى (٨٨٧هـ) كان لأجود الذى خلف اخاه سيف بن زامل بعد وفاته .

أجود بن زامل :

ان المتتبع لأخبار أجود يخرج بنتيجة هى انه يعتبر أعظم حكام الجبور فقد بلغت الدولة فى عهده شأوا بعيدا وامتد نفوذها ليشمل مناطق كبيرة وانهالت عليها الثروات من أكثر من مكان ليسود عهده الرخاء وينتشر فيه العلم فقد ولد أجود فى بادية الاحساء ٨٢١هـ ١٤١٨م ونشأ بها وتعلم وتثقف على يد علمائها ، فاهتم بالعلم والعلماء وقربهم وأكرمهم وكان له المام ببعض العلوم الفقهية خاصة مذهب الامام مالك . ويعد عصره من أزهى العصور فقد ساد العدل وانتشر العلم حتى قال عنه مؤرخ المدينة السمهودى المتوفى (٩١١هـ) والذى كانت له به صلة قوية (رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت صلاحا وأفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود بن زامل بن جبر أيده الله وسدده) .

وقد اتسع ملكه حتى استولى على كثير من سواحل الخليج العربى وأخذ الجزية من بعض ملوك العجم المجاورين له .

وتثبت الرسالة الموجهة الى الشيخ أجود بن زامل بن ناصر بن جبر العامرى العقيلى من مرسلها الوزير عماد الدين محمود بن أحمد القاوانى الجيلانى الشهير بخواجة جهان والذى يعتبر أشهر رجال السلطنة البهمنية فى الهند التى امتد حكمها من ٨٤٨هـ/١٣٤٧م الى ٩٣٣هـ/١٥٢٧م وقد تولى أجود بن زامل الجبرى السلطة فى كل من القطيف والاحساء وبعض مناطق نجد قبيل عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م بقليل . وتثبت الرسالة ان سفينة تقل بعض التجار من رعايا أجود بن زامل . تعرض لها بعض القراصنة فلجأت الى بلاد البهمنيين فى الهند بعد أن فقدوا كل شىء . ولدى التحقيق فى هذه الرسالة بالاستناد الى مصادر برتغالية اتضح تعاون القراصنة مع البرتغاليين قرب سواحل الهند الغربية ضد المسلمين مما أدى الى قيام الوزير محمود القاوانى بتأديب القراصنة وان كان من الأرجح أن تكون حادثة القرصنة ضد رعايا أجود الجبرى قد حدثت قبيل قيام السلطان القاوانى بحملاته التأديبية ومن هنا نؤيد ماتوصل اليه الدكتور الحميدان من ان تاريخ الرسالة فى حدود عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م .

أما بداية حكم أجود بن زامل الجبرى فلا بد وأن تكون قبل هذا التاريخ . والملاحظ فى الرسالة ان القاوانى يكثر من الألقاب لأجود فيقول انه ملك ملوك العرب مالك البر واليم وغيرهما من الألقاب الرنانة وهذا يدل على مكانته كما يدل على

انه قطع فترة من الزمن يحكم البلاد وقد اتسع حكمه حتى أطلقت عليه هذه الصفات والنعوت لا فى هذه الرسالة فحسب بل لدى معاصريه أمثال السمهودى مؤرخ المدينة المتوفى ٩١١هـ والسخاوى المتوفى ٩٠٢هـ اذ قال (كان أجود بن زامل رئيس نجد ذا اتباع بزيدون على الوصف مع فروسية وقد تعددت فى بدنه جراحات كثيرة وقال انه يكثر الحج فقد ذكر العصامى المتوفى ١١١١هـ انه حج سنة ٩١٢هـ ومعه ثلاثون ألفا . وتشير الرسالة أيضا الى الصلات التجارية بين شرقى الجزيرة العربية والهند أيام دولة البهمنيين .

واشتهر بغزواته فى نجد فقد غزا سنة ٨٨٧هـ وصبح الفضول وغنم منهم غنائم كثيرة (تحفة المشتاق - ورقة ٨) ، وحج فى سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) ومعه خمسة عشر ألفا من قومه وغزا عام ٩٠٠هـ الدواسر والعوازم وزغب وهتيم على ثاج وعاد غانما (تحفة المشتاق ورقة ٩) وفى سنة (٩١٢هـ/١٥٠٥م) حج أجود فى جمع عظيم يقال انهم زادوا على ثلاثين ألفا من البحرين . وضخامة العدد هنا تثير الشك وتوحى بالمبالغة وان كان البعض يرى ان الأمر ليس فيه شىء من المبالغة وذلك لأن الحجاج اعتادوا عندما يعلن الأمير عن عزمه على الحج أن يتجمعوا بهذه الأعداد فحج الأمير فرصة تشجعهم على أداء هذه الفريضة بصحبة أمير يرافقه الجند والأعوان حتى يتفادوا مخاطر الطريق وقد يضم الركب الكبير أحيانا حجاجا من جميع البلدان الاسلامية وصلوا للاحساء بطريق البحرين ثم رافقت قوافلهم ركب الأمير .

وذكر صاحب (السلاح والعدة) ان (**محمد بن أجود**) ذهب للحجاز لمساعدة أشراف مكة فى عام ٩١٢هـ فأخضع البدو القاطنين قرب جدة وكانت عدة جيشه خمسين ألفا (١٠) ونخرج من هذا النص باحتمالين الأول أن أجود ربما مات فى هذه السنة وتولى الحكم بعده محمد ، أو ان محمدا كان يشارك أباه الحكم . ولكننا مانكاد نخرج من هذه الحيرة حتى نجد نصا آخر لابن بسام يقول فيه ان أجود غزا فى سنة ٩١٦هـ وصبح الدواسر على الخرج وعاد بغنائم كثيرة .. ويستطرد فيقول ان اجود غزا في ٩٢٩هـ من الاحساء فصبح الفضول على حفر الباطن وعاد غانما وربما كان ذلك من قبيل الاستطراد فلم يثبت ذلك .

بينما ثبت ان أجود مات قبل هذا التاريخ .

ومن المؤرخين من يجعل غزوة ٩٢٩هـ للسلطان مقرن وهذا أيضا خطأ فاحش فقد ثبت من المصادر البرتغالية والعربية ان السلطان مقرن قتل سنة ٩٢٨هـ وعلى أى الأحوال فان المحصلة هى ان أجود بن زامل كان أقوى حكام الجبور وان الدولة بلغت فى عهده عصرا ذهبيا كما

اتسعت لتشمل الاحساء والقطيف وأوال ونجدا وجزءا من عمان . وبعد وفاة أجود خلفه ابنه محمد .

محمد بن أجود بن زامل :

خلف محمد أباه أجود الذى تنازل له عن الحكم بعد أن طعن فى السن ، وأطلق بعض المؤرخين على محمد بن أجود لقب سلطان البحرين وذلك سنة (٩١٢هـ/١٥٠٧م) وهى السنة التى ذكر العصامى فى تاريخ مكة ان أجود بن زامل حج فيها بثلاثين ألفا من أهل البحرين .

ومحمد بن أجود هو الذى أنجد شريف مكة عندما استنجد الشريف بركات بملك البحرين ليساعده على اخماد الفوضى والاضطرابات التى أثارها البدو فى جدة .

وكان حكم الاشراف قد ضعف بسبب خلافهم على امارة جدة ومكة مما شجع البدو على مهاجمة المدينتين حيث انتشر السلب والنهب والأشراف مشغولون فيما بينهم بفتنة كادت تقضى عليهم جميعا واختل الأمن وساد الرعب تلك الأنحاء .

وعندما وصلت الاستغاثة الى سلطان البحرين محمد بن أجود أسرع بعسكر عظيم قدر عدده بنحو خمسين ألفا للقضاء على الفوضى ولكنه عندما وصل الى جدة وجد ان مددا من مماليك مصر سبقه لاخماد الفتنة فدخل السلطان محمد بن أجود مع جيشه الى مكة وطافوا بالبيت معتمرين وتحللوا من الاحرام وعادوا الى البحرين بعد أن خلع سلطان البحرين على قائد المماليك خلعة مناسبة وعاد الأمن ليسود مكة وما حولها .

وقد خلفه فى حكم الجبور أخوه السلطان مقرن بن أجود بن زامل .

ولابد لنا قبل أن نتناول تاريخ السلطان مقرن أن نعرض فى عجالة للعلاقة بين الجبور وبين ملوك هرمز وهو الموضوع الذى عرضنا له بالتفصيل فى بحث الغزو البرتغالى الذى نشر بالعدد الأول من « الوثيقة » .

فنتيجة للحوادث التى مرت بامارة هرمز سنة (٨٢٠هـ/١٤٦٧م) والتى انعكست فى تمرد (سيف الدين مهار) على أبيه (تمهتن الثالث فيروز شاه) ملك هرمز وارغامه له على التنازل عن العرش .. نتيجة لذلك انتفض عرب البحرين فى نفس العام فانتزعوا الاحساء من (بنى جروان) ثم القطيف على أثر نزاع آخر شب بين الأخوين (سيف الدين) و(فخر الدين) وكان من نتيجة ذلك اتفاقية بين أجود بن زامل و(سلغور) تنازل فيها سلغور عن حقوقه فى البحرين والقطيف الا بعض البساتين فيها . وساعدت الظروف فى هذه الأثناء الجبور اذ كانت الاضطرابات تسود البلاد المجاورة مما عرقل التجارة فى الخليج العربى فاعتمد التجار على الجبور فى نقل تجارتهم وحمايتها وكل

ورقان وبحر والترنج والليم وهي في غاية العمارة وهي في تاريخ الكتاب لأجود بن
زامل من حسب الجبري أعطاه إياها صاحب القطيف السلطان سرغل بن تورنشاه
ان يقوم بهم على البغي تمليكه جزيرة جرون هرموز المتقدم ذكرها وكتب
بها عليه حجة واستثنا بعض بساتينها ففصل له ذلك وكان يجبي ملك جرون
واخذ البحرين والقطيف في عام ثمانين وثمانمائة وقد أخذ [illegible] سيف بن زامل
عمان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان في عام ثلاثة وتسعين
وثمانمائة وعلى عليها إمام الجزيرة الاباضية بيده محاصيلها وقد نصروا اهلها
بلغ وقاموا بنصره فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الاباضي الجزيرة
التاسعة هي جزيرة لم تجعلها أن تعرف بجزيرة بوخشت والقسم لان الاسم محله
في راس الجزيرة من المشارق والشمال ما يلي الهرامية وهي مفتوح ساكن المطين
هرامية وبوخشت متوسطة في الجزيرة معها فيها النخيل والزروع والمقابل
وفيها حساب ابن حايك بحر كون الحربي ورأس من المغارب الميكال ويحكمها العرب
والعجم وفيها خلق عظيم ما كسو زروع وبلدان بجميع ذكرها والجزيرة
معترضة على لشاقات سواحل فارس فيها الفواكه والكروم والبطيخ والخضر
من جميع اجناس الجزيرة العاشرة وهي سقطرى وهي جزيرة عظيمة قريبة
الشعر بل أصغر من الجزائر المتقدم ذكرها طولها وعرضها قريب خمسين فرسخا بل
انبجع فيها الماء من كل مكان وهي على مشارف بر الصومال ويسكنها اعراب النصارى
ويقيل بقيه اليونان ذكرها عمر ابن ايوب بن شهنشاه مصنف كتاب تقويم
البلدان وفيها خلق كثير قريب عشرين الف آدمي وقد تملكوها من قديم الزمان

نص احمد بن ماجد الذي يؤرخ فيه لاستيلاء
سيف بن زامل على عمان عام ٨٩٣ هـ

ذلك أدى الى ازدهار البحرين . (١١).

وفى هرمز كما قلنا شب النزاع عنيفا بعد وفاة (فخـرالدين تورانشـاه) بين أولاده الأربعـة وهم مقصـود وشهـاب الدين وسلغور ونشأة أويس وأدى النزاع الى ان قتل كل منهم الآخر واستقر الأمر لسلغـور الذى لجأ لطلب المسـاعدة من والد زوجتـه حاكم عمـان فلم يستـطع مساعدته فلجأ الى أجود بن زامل وتنازل له عن حقوقه فى جزر البحرين والقطيف الا من بعض بساتين البحرين وتكاتبا على ذلك وقاد أحد أبناء أجود واسمـه زامل أيضا جيشا وسفنا وصحب سلغور الى هرمز وأعاده ملكا عليها .

وتعـاظم نفوذ أجـود واستقر الأمـر لسلغور فتجاهل الاتفاقية ونسى مساعدة أجود له على استعادة عرشه وعاد يطالب بعـوائـد البحـرين فـرفض أجـود ذلك وتمسك بالاتفاقية المعقودة بينهما . فجرد سلغور عدة حمـلات لمهاجمـة البحرين ولكنهـا فشلت وانتهت هـذه الحمـلات باتفاقية جديدة بين سلغور وأجود تنص على أن تصبح جزر البحرين تحت ادارة الجبور مقابل دفع اتـاوة سنويـة لمملكة هرمز من واردات البحرين ولكن الجبور لم يدفعوا الاتاوة وتصاعد الصراع بين البحـرين وهرمـز وأصبحت السلطة فى هـرمز بيـد (خـواجـة عـطار) وتـوفى السلطان أجود بن زامل كل هذه العوامل شجعت هرمز على مهاجمة البحرين عام (٩١٧هـ/١٥١١م) الا ان الجـبـور هاجموا هرمز من ناحية عمـان الداخل التى كانوا قد احتلوها فانسحب خواجة عطار عن البحرين . وكان يقود جيـوش البحرين فى هذه الأثناء السلطان مقرن بن أجود بن زامل الذى أصبح سلطانا على البحرين فى الربـع الأول من القرن العاشر الهجرى والذى يحدثنا التـاريخ انه لجأ الى العنف للوصـول الى الحكم ولاخضـاع القبائـل التى تمردت عليـه . وبعد أن استطاع مقرن أن يصد هجوم الهـرمزيـين بقيادة خـواجة عـطار عام (٩١٧هـ/١٥١١م) ذاع صيته فوصفه ابن اياس بأنه ملك من البحرين الى هرمز وانــه أمـير عـربـان بنى جبـر الا ان البرتغاليـين انتهزوا النـزاع بين هـرمز والبحرين وأخذت سفنهم تتجه للمنطقة وفى مناورة خبيثة اتفقوا مع هرمز عـلى مساعدتهم فى مهاجمة البحرين ثم أخذوا فى غزوها لصالحهم .

مقرن بن أجود بن زامل :

لا نجـد تاريخـا محددا أصبـح فيه السلطان مقرن سلطانا على البحرين وان كنا نستطيع القطع بأنه أصبح سلطانا فى الربع الأول من القرن العـاشر الهجرى وقد يكون من المفيد هنا أن نعلم أن نظام الادارة فى دولة الجبـور كـان يجـعـل السلطان يشرك ابناءه معه فى الحكم ربما بسبب امتداد رقعة الدولة فالمعروف أن

السلطان زامل اشرك معه ابناءه الثلاثة وهم سيف وأجود وربما هلال ، وتقول الوثائق البرتغالية ان السلطان اجود بعد ان اصبح سلطانا بوفاة والده زامل اشرك بدوره ولديه فى الحكم وهما محمد ومقرن .

ويحدثنا التاريخ ان (مقرن) لجأ الى العنف للوصول الى الحكم ولأخضاع القبائل التى تمردت عليه (كبنى خالد) و(بنى لام) و(يزيد) و(مزيد) كما ورد فى قول الشاعر جعيثن اليزيدى(١٢) وهو يمدح الامير (مقرن فيقول :

ولاقيت بعد السير ياناق مقرن
وقابلت وجها فيه للحمد شاهد
نشأ بين (سيف) والغريرى ١٣ (زامل)
فيالك من عم كريم وماجد
وبين (أجود) سلطان (قيس ١٤ وركنها)

عن الضيم او فى المعضلات الشدائد
حما بالقنا (هجرا) الى ضاحى اللوى١٥
الى (العارض) المنقاد نابى الفرائد
(ونجد) رعى ربعى زاهى فلاتها
على الرغم من سادات (لام)١٦ وخالد
وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قد اقتادهم قود الغلا بالقلايد(١٧)

وربما حدثت غزوات الامير مقرن فى نجد حوالى ٩١٦ هـ / ١٥١٠ ـ ١٥١١ م وبعد أن أستتب له الأمر استطاع ان يرد الاعتداء الذى قام به عم ملك هرمز (خواجة عطار) على البحرين وذلك فى السنة التالية أي في سنة ٩١٧ هـ

ومن هنا أشار ابن اياس فى بدائع الزهور الى مقرن بانه (امير عرب بنى جبر متملك جزيرة البحرين الى بلاد هرمز الأعلى) واستطرد ابن اياس قائلا وهو يصف مقرن (كان اميرا جليل القدر معظما مبجلا فى سعة من المال مالكى المذهب سيد عربان الشرق على الاطلاق) . وذكر فى حوادث سنة ٩٢٨هـ ان مقرن كان قد اتى الى مكة وحج فى العام الماضى وكان يجلب الى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة ، وقيل انه لما دخل الى مكة والمدينة تصدق بنحو خمسين الف دينار فلما حج ورجع الى بلاده البحرين لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه فأنكسر الامير مقرن وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم ان يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج ذلك وقتلوه بين ايديهم ولم يغن عنه ماله شيئا وملكوا قلعة البحرين التى هناك واستولوا على اموال الامير مقرن وبلاده وكان ذلك من اشد الحوادث فى تاريخ الاسلام واعظمها . وقد تزايد شر الفرنج على شواطىء البحر الأحمر وسواحل المحيط الهندى والأمر لله تعالى .

ويلاحظ فى نص ابن اياس بعض الأخطاء والمبالغات ، فأن المصادر البرتغالية نفسها تدلل على ان مقرن جرح

فى معركة ضارية ، ولو صحت رواية ابن اياس لكان اجدى ان يدفع لهم المال قبل القتال مقابل انسحابهم لأن السبب لهذه الحرب هو رفض (مقرن) ملك البحرين دفع عائد بعض البساتين الى (توران شاه) ملك هرمز الذى اقامه البرتغاليون عليها بعد ان سيطروا على هرمز . لذلك فأن اسطورة ابن اياس ليس لها دليل تاريخى ولا منطقى كما ان احدا من المؤرخين لم يذكرها سواء من المعاصرين او غيرهم .

اما دور (مقرن) فى حربه مع البرتغاليين فأن (توران شاه) ملك هرمز قد جعل من رفض مقرن لدفع عائد البساتين المتفق عليها لهرمز ذريعة لفرض السيطرة على البحرين والقطيف كما ان توران شاه الذى عينه البرتغاليون على هرمز علل عجزه عن دفع الضرائب للبرتغاليين بأن مقرن يتعرض للسفن التى تبحر بين هرمز والبصرة ، هذا بالأضافة الى ما تتمتع به البحرين من ثروة زراعية ومياه عذبة ومغاصات اللؤلؤ القريبة منها ، كل هذه الاسباب وغيرها أدت الى قيام البرتغاليين بغزو البحرين فبدأوا بنهب سفنها ثم اعقبوا ذلك بهجوم على البحرين بقيادة (خواجة عطار) وهو عم ملك هرمز وكان ذلك سنة ٩١٧هـ/١٥١١م الا ان الجبور قاوموه فأضطر الى الأنسحاب الى هرمز .

ولم تمض الا سنوات قليلة حتى قاد (بيرو) وهو ابن عم(افونسو دى البوكيرك) اسطولا يتكون من اربع سفن تمهيدا لغزو البحرين الا انه عاد فاشلا .

وهنا برز دور (مقرن) فى الهجوم الرئيسى الذى قاده (انطونيو كوريا) فى ١٥ يونيو ١٥٢١م وكانت قواته مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل من مرتزقة الفرس والعرب تقلهم مائتا سفينة جاءوا من هرمز ويقودهم (رئيس شرف الدين) بينما يقود (انطونيو كوريا) البرتغالى قوة تتكون من اربعمائة برتغالى تحملهم سبع سفن بمدافعها الثقيلة .

اما (مقرن) فيقود اثنى عشر الفا من العرب واربعمائة من الرماة وثلثمائة فارس عربى وعشرين جنديا تركيا يحملون البنادق ويقومون بتدريب الجند على استخدامها . وقد امر (مقرن) قواته ان تصطف بمحاذاة سور القلعة (أى قلعة البحرين) بينما بقى (انطونيو كوريا) ينتظر المدد ستة ايام ثم حاول النزول الى البر ولكنه عاد بعد ان جن الليل وفشلت محاولته ، وعاد البرتغاليون يخوضون البحر لكى يصلوا الى سفنهم عندما اصبح البحر جزرا .

ثم نزلوا الى البر ثانية وفى معركة حاسمة كان يحمل فيها انطونيو كوريا علما ويطوف بين صفوف جنده يشجعهم على الصمود لحرب المسلمين واقتحام سور القلعة ، وهنا جرح (مقرن) فى ساقه كما جرح القائد البرتغالى (كوريا)

فى ذراعه وتوفى مقرن متأثرا بجراحه بعد بضعة ايام . مما رفع معنويات الجند البرتغالى الذى ارهقه التعب خاصة وان المعركة حدثت فى الصيف وكانت المعركة شديدة بين الطرفين استخدم البرتغاليون فيها المدافع لضرب اسوار القلعة ، وعلى اثر وفاة الأمير والقائد مقرن تولى قيادة الجند (حميد) وهو ابن اخت مقرن حيث امر حميد قواته بالأنسحاب الى القطيف ومعهم جثمان مقرن ليدفن فى الاحساء ، وفى رواية ان قائد قوات هرمز (رئيس شرف الدين) قبض على السفينة المقلة لجثمان (مقرن) وامر بقطع رأسه وحمله معه الى هرمز وقيل ان (انطونيو كوريا) هو الذى قبض على السفينة المقلة لجثمان مقرن وانه هو الذى احتز رأسه .

لقد شهدت البحرين فى حربها مع البرتغاليين معركة او معارك ضارية وكان (مقرن) بطل هذه المعارك وكان من اسباب هزيمة جنده الدور الذى قامت به المدفعية البرتغالية والتى اخذت تدك اسوار القلعة التى تحصن وراءها مقرن وجنده ففقد جانبا مهما من جوانب دفاعه ، وخير دليل على ذلك ماورد مدونا على حجر من جبل فى جزيرة (جده) فى سنة ٩٦٨هـ حفر عليه انه قطع ماية ألف صخرة لتجديد بروج قلعة البحرين ايام الوزير الاعظم جلال الدين بن مراد شاه . فكم كان التدمير جسيما فى القلعة بحيث احتاج اصلاحه لمثل هذا العدد الكبير من الحجارة .

كما أن الأحداث التاريخية التى شهدتها البحرين فى سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠مـ والتى اتفق فيها البرتغاليون مع ملك هرمز على غزو البحرين واعدادهم اسطولا كبيرا وقوة فى عدد الجند والعدد خاصة المدفعية . ثم استغلالهم فرصة غياب الأمير (مقرن) عن البحرين لأداء فريضة الحج كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على سقوط النسر الجبرى (مقرن) فى المعركة متأثرا بجراحه التى قضت عليه .

ولقد شهد البرتغاليون ببطولات الأمير مقرن ملك البحرين واقترن اسم البحرين او كما يسميها البرتغاليون (بحاريم) أو (بهاريم) باسم القائد البرتغالى (انطونيو كوريا) الذى انتصر على (مقرن) أو (مكرم) كما وجدنا ذلك فى الوثائق البرتغالية وتحت صورته التى حفظتها كتبهم ومخطوطاتهم . وقد نقشت المعركة على مسلة من الحجر ورسم رأس مقرن على درع وشعار القائد البرتغالى انطونيو كوريا وحيكت حول (مقرن) فى الكتب البرتغالية قصص البطولات وجعله البرتغاليون من القديسين والأبطال الخياليين . ودخلت البحرين تحت النفوذ البرتغالى فى ٢٧ يوليو ١٥٢١مـ .

وبعد وفاة مقرن انسحبت قواته الى

القطيف بقيادة ابن أخته (حميد) . وهنا يظهر لأول مرة هذا الأسم في الوثائق البرتغالية ولعله هو جد (آل حميد) من بنى خالد حكام الاحساء والقطيف وما حولها والذين اشار اليهم الشاعر مؤرخا حكمهم فقال :

رأيت البدو (آل حميد) لما
تولوا أحدثوا فى الخط ظلما
اتى تاريخهم لما تولوا
كفانا الله شرهم (طغى الما)

وآل حميد نسبة الى جدهم حميد الذى ظهر اسمه يقود جيش مقرن وهو ابن أخت مقرن الجبرى من بنى خالد أيضا فكأن دولة (آل حميد) أو (آل غرير) أو (آل عريعر) أو (بنى خالد) ينتسبون الى حميد الذى اوردته الوثائق البرتغالية كقائد فى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وذلك حين قاوم البرتغاليين حتى عاد مقرن مسرعا من الحجاز ليدوخ البرتغاليين حتى اذا ما مات خلفه ابن أخته (حميد) .

أما الفترة ما بين ٩٢٨هـ الى ١٠٨٢هـ وهى فى حساب جملة (طغى الماء) فانها فترة استمرت فيها دولة الجبور وهم من بنى خالد وان سميت بآل حميد أو (آل عريعر) فى الاحساء والقطيف وأوال أو من (القرين) الى شمالى عمان . وان البحث المتواصل عن الوثائق التاريخية فى مختلف اللغات المعاصرة وبين طيات المخطوطات العربية والأجنبية وكتب الرحالة العرب والأجانب سيكشف ولا شك الكثير عن تاريخ هذه الدولة التى سقطت سنة ١٢٠٧ هـ وارخت بكلمة (وغار) .

أما (انطونيو كوريا) فهو ينتسب الى طبقة النبلاء البرتغاليين وقد رافق والده الذى كان مديرا فى (كالى كت) بالهند . ولما قتل والده مع جماعة من البرتغاليين على يد البربر هناك ، وكان لانطونيو من العمر اثنتى عشرة سنه فر الى بلاده ، الا انه لم يلبث أن عاد الى الهند وتنقل فى المناصب ما بين الهند وملقا وجزر الهند الشرقية واجبر ملك (بنتاو) على رفع الحصار عن ملقا . ثم رافق والى هرمز الى الخليج العربى لغزو البحرين التى كانت تدفع عائدات بعض البساتين لوالى هرمز وقد توقفت عن دفعها أثر سقوط هرمز بيد البرتغاليين ، فأتجه (انطونيو كوريا) الى البحرين وبعد معارك ضارية قتل ملك البحرين (مكرم) أو (مقرن) وبعث برأسه الى الحاكم البرتغالى وحل انطونيو كوريا محل (ديو غو فرنانديس) بعد وفاة الأخير واطلق على أنطونيو لقب بحاريم .

وبعد موت السلطان مقرن تولى (**علي بن أجود**) حكم الاحساء ونواحيها وهي المناطق التى انحسر اليها حكم الجبور مدة اشهر ثم خلفه ابن أخيه (ناصر بن محمد بن أجود) فملك نحو ثلاث سنين على ما يروى صاحب الدرر ثم

باعها على قطن بن على بن هلال بن زامل وحكم نحو سنة ثم مات ليخلفه ابنه الذي تنازل عن الحكم (لقضيب بن زامل بن هلال) وحكم نحو سبعة أشهر وفى عهده زال حكم الجبور من الأحساء فى منتصف سنة (٩٣٢هـ / ١٥٢٥مـ) حين اندلعت الحرب بينه وبين (راشد بن مغامس) أنتصر راشد واستولى على البلاد وزالت دولة الجبور (١٨) . ويقال أن مقرن بن قضيب هو الذى سلم لقوات الأتراك العثمانيين سنة (٩٥٧هـ) وانتهى حكم الجبور حيث أمروا على الاحساء محمد باشا الملقب بفروخ فى سنة ٩٥٧هـ ثم على بن أحمد بن لاوند البريكى ١٠٥١هـ ثم استعاد بنو خالد سلطانهم على الاحساء على يد آل عريعر .

ويرى بعض المؤرخين أن زوال دولة الجبور تأخر الى سنة (٩٩٩هـ / ١٥٩٠مـ) ويرى البعض الآخر أن زوال الدولة كان فى سنة (٩٢٦هـ / ١٥١٩مـ) والرأى الأخير هو الأقرب الى الصحة (١٩) .

وبعد هزيمة السلطان ومقتله وانسحاب الجبور الى الاحساء بدأت دولة الجبور تلفظ أنفاسها الأخيرة وقد تولى الحكم بعد مقرن خمسة من حكام الجبور كانوا مجرد اسماء حتى سقطت الدولة على يد« آل مغامس » الذين حكموا الاحساء بعد الجبور نحو ٢٠ عاما ثم سلموها للعثمانيين وجدير بالذكر أن امراء الجبور كانوا يحملون لقب الغريرى والخالدى والصبيحى (٢٠) .

الهوامش

١ ـ جزيرة البحرين الأم وصفها الرحالة المعاصر لهذه الفترة وهو الربان (احمد بن ماجد النجدى) والذى كان حيا سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) فى كتابة (الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد ص ٦٩) بقوله :

الجزيرة الثامنة وهى البحرين وتسمى (اوال) وفيها ثلاثمائة وستون قرية وفيها الماء الحالى من جملة جوانبها واعجب ما فيها مكان يقال له (القصاصير) يغوص الانسان فى البحر المالح بالقربة ويملؤها من الماء الحالى وهو غرقان فى الماء المالح وما حواليها معادن اللؤلؤ وعدة جزر كلها معادن اللؤلؤ يأوى عليها قريب الف مركب وفيها جملة قبائل من العرب وجملة تجار وفيها جملة من النخيل المثمرات اللواتى تضرب بها الاوصاف والخيل والابل والبقر والاغنام وفيها عيون جارية ورمان وتين واترنج وليم وهى فى غاية العمارة وهى فى تاريخ الكتاب (لأجود بن زامل بن حصين العامرى) اعطاه لها هى والقطيف السلطان سرغل بن نور شاه ان يقوم بنصره على اخوته ويملكه جزيرة (هرمز) هرموز المتقدم ذكرها وكتب بها عليها حجج واستثنى بعض بساتينها ففعل له ذلك وقام بنصره وملكه جرون . واخذ البحرين والقطيف فى عام ثمانين وثمانمائة .

٢ ـ الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة والدكتور على اباحسين ـ العيونيون ـ الوثيقة ـ البحرين ـ العدد الاول

٣ ـ نفس المصدر السابق .

٤ ـ نفس المصدر السابق .

٥ ـ الكثيب والعيون والمحاديث وحلوان مواضع فى الاحساء والمروزان وكرزكان قريتان فى جزيرة اوال .

٦ ـ الحميدان ، الدكتور عبد اللطيف ناصر ـ امارة العصفوريين ـ مجلة كلية الاداب ـ البصرة ـ ص١٢٣ ـ ع١٥/١٩٧٩م .

٧ ـ انظر شجرة حكام الجبور المنشورة مع البحث .

٨ ـ تحفة المشتاق فى اخبار نجد والحجاز والعراق لأبن بسام ـ مخطوط لدى الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك .

٩ ـ ابن ماجد (الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد) والسالمى . تحفة الاعيان ١/٣٧١ ـ ٣٧٦٠ والحميدان ـ التاريخ السياسى لامارة الجبور ، الجبور ، ص ٥٥ .

١٠ ـ ابن فرح ـ السلاح والعدة فى تاريخ جدة عن النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة التيمورية ـ القاهرة . حمد الجاسر ، العرب ، ج ٩و ١٠ ، س ١٣ مارس١٩٧٩م . والجزء السابع السنة الاولى ، محرم ١٣٨٧هـ ، الصفحات ٦٠١ ـ ٦١٠ .

١١ ـ الحميدان ص٣١ ـ ٣٧ بايجاز . وللدكتور الحميدان بحث بعنوان (مكانة السلطان اجود بن زامل الجبرى في الجزيرة العربية) مجلة الدارة ، ص٦٠ ـ ٦٤ ، العدد ٤ ، سنة ١٩٨٢ م . ويذكر أن البروفيسور جان اوبان هو الذي أشار الى هذه الرسالة ضمن مخطوطة (كنز المعانى) فقام الدكتور الحميدان بتحقيقها في بحثه المذكور .

١٢ ـ القصيدة للشاعر جعيثن اليزيدى الحنفى من اهل (الجزعة) قرب الرياض .

١٣ ـ الغريرى نسبة الى غرير من عقيل وهى اسرة اجود .

١٤ ـ قيس عيلان وهى القبيلة الام .

١٥ ـ ضاحى اللوى : طرف الرمل ـ رمل بيرين المتصل بالدهناء جنوب الأحساء . والعارض : عارض اليمامة جبل طويق . نابى : مرتفع الفرائد جمع فريدة وهى الجبل .

١٦ ـ لام : القبيلة المعروفة من طي ولها شهرة كبيرة في القرن السابع وما بعده الى القرن العاشر . خالد : قبيلة معروفة من بنى عامر بن صعصعة بن قيس عيلان وكان لها حكم الاحساء ونواحيها في القرون ١٠ ، ١١ ، ١٢ وقد طغى اسم خالد على بنى عامر فشمل اكثر افخاذهم .

١٧ ـ حجر : المدينة المشهورة التى قامت الرياض على انقاضها . يزيد ومزيد : عشيرتان من بنى حنيفة كانتا تحكمان في حجر في القرن الثامن وما بعده الى القرن العاشر .

١٨ ـ انظر بحثنا في (الوثيقة) العدد الاول ، ص ١٢٦ ـ ١٣٨ .

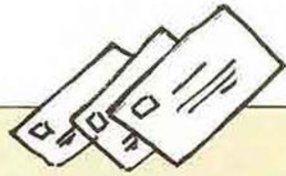
وقد هدينا الى وثائق عثمانية مؤرخة في سنة ٩٦٧ و ٩٨٣ و ٩٨٦ هـ وقد ورد فيها ذكر (آل حميد) .

١٩ ـ ورد في خيار ما يلتقط من الشعر النبط لعبد الله بن خالد الحاتم في قصيدة مقرن بن قضيب القصيدة مع شرحها راجع الديوان في مكتبة مركز الوثائق التاريخية بالبحرين .

٢٠ ـ العرب ، العدد ٩و ١٠ ربيع اول وثانى ١٣٩٩ه والعدد ٧ السنة الاولى ص ٦٠١ ـ ٦١٠ .

٢١ ـ ومن المصادر الاخرى : درر الفرائد المنظمة للجزيرى المتوفى٩٧٧ هـ والدرر الكامنة لأبن حجر (ت٨٥٢) طبع حيدر اباد ج ١ ص ٧٣ ترجمة رقم ١٩٦ ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكى والضوء اللامع للسخاوى (ت :٩٠٢ هـ وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس (ت : ٩٣٠ هـ) ووفاء الوفاء للسمهودى (ت : ٩١١ هـ) وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لأبن العماد (ت : ١٠٨٩هـ) . وفيه ترجمة صالح بن سيف بن زامل في حوادث سنة (٩٣٠هـ) وسمط النجوم العوالى للعصامي (المتوفى ١١١١هـ) والفوائد في اصول علم البحر والقواعد لأحمد بن ماجد النجدى المتوفى في مطلع القرن العاشر الهجرى .

بريد الوثيقة



سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة المحترم
رئيس تحرير مجلة « الوثيقة »
تحية طيبة واحتراما ..

لقد تصفحت العددين الاول والثاني من مجلة «الوثيقة » الصادرة عن مركز الوثائق التاريخية .. وسررت كثيرا لما بذل من جهد واضح لا يقدره الا الذين مارسوا مهمات البحث والاستقصاء .. وانني اهنئكم على ذلك متمنيا للوثيقة دوام التقدم والاستمرارية .

وقد تصفحت العدد الثاني ووجدت في الصفحة 200 ، وقد تم اعطاء الشيخ مبارك لقب قائمقام عام 1870والصحيح هو ان الشيخ مبارك لم يصبح حاكما على الكويت الا بتاريخ 17 مايو 1896 الموافق ٢٥/ذى القعدة ١٣١٣ هـ

وقد جدد منح الشيخ مبارك الصباح لقب قائمقام سنة 1897

اما الحاكم الذي رفع العلم التركي لاول مرة اثناء حملة مدحت باشا في مايو 1871 المتجهة الى الاحساء فكان الشيخ عبدالله ـ الثاني ـ الصباح حاكم الكويت الخامس (نوفمبر 1866 مايو 1892)

في الصفحة 104 من العدد الثاني ورد (عام ١٨٤٤) من السنة الانجليزية .. والاصح هو الميلادية .

حمد السعيدان ـ لندن

الاخ حمد نشكر لكم تقريظكم ونشكر لكم أيضا نقدكم .

○ أما بخصوص ملاحظاتكم على مقال الباحثة (رنده) عن الكويت فان تاريخ ١٨٧٠ م قد وقع سهوا والصحيح ما ورد في صفحة ١٩٥ و ١٩٧ من نفس العدد ونفس الموضوع وهو ان الشيخ مبارك آل صباح قد تولى الحكم في الكويت في ١٨٩٦/١٣١٣ هـ . ومثل ذلك فانه ورد اسم الشيخ مبارك مكان الشيخ عبدالله . وفي ص ١٠٤ ان كاتب المخطوط اورد سنة ١٨٤٤ من سنى تاريخ الانجليز . ويستطرد الكاتب بقوله وهي ولادة النبى عيسى عليه السلام . ولا شك انه يعني بذلك السنة الميلادية . وقد أبقينا النص للمخطوط لكي يطلع القارىء على اسلوب الكاتب .

واخيرا نشكركم على ملاحظاتكم ونرجو مواصلة الكتابة لنا . وفقنا الله واياكم لخدمة العلم واهله .

[رئيس التحـــرير]



دراسة

هل المصاحف الأثرية التي مصاحف بالبحرين تعود إلى

سَألت الفتاة أبا الأسوَد:

ما أجملُ السّماء؟ فنشأ علم النحو العربيّ

بقلم:
الدكتور عبد اللطيف كانو

في كتابة المصحف الشريف

ثم عليها هي مصاحف الخليفة عثمان ؟

القرن الأول الهجري

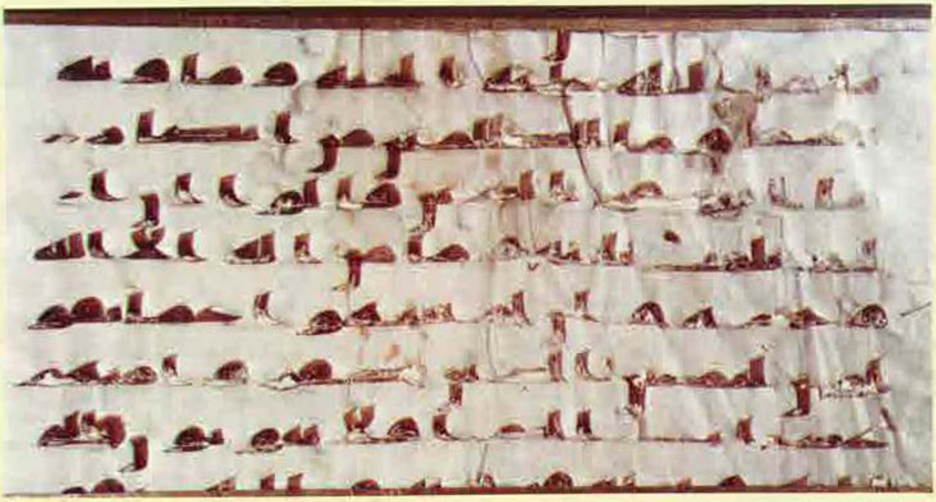
سألت ابنة ابى الاسود الدؤلى اباهـا عن أجمل مـا فى السماء فابتكر العالم الكبير اسس الاعراب وحما القرآن الكريم من اللحن والتحريف . وقد تتـابعت بعد ابى الاسـود جهود حفـظ القرآن وتحولت كتابته وزخرفته وتجليده الى فنون عكست عبقرية وابداع الفنان المسلم . وبقيت عبر القرون مصاحف تحكى قصـة فن من اروع الفنون .. كيف تحول المصحف الشريف من كتابة بسيطة على الرقـاع الى نماذج فنيـة فريـدة ؟ كيف اصبحت الحروف المهملة حروفا مكتملة تنقيطا وشكلا تلك قصة نعرضها فى هذه السطور .

القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم الذي جمع فشمل ، فسر ، وفصل ، فند وأكد ، فهو كلام الله المنزل ، وهو تقوى الدنيا وزاد الآخرة لم يغادر صغيره ولا كبيرة الا احصاها ، قرآن عربي غير ذي عوج ، احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، هذا الكتاب العظيم الذي « بالحق نزل » هدى ورحمة للعالمين ، هو دستور المسلمين وقانون السماء ، انقذ البشرية والانسانية من الضلالة والظلمة والكفر والضياع ، وقوم النفس بالاخلاق الكريمة ، وبالروح العالية ، وعلم الانسان مالم يعلم ، فهو هدى ورحمة للعالمين ، وهو امام وقرآن مبين ، يهدي الى الرشد « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (فصلت آية ٤٢) .

لقد انزل هذا القرآن الكريم على النبي الامي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في غار حراء في ليلة القدر المباركة في السنة الحادية والاربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم (610). وقد كان اول ما انزل من القرآن الكريم قوله تعالي « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » (سورة العلق) واخر ما انزل هو « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (سورة المائدة) وقد كان ذلك في منى في حجة الوداع في التاسع من ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة (632 م) ولهذا فقد كانت فترة نزول الوحي من بدء التنزيل الى منتهاه هي 22 سنة .

النزول المنجم

لقد نزل القرآن الكريم منجما أي مفرقا على دفعات متتالية من الآيات المجيدة ، وكانت الآيات تنزل تباعا على النبي صلى الله عليه وسلم خمس آيات وعشر آيات واكثر من ذلك او اقل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل كتاب الوحي مع كتابة الآيات الكريمات بوضعها في موضعها الصحيح من سور القرآن ، والقرآن الكريم يتكون من (6236)آية كريمة نظمت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مواضعها الصحيحه من القرآن لتكون ثلاثين جزءا و (114) سورة منها (86)سورة مكية



جزء من مخطوط قرآنى نادر من القرن الاول الهجرى كتب على الرق بالخط الكوفي البدائى المبسط بدون اى نوع من الاعجام من اصل صفحة كبيرة المقاس استعمل المداد الاسود بدون اى نوع من التلوين او الزخرفة الجمالية .

النص القرآنى للمخطوط حسب الاسطر (سورة المائدة))73—74

حرم الله عليه الجنة وماواه ـ جهنم وما للظالمين من انصار ـ لقد كفر الذين قالوا ان الله ـ ثالث ثلاثة وما من اله الا اله ـ واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ـ ليمسن الذين كفروا منهم عذاب ـ اليم .

مجموع آياتها (4613) آية مكية وتؤلف هذه الايات المكية اكثر من ثلثي القرآن الكريم ، واما الآيات المدنية فهي (1623) اية احتوتها (28)سورة مدنية ، وبهذا فان معظم آيات القرآن الكريم قد انزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة ، كما يلاحظ ان السور الطوال مثل البقرة وآل عمران والنساء هي سور مدنية وكذلك فان معظم الآيات الطوال هي آيات مدنية ايضا ، والواقع ان اطول آية في القرآن الكريم هي الاية (281) من سورة البقرة وهي مدنية وتتألف من (125) كلمة وهي آية « التداين » التى تبدأ بـ « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه .. » كما ان اطول سورة في القرآن هي سورة البقرة المدنية وتتكون من (286) آية . واصغر سور القرآن ثلاث سور اثنتان منها مكيتان هما سورة العصر وسورة الكوثر والثالثة مدنية وهى سورة النصر وجميع هذه السور مكونة من ثلاث آيات .

كتاب الوحي

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام أميا لا يعرف القراءة والكتابة وقد اتخذ له كتابا معروفين يكتبون ما انزل عليه من الوحي منهم الخلفاء الاربعة والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص ويزيد بن ابي سفيان ومعاوية بن ابي سفيان

وابي بن كعب وعامر بن فهيره وزيد بن ثابت وعمرو بن العاص وحنطه بن الربيع وآخرين قيل ان عددهم اثنان واربعون .

ولقد كان زيد بن ثابت والخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية ملازمين للنبي واكثرهم كتابة له .

القرآن في عهد الرسول

لقد كان الخط المستعمل في كتابة القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخط المدني والخط المكي وقد كان الخط المدني اكثر اتقانا من الخط المكي لكثرة كتابه وكثرة الكتابة به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو كتاب الوحي لكتابة ما انزل عليه من آيات الذكر الحكيم ويدلهم على موضعها من سور القرآن وكان ما يكتب من القرآن يوضع في بيت الرسول وينسخ الكتاب لانفسهم نسخة مما انزل ، كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو على المسلمين ما انزل عليه فيحفظونه عن ظهر قلب ، وبهذا فان القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حوفظ عليه ليكون سليما ودقيقا كما جاء به الوحي وذلك عن طريق العودة الى النبى صلى الله عليه وسلم للتأكد والتصحيح ومن خلال حفاظ القرآن والصحف الموجودة في بيت النبي وصحف كتاب الوحي .

والقرآن الكريم كان مسجلا ومكتوبا بالكامل على حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفس الوقت كان مسجلا في قلوب الصحابة وكان مسموعا يقرأ في الصلاة ويسمع من النبي صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين ، حفظه الصحابة وسجلوه في الصدور ، الا ان القرآن لم يجمع على حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف موحد متكامل حسبما هو عليه الان وانما اكملت الايات والسور وبقى محفوظا في القلوب ومسجلا على ادوات الكتابة المعروفة انذاك كالعشب (جريد النخل) ، واللخاف (الحجارة الرقيقه) وعظام الاكتاف والاضلاع والرقاع وقطع الاديم .

مراحل تدوين القرآن الكريم

لقد دون القرآن الكريم خلال ثلاث مراحل مختلفة كانت المرحلة الاولى في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم خلال فترة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت الثانية خلال خلافة امير المؤمنين ابى بكر الصديق رضى الله عنه اما المرحلة الثالثة والاخيرة فقد كانت في عهد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

لقد كانت عملية تدوين القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عملية مستمرة منذ النزول في غار حراء وكان القرآن ينزل منجما على النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الوحي جبريل الامين وكان النبي يجمع نفرا من الصحابة لكتابة وتدوين ما انزل عليه من الايات البينات ثم يدل كتاب الوحي بوضعها في موضعها الصحيح من سور القرآن ، وهكذا كانت تتم عملية التدوين الاول للقرآن الكريم .

اما التدوين الثاني فقد كان في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضى الله عنه بعد مشورة تلقاها من عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موقعة اليمامة سنة (12)هجرية حيث استشهد فيها كثير من الصحابة حفظة القرآن ، وقد عهد ابو بكر الصديق بهذه المهمة الى الصحابي الجليل زيد بن ثابت وهي مهمة جمع القرآن وتدوينه في صحف متناسقة متعددة متكاملة في مقاس واحد وبطريقة متماثلة على الرق وفي تسلسل متتابع للآيات القرآنية كما وضعت في موضعها الصحيح على حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تم الجمع الثانى للقرآن الكريم واودع في بيت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ثم انتقل الى بيت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعد وفاته حفظ في بيت حفصه بنت عمر زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل كتب عثمان المصحف ؟

لقد تم التدوين الثالث للقرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان حريصا على جمع كتاب الله في مصحف يجمع شمل الامة الاسلامية وتجمع على قراءته الامة ، ولوضع هذا الهدف السامى موضع التنفيذ عهد بالاضافة الى زيد بن ثابت ، كاتب الوحي وجامع الصحف للخليفة ابي بكر الصديق الى ثلاثة اخرين من كتاب الوحي هم عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن الحارث بن هشام وجميعهم قرشيون للقيام بجمع القرآن مستعينين في ذلك بصحف ابى بكر الصديق التى احتفظت بها ام المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب الذي استعارها الخليفة عثمان منها لهذا الغرض السامى .

وقد اختار عثمان بن عفان رضى الله عنه زيد بن ثابت لانه كان من كتاب الوحي وكان قد شهد القراءة الاخيرة وكتبها وقرأها على النبى سنة وفاته وعرف ترتيب الآيات والسور في القرآن وكتب الصحف للخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

وقد ذكر السجستاني ان عثمان قال : اي الناس افصح ؟

قالوا : سعيد بن العاص

ثم قال : اي الناس اكتب

قالوا : زيد بن ثابت

قال : فليكتب زيد ، وليمل سعيد

وقيل ايضا ان سعيد بن العاص افصح الناس واشبههم بلهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كانت توصيات الخليفة عثمان للكتاب الاربعة واضحة ودقيقة ومركزة ، وبهذا الوضوح التام والرؤية السليمة قام هؤلاء الصحابة بمهمتهم خير قيام ، فلما اتموا ، نسخوا من المصحف عدة نسخ مطابقة بعضها لبعض وتم هذا الجمع الثالث للقرآن الكريم سنة (25) هجرية . وقد كان الخليفة عثمان بن عفان في اثناء الكتابة يراجع ما يكتب حرفا حرفا وكلمة كلمة ويصلح ما فاتهم ، وبعد الانتهاء من نسخ المصاحف أمر الخليفة



مخطوط قرآني معجم كتب على الرق في المدينة المنورة بالخط الكوفي المجود وادخلت عليه التحلية الذهبية في مواقف الآيات يرجع تاريخه الى القرن الثاني الهجرى جمع التحديث الاول الذى ادخله ابو الاسود الدؤلي وهو تنقيط الاعراب النحوى (النقاط الحمراء) والتحديث الثاني الذى ادخل في ايام الحجاج بن يوسف الثقفي ويعتبر هذا المخطوط نادرا لانه استعمل الخطوط المائلة بدلا من النقاط لفك اعجام الحروف الهجائية لاحظ كلمة « نجزى » (في بداية السطر الثالث) كما وردت في المقال .

النص القرآني للمخطوط حسب الاسطر (سورة الصافات 79—81)
في العالمين . انا ○ كذلك ○ نجزى المحسنين ○ انه من عبادنا ○ المؤمنين ○

عثمان باجماع الأمة على ان تحرق جميع المخطوطات والمصاحف التى كانت لدى الصحابة ، ولم يبق الا على الصحف التي اعادها الى زوجة النبي حفصة رضى الله عنها .

وقد اتخذ الخليفة عثمان بن عفان هذا الموقف الشجاع الحازم القاطع بموافقة الامة والصحابة ، والتأكد من دقة وصحة المصحف المكتوب ، وفي نفس الوقت انهى بهذا العمل الرجوع والعودة الى اي خلاف او اختلاف .

يعتقد العديد من الناس خطأ ان الخليفة عثمان بن عفان كتب المصاحف التى ارسلت الى الامصار والواقع المؤكد ان الخليفة عثمان بن عفان لم يكتب هذه المصاحف بخطه ، مع انه رضى الله عنه يعرف القراءة والكتابة وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وانما امر باعداد هذه المصاحف واشرف اشرافا مباشرا على كتابتها وكان يراجعها ويدقق في كل ما جاء بها حرفا حرفا ويصلح ما فاتها ، اما المصاحف

التى ارسلت الى الامصار فقد كانت بخط الصحابي الجليل زيد بن ثابت الذي عرف عنه الخط الحسن والواضح من بين كتاب الوحي كما انه كان الكاتب المرافق والملازم للنبي صلى الله عليه وسلم وكاتب بعض رسائله النبوية الشريفة . اما نسبة المصاحف الى الخليفة عثمان بن عفان فترجع الى امره وزمانه وامارته .

كيف كانت مصاحف عثمان

لقد كتبت المصاحف التى ارسلت الى الامصار بالخط المدني المتطور والذي يعتبر في ذلك الوقت اعلى درجة في الجودة والكمال اذا ما قورن بالخط المكي المعروف في تلك الحقبة التاريخية ، والواقع ان الخط المدني قد استعمل كذلك في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم التى ارسلت الى الملوك والامراء والاباطرة في بداية الدعوة الاسلامية في القرن السابع الهجرى والذي لا يزال بعضها موجودا في المتاحف ومن ضمنها الرسالة التى ارسلت الى المنذر بن ساوي امير البحرين يدعوه فيها للدخول في الاسلام ولمعرفة خط هذه المصاحف يمكن الرجوع الى رسالة المنذر التى ارسلت الى البحرين لاخذ فكرة اولية عن نوعية الخط العربي الذى استعمل في كتابة هذه المصاحف التاريخية التى ارسلت الى الامصار وكانت تحتوى على سور القرآن كما رتبت في تسلسلها كما هو الان في المصاحف الحالية المتداولة ، مبتدئة بسورة الفاتحة



مخطوط

قرآنى كريم بالخط الكوفى المجود يعتقد انه نسخ فى بغداد فى القرن الثانى الهجرى ، مكتوب على الرق بخط جميل حسن وتبين الصورة التحديث الاول بمفرده حيث استعملت النقاط الحمراء للدلالة على حركات الاعراب كما وصفها ابو الاسود الدؤلى ـ لاحظ تجزئة الكلمات كما جاء فى (المقال) فى السطر الاول الى الرابع .

ومنتهية بسورة الناس وكانت بدون اعجام او اعراب ، والواقع ان هذه المصاحف لم تكن في حاجة الى اكثر من ذلك ، لان العرب في ذلك الوقت كانوا اصحاب بلاغة وفصاحة ومعرفة تامة بلغتهم العربية ولم يدخل على هذه المصاحف اي نوع من الاعجام او التنويع الفني وكانت بسيطة خالية من الزخارف والتطوير الفني والاشكال الهندسية او الجمالية التى عرفت فيما بعد ، كما انها كانت بدون تحلية او زخرفة او تلوين او تذهيب ، وصنعتها الفنية كانت بدائية اولية متواضعة ، والواقع ان الزخارف الجمالية التى ازدانت بها المصاحف فيما بعد هي وليدة تطور زمنى ارتبط بالحضارة والفن وتطور الخط العربي وفي الكتابة والزخرفة وساعد على تنمية هذا الفن الزخرفي استعمال الخط الكوفي وتطويره .

ان المصاحف التى خطها زيد بن ثابت للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت خالية من التجزئة والزخرفة والاعجام وكانت بسيطة الشكل والكتابة والتجليد ، بخط مدني مجود واضح ، ومداد اسود محكم كتب على صفحات من الرق المصقول وعلى وجهى الصفحة .

متى كتبت مصاحف عثمان

لقد ارسل الخليفة عثمان بن عفان مصاحفه المشهورة الى الامصار بعد الفراغ منها في السنة الخامسة والعشرين للهجرة (645)م وكان قد بدأ في جمعها في عام (644)م من الهجرة النبوية الشريفة وهذا التاريخ يبين ان الجمع الموثق والمتفق عليه من القرآن الكريم الذي اجمعت الامة الاسلامية عليه قد تم في فترة زمنية محددة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعدى الخمسة عشر عاما وهي فترة وجيزة جدا اذا ما قيست بمقياس الزمن ، وانه لمن المؤكد ان مصحف عثمان الذي اجتمعت عليه الامة كان قد ارتبط ارتباطا وثيقا « بالمصحف » الذي كتب للخليفة ابى بكر الصديق اثناء خلافته وبهذا فان الفترة الزمنية بعد التدوين الكامل للقرآن ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعدي السنتين او حوالى الثلاث سنوات منذ ان توقف الوحي الالهي عن النزول في حجة الوداع .

هل ارسل عثمان احد مصاحفه للبحرين ؟

لقد اختلف في عدد المصاحف التى ارسلها الخليفة عثمان ، فقيل انها اربعة مصاحف ارسلت الى الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده ، وقيل انها سبعة نسخ من المصحف الكريم ، وقد تحدث عن هذا الرأي في مخطوطه المشهور « كتاب المصاحف » ابو بكر عبدالله بن ابي داود السجستاني المتوفى سنة 316)هـ فقال : « حدثنا عبدالله قال سمعت ابا حاتم السجستانى قال : لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدا الى مكة ، واخر الى الشام ، واخر الى

اليمن واخر الى البحرين ، واخر الى البصرة واخر الى الكوفة وترك بالمدينة واحدا » .

والواقع ان الرواية التى تقول بانها سبعة مصاحف هي اقرب الى الواقع اذ انه لا يعقل ان يخص الخليفة مواقع معينة من الدولة الاسلامية دون الاخرى وخاصة ان مكة واليمن والبحرين كانت[1] من المراكز الاسلامية المهمة في ذلك الحين وكان المسلمون ينظرون ويتعطشون الى نسخ القرآن من مصدره الحقيقي وهو مصحف عثمان الموثق والمختوم من الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وان هذا المصحف « الامام » هو المرجع الاصلي لا ستنساخ مصاحف الاقليم وهو المرجع الاساسي المؤكد للعرض والتدقيق والمقارنة لبقية المصاحف المخطوطة في الاقليم وفي هذا يقول السجستاني « حدثنا عبدالله حدثنا على بن حرب حدثنا القاسم حدثنا سفيان قال : كان زيد اذا حضر شهر رمضان عرض القرآن فاجتمعوا اليه بالمصاحف » (والمقصودبـ زيد في الحديث هو الصحابى الجليل زيد بن ثابت كاتب الوحي ومدون القرآن للخليفة ابى بكر الصديق وعثمان بن عفان رضى الله عنهما) .

وقد قيل ان الخليفة عثمان بن عفان اختار وارسل حفاظا من الصحابة مع المصاحف فأمر زيد بن ثابت ان يقرأ في المصحف في المدينة المنورة وبعث عبدالله بن السائب مع المصحف الى مكة المكرمة ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى وابا عبدالرحمن السلمى مع المصحف المرسل الى الكوفة .

ولقد كانت البحرين منطقة مهمة منذ بداية التاريخ الاسلامى فقد ارسل النبى صلى الله عليه وسلم رسالة مهمة الى المنذر بن ساوي أمير البحرين حملها اليه العلاء بن عبدالله الحضرمي (راجع الوثيقة العدد الاول - رسائل النبي صلى الله عليه وسلم) يدعوه فيها للاسلام وقد استجاب لذلك وارسل خراج البحرين الذي بلغ 80 الف (درهم) وهذا مما يؤكد اهمية البحرين الاقتصادية في تلك الحقبة التاريخية ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد اهل البحرين فارسل اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضى الله عنه الجحفل السادس بقيادة العلاء الحضرمي ليقاتل اهل البحرين

---

(1) في العصر الاسلامى الاول كان يطلق اسم البحرين على اقليم اسلامي متكامل واسع الارجاء والمساحة خصيب الارض مترامي الاطراف يحده الساحل الغربي للخليج العربي ليكون الحدود الطبيعية للدولة الاسلامية ، ولقد كانت جزر البحرين هي المركز الحضارى لهذا الاقليم منذ القدم كما ان موقعها المتميز ما بين اطراف الاقليم الممتدة من البصرة الى عمان قد اعطاها ثقلا اضافيا لتكون البوابة الرسمية لهذا الاقليم الذي كان يطلق عليه الاقليم السادس في الدوله الاسلامية .

ويردهم الى الاسلام ، وقد تم ذلك وعادت البحرين لتنعم بضياء النور والسلام تحت راية الاسلام واصبحت ولاية مستقلة في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضى الله عنه ولكنها ارتبطت بعد ذلك مع الاهواز في ولاية مشتركة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ان هذا الشرح المبسط للمرحلة التى سبقت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه يؤكد اهمية البحرين كمركز حضارى مهم في الرقعة الاسلامية ولهذا فانه ليس من البعيد او المستغرب ان يرسل الخليفة عثمان بن عفان احد مصاحفه السبعة الى ولاية البحرين ، ومهما يكن من أمر فان هناك اسبابا منطقية عديدة ، بالاضافة الى الروايات التاريخية ، تساند الرأي القائل بان المصاحف العثمانية السبعة قد ارسل منها الى البحرين ومنها :

1 ـ كانت البحرين احدى الولايات المهمة في صدر الاسلام وكانت اهميتها الحضارية تعادل الولايات الاسلامية الاخرى كاليمن والبصرة .

2 ـ كانت ولاية البحرين مركزا زراعيا وتجاريا وبحريا ، ملتقى الطرق البرية والبحرية وكانت ذات موارد بشرية واقتصادية .

3 ـ لقد ارتد اهل البحرين عن الاسلام في عهد ابي بكر الصديق رضى الله عنه ولهذا فانه من المهم وجود المصحف العثمانى الاول بين ايديهم ليكون النهج السليم والمرجع الدقيق في القراءة والنقل .

هل لا تزال مصاحف عثمان موجودة ؟

سؤال يطرح نفسه على الباحث المدقق ، فهناك الكثيرون الذين يعتقدون ان مصاحف عثمان التى ارسلها الى الامصار او بعضا منها على الاقل لا تزال باقية متواجدة في اماكن مختلفة من العالم الاسلامى ما بين المتاحف الرسمية ، والمساجد الاثرية التاريخية ، والمكتبات الاسلامية العريقة المنتشرة في العالم الاسلامى ولقد دلت النصوص والمراجع التاريخية المدونة على ان بعض مصاحف عثمان او اجزاء منها قد انتقلت خلال فترات تاريخية مختلفة ، من البلدان التى ارسلت اليها ، الى مدن اسلامية معروفة من الرقعة الاسلامية بما فيها مدينة دمشق ، وحمص في الشام والبصرة وبغداد في العراق ، والمدينة المنورة ومكة المكرمة في الحجاز ، وقرطبة في الاندلس ، والقيروان في المغرب العربي .

ويعتقد ان هناك الان اربعة مصاحف تنسب الى الخليفة عثمان بن عفان متواجدة في اربعة اماكن مختلفة هي :

1 ـ متحف طشقند ـ طشقند (عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية)

2 ـ المشهد الحسينى ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

3 ـ متحف الاثار الاسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا

4 ـ متحف طوب قبو ـ اسطنبول ـ تركيا

ولقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد

(1) بدراسة هذه المصاحف الاربعة دراسة ميدانية وافية مستفيضة وكانت نتائج هذه الدراسة ان المصاحف الاربعة المذكورة ليست مصاحف عثمان المعروفة تاريخيا وانما هي مصاحف من القرن الاول الهجري وقد لخص رأيه الذي توصل اليه في عبارات واضحة مؤكدة قال فيها : « ان هذه المصاحف الاربعة رغم نسبتها الى عثمان ليست بخط واحد ، ولا قياس واحد ، ولا عصر واحد ، ونرجح انها نقلت عن اصل عثماني قديم ، اي عن احد المصاحف التى ارسلها عثمان الى الامصار لذلك اطلق عليها مصاحف عثمانية » .

واستنادا لهذا الرأي فانه يمكن القول ان جميع المصاحف التى ذكرت النصوص التاريخية انها موجودة في البلاد الاسلامية التى ارسلت اليها قد اختفت من اماكنها التى كانت متواجدة فيها وذكرت بعض النصوص انها قد شوهدت في هذه الاماكن المعروفة ومهما يكن من امر فانه من الصعب ان يحكم الانسان على ان هذه المصاحف الاثرية التاريخية قد اختفت بالكامل وانها غير محفوظة في مكان ما ، اذ انه لا يعقل ان هذه المصاحف الاثرية والمهمة جدا والتى يحترمها جميع المسلمين بما فيهم المحاربون والفاتحون يمكن ان تختفي بالكامل ولابد ان البحث والتنقيب والاهتمام المتزايد سوف يكشف عن وجودها بالكامل او وجود بعضها او بعض اجزائها كما حدث لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم اذ اعيد اكتشاف اربعة من هذه الرسائل النبوية الشريفة خلال الحقبة التاريخية الحديثة (2) كما انه لم تتحدث كتب التاريخ عن حريق في المساجد او الاماكن التى كانت هذه المصاحف التاريخية متواجدة فيها .

المراحل التى مرت بها كتابة القرآن الكريم

لقد مرت كتابة القرآن الكريم خلال مراحل عديدة مختلفة اهمها تطوير وتجويد الخط العربي المستعمل في كتابة القرآن ليكون عدة مدارس مختلفة للخط ، كما ان المواد التى استعملت في كتابة القرآن قد تغيرت وتطورت تطورا اساسيا منذ ان كتبت مصاحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد شمل التطوير الابجدية والهجاء العربي ، فادخل عليها التنقيط لفك اعجام الاحرف الابجدية كما ادخل التعريب النحوي على كلمات القرآن الكريم من اجل تسهيل عملية القراءة السليمة والنطق الصحيح للقرآن الكريم ، للمسلمين الاعاجم الذين

---

(1) دراسات في تاريخ الخط العربي ـ الدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ 2791

(2) رسائل النبي صلى الله عليه وسلم للأباطرة والملوك والامراء ـ الوثيقة ـ ـ العدد الاول ـ مركز الوثائق التاريخية / البحرين 6-1982

دخلوا في دين الله افواجا وبدأوا يرتلون القـرآن بلهجـة يشـوبهـا التصحيف والالحان ، مما ادخـل بعض الخلل غير المقصود بالمعني الدقيق للآيات القرآنية ، ومن المراحل المهمة التى مرت بها كتابة القـرآن ادخال التحليـة الجماليـة عـلى اختلاف انواعها والتى تفنن في صناعتها الخطاطون المسلمون عبـر الزمان كمـا ارتبطت هذه الصناعة بالمكان والحقبـة التاريخية . وقد كان دور الفنان المسلم في هذا المضمار آية من آيات الفن الرفيـع المجود كما ان انتاجه كان اصيلا مبدعا جمـع البسـاطة والتنـاسق في الالوان والترابط في الاشكال والدقة في الانتاج .

لقد ادخلت معظم التحسينات الاولية والاساسية في كتابة المصحف الشـريف لتفـادي اللحن والتصحيف في العـهـد الامـوي خلال خـلافة معـاوية بن ابي سفيان وخلافة عبدالملك بن مروان بعد ان استقـرت امـور الدولة الاسـلاميـة وانشئت الدواوين وبدأ التطوير والتجويد في المرافق المختلفة للدولة ، وقد استعمل الخـط الكوفي بـدلا من الخـط المكي او المدني في كتابة المصاحف في بداية خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنـه ، واستمـر الى القـرن الخـامس الهجرى وفي خلال هذه الفترة التاريخية المهمة استعمل الخط الكوفي استعمـالا شائعا في كتـابة معـظم المصاحف التى نسخت عـلى الرق ، اما طريقـة الهجاء والرسم التى استعملها الخليفة عثمـان بن عفان في مصاحفه فانها لم تتغير تغيرا جذريا على مر الزمان وانما ادخلت عليها بعض التعـديلات البسيـطة بـين فتـرة واخـرى وبقيت واستمرت طريقـة رسم القـرآن كما كـانت عليـه في المصـاحف العثمـانيـة منـذ ذلك الامـد الى وقتنـا الحاضر .

وكمـا بينت هذه الدراسـة فالقـرآن الكـريم قد دون خـلال ثـلاث مـراحـل رئيسية كانت الاولى عند نزول الوحي في حياة النبي صلى الله عليـه وسلم وتحت امـرته واشـرافه وكـانت الثانيـة خلال خلافة امير المؤمنـين ابي بكر الصـديق رضى الله عنه والثالثـة في عهد الخليفـة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد مرت كتـابة المصحف الشـريف كذلك خـلال ثلاث مراحل اساسية تم خلالها ادخال التعـديـلات والاصـلاح والضـوابـط والاعـراب على كتـابـة اللغـة العـربيـة للمصاحف فاصبحت فيما بعد لغة قوية متكـاملة لا لبس فيها او اعـاقة ، تقـرأ قـراءة صحيحه واضحـة بنـطق سليم مشكـل بدون تصحيف او لحن لوجـود الاعـراب النحـوى والتنقيـط الرمـزى للاحرف الهجائية .

استعمال التنقيط لفك الاعجام

لقد كان العرب يكتبون اللغة العربية في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهـد الخلفاء الراشـدين بـدون اعجام او اي نوع من الضوابط الشكلية وكانوا يعتمدون على سليقتهم الفصحى في القراءة والكتابة وكانت لديهم منـاعة ذاتية ضد اللحن والنطق غير الصحيح .

لقد دون القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الصحابة كتاب الوحي بدون اي نوع من الاعجام او التشكيل وكذلك كانت مصاحف الصحابة والخلفاء الراشدين بما فيها المصاحف العثمانية التى ارسلت الى الامصار والمصاحف التى نسخت عن مصاحف عثمان كانت جميعها غير منقوطة او معجمة والواقع ان الاعجام لم يستعمل بتوسع الا في مرحلة متأخرة من القرن الاول الهجرى كنتيجة للتصحيف واللحن الذي ارتبط بالمسلمين الاعاجم .

ومع ان التنقيط لم يستعمل في المصاحف في بداية الاسلام الا ان هناك بعض الروايات التى تبين ان التنقيط كان معروفا في تلك الحقبة التاريخية الا انه لم يستعمل الا نادرا وذلك لانه كان يفترض من الكاتب والقارىء ان يميز الاحرف المكتوبة بدون اعجام وان ينطق بها بدون مشقة او خطأ او تصحيف وهكذا كان لان العرب قبل ان يخالطوا الاجناس الاخرى كانوا ذوى فصاحة لا يحتاجون الى الضوابط لمنع السنتهم من الخطأ ونطق الالفاظ نطقا غير سليم .

استعمل الاعجام في القرآن الكريم من خلال ثلاث مراحل رئيسية تاريخية من الاصلاح حيث استحدث النحو والاعراب . واعجمت الحروف وضبطت القراءة والنطق ومكنت المسلمين الاعاجم من ترتيل القرآن الكريم بدون لحن او تصحيف ، ولقد كانت المرحلة الاولى للاستحداث الجديد هي ادخال التنقيط للدلالة على النحو وقواعده . اما المرحلة الثانية فقد ارتبطت بتنقيط بعض الاحرف الهجائية المتشابهة لتمييزها ، والمرحلة الثالثة تميزت بتغير نقاط النحو والقواعد اللغوية .

التحديث الاول

التحديث الاول هو ادخال التنقيط لضبط اعراب الكلمات وقد تم هذا الاستحداث الجديد على يد ابي الاسود الدؤلي (3) سنة 67 هجرية وقد كان ذلك بحوالى سنتين قبل وفاته في عام 69 هجرية .

تروى كتب التاريخ ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى أدخل الاعراب على القرآن الكريم بناء على طلب زياد بن أبيه

(3) ابو الاسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي من كبار التابعين العلماء وهو شاعر وامير وفارس ، وكان واليا للبصرة في خلافة علي بن ابى طالب وقد شهد معه صفين ، تعلم النحو من امير المؤمنين على بن ابي طالب وكتب الكثير فيه وكان اهتمامه بتعلم الكلام ناتجا عن سماعه اللحن في العربية وسببه ان ابنته نظرت الى السماء في ليلة شديدة الصحو وقالت : ما احسن السماء (بضم النون) فأجابها : نجومها ، قالت اردت التعجب ولم ارد السؤال فقال : عليك ان تقولي : ما احسن السماء (بفتح النون) وتفتحي فاك ، ولما اصبح ذكر ذلك للخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه فعلمه رضي الله عنه ابوابا عديدة من النحو وقال : « انح هذا النحو يا ابا الاسود » .

وقد كان واليا على البصرة قبل معاوية لما رأى اللحن قد استفحل فى البصرة وكان ذلك بعد ان سمع أبو الاسود الدؤلي قارئا يرتل القرآن ملحنا فقرأ قوله تعالى : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » وقد قرأ (رسوله) بكسر اللام فاخلف المعنى بكامله اذ أدى الى الفهم ان الله برىء من رسوله ، فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

كيف طبق التحديث الأول

وقد تمت عملية الاعراب للمصحف الكريم بأن اختار أبو الأسود كاتبا وقال له : « خذ المصحف وصبغا يخالف لون مداد المصحف . واستمع الى ما أقرأ ، فاذا رأيتنى فتحت شفتى عند النطق بحرف فاجعل نقطة فوقه ، واذا كسرتها عند نطقى بالحرف فاجعل نقطة تحته ، واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف الذى نطقت به ، واذا اتبعت شيئا من الحركات غنة فاجعل الشكل نقطتين ، واما الساكن فاتركه بلا نقط ، واخذ يقرأ القرآن بتأن والكاتب يضع النقاط وكلما أتم الكاتب صحيفة راجعها أبو الأسود معه حتى اكملا ضبط المصحف بأجمعه على هذه الطريقة .

وبهذا فان النظام الذى اتبع فى وضع الاعراب هو :

- علامة الفتح : نقطة حمراء فوق الحرف .
- علامة الضم : نقطة حمراء فى قلب الحرف أو جانبه .
- علامة الكسر : نقطة حمراء تحت الحرف .
- علامة التنوين : (ضمتان) : نقطتان حمراوان .
- علامة السكون : يترك بدون تنقيط .

وتحدثت المصادر التاريخية المختلفة عن انه قد استعملت الوان اخرى من المواد لضبط النحو فى المصاحف فقد استعمل فى مصاحف الاندلس أربعة الوان مختلفة اللون : اللون الاسود للكتابة واللون الاحمر لنقاط القواعد واللون الاصفر للهمزات ، واللون الاخضر لالفات الوصل ، وقد ادخل الاعراب على القرآن الكريم فى البصرة وتبعتها مكة ثم المدينة وتلا ذلك اهل المغرب والاندلس وبتتبع المصادر التاريخية فان الرق المكتوب بالخط الاسود والمنقوط باللون الاحمر للاعراب اما ان يكون من الشام أو العراق ، اما اذا استعملت الالوان الاربعة المكونة من الاسود والاحمر والاخضر والاصفر فان غالبية الامر ان هذه المصاحف اما ان تكون اندلسية أو مغربية أو مدنية .

ومع ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى ادخل الاعجام النحوى على الحرف العربى الا ان علم التنقيط ، واستعمال النقاط مع الاحرف كان معروفا فى تلك الحقبة التاريخية وكانت اللغة السريانية الشرقية قد استعملت نظام التنقيط اولا للتفرقة بين الاحرف السريانية المتشابهة ثم ادخلت بعد ذلك اعراب الكلمات

السريانية ، ولهذا فانه ليس من المستبعد ولا من المستغرب ان يكون ابـا الاسود الدؤلى قد استعان واستفاد من الطريقة السريانية المعروفة والمجربة آنذاك عند ادخـاله للتنقيط النحـوى على الكلمـات العربية .

لقـد تفنن الخـطاطون المسلمـون فى ادخال الاشكال المختلفة للنقاط النحوية عنـد نسخهم للقرآن الكـريم فمنهم من جعلها نقاطا مستـديرة مملوءة الوســط بالمداد ومنهم من جعلها مدورة مجوفة ، وكذلك استعملت النقاط المربعة الخالية والمملوءة ، بالاضافة الى نقاط فى شكـل معين ، استعمل مداد احمر اللون للنقاط النحوية التى شكلت فيها كلمات القرآن الكريم كما استعمل المداد الاسود لكتابة الآيات القرآنية الكريمة .

التحديث الثانى

التحديث الثانى هو ادخال التنقيـط لاعجـام حروف الكلمـات وذلك بتنقيـط الاحرف المتشابهة منها من أجل تمييزها ونطقها النطق السليم الصحيح .

كـانت العـراق ملتقى الحضـارات امتـزج فيها العنصر العـربى بـالعنصر العجمى وجمعهم الاسلام على دين واحد وقرآن واحد يرتله الجميع بقلوب خاشعة مطمئنة ، الا ان الاعـاجم لم تتمكن من معـرفة اللغـة العربيـة بالسليقـة التى اقتصـرت عـلى العـرب وحـدهم فكثـر التصحيف والقراءات الخاطئة ، ومع ان ابا الاسود الدؤلى ادخل التحديث الاول بوضعه الاعراب اللغوى للكلمات الا ان هذا التحديث لم يحفظ الالسن من الخطأ بالنسبة لتمييز احرف الكلمات ولكنه مكن الاعـاجم من تفـادى اللحن فى القـراءة ونـطق الكلمـات النـطق السليم المعجم ولهـذا فقـد بقى التصحيف المـرتبـط بالحرف مستمرا دون اصلاح ، فكثرت الاغـلاط وحرفت الايـات القرآنيـة عند قراءتها عن غير قصد وذلك نظرا لتشابه احرف بعض الكلمات واستمرارها بدون تمييز .

هذا التصحيف الخاطىء فى القـرآن ازعـج الحجاج بن يـوسف الثقفى والى العراق من قبل عبد الملك بن مروان ولهذا فقد اتخذ القـرار الحكيم بتعيين لجنـة مكونة من اثنين من خيرة العلماء كانا من التقوى بحيث لا يتهمان فى دينهمـا وقد تتلمذا على يد ابى الاسود الدؤلى همـا نصر بن عاصم الليثى الفقيه المتوفى سنة 89 هـ ويحيى بن يعمر العدوانى قاضى خـراسان المتـوفى سنـة 129 هـ وطلب منهمـا ادخـال الاصـلاح الذى يحمى القـرآن الكريم من التصحيف واللحن وقد تم انجاز هذا العمل المهم فى الثلث الاخـير من القـرن الاول الهجـرى وفى حوالى سنة 85 من الهجرة النبوية .

التمييز بالنقاط

ولقد بدأ العالمان عملهما المثمر بعـد التروى والتأنى وقررا ان يكون اساس التمييز بين اشكال الحروف المتشابهة هو وضع النقاط او اهماله وقد وضعت النقاط افرادا وازواجا او ثلاثا لتمييز الاحرف المتشابهة كما حدد عدد النقاط للحـرف



مخطوط قرانى

كوفى مطور مجود معجم كتب فى العراق على الورق البغدادى حسب التحديث الاول والثانى ، النقاط الحمراء للدلالة على حركات الاعراب حسب تحديث ابى الاسود الدؤلى

والنقاط السود للدلالة على اعجام الاحرف كما وضعت في ايام الحجاج بن يوسف الثقفى . يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجرى . وهذه الصفحة جمعت تطور الخط العربي واصالته .

الواحد على الا تزيد فى اقصاها على ثلاث نقاط كما قررا موقع هذه النقاط بالنسبة للحرف فى اعلاه او فى اسفله ، والملاحظ ان حرفين فقط من الاحرف الهجائية بثلاث نقاط هما : ث . ش وثلاث حروف بنقطتين هى : ت . ق [1] ي اما بقية الحروف التى استعملوا فيها الاعجام فاقتصرت على نقطة انتخب موقعها ليتناسب مع سهولة الكتابة وجميعها فوق الحروف ما عدا حرف : ب . ج .

ويتحدث القلقشندى عن مواقع النقاط على الاحرف فيقول : « انه اذا كان الحرف ثلاث نقاط ، فان كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنتين ، وان كانت شينا فبعض الكتاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه سطرا (ىىى) وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة والواقع ان اقدم مخطوط من الرق شاهدته استعملت فيه نقاط الشين فى سطر واحد يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجرى كتب على الرق بخط كوفى جميل وبمداد اسود للكلمات ونقاط الاعجام ومداد احمر لنقاط الاعراب .

ولتفادى الصعوبات التى نتجت عن

(1) فى المغرب العربى (شمال افريقيا) منذ التحديث الثانى فانه يستعمل نقطة واحدة فى اسفل حرف الفاء : (ف) ونقطة واحدة بدلا من نقطتين فى أعلى حرف القاف : (ف) .



صفحة من مخطوط اندلسى نادر كتب على الورق بالخط المغربى المجود وادخل عليه الاعجام والالوان المختلفة للحركات حسب النهج الاندلسى ويرجع تاريخه الى القرن السادس الهجرى ويلاحظ فى هذا المخطوط جودة الخط وكتابة الآيات القرآنية بخط كبير منسق واضح والآيات الكريمات من سورة آل عمران (140—144)

تواجد نقاط عديدة على الكلمات وهي التشكيل للاعراب الذى ادخله ابو الاسود الدؤلى فى التحديث الاول والنقاط الجديدة الخاصة بأعجام الحروف فقد تلافيا هذا الاشكال بجعل نقط الاحرف بنفس المداد المستعمل فى كتابة الحروف وذلك لانهما اعتبرا نقط الحروف جزءا منها كما ابقيا على اللون الاحمر الذى استعمله الدؤلى فى نقط التشكيل وبهذا فقد تميزت النقاط واصبح من الممكن ان يقرأ القرآن قراءة سليمة خالية من التصحيف .

ومع ان النقاط استعملت لفك اعجام الاحرف الا ان العديد من المصاحف المكتوبة على الرق والمتواجدة فى المتاحف الاسلامية والذى يوجد فى محتويات بيت القرآن نماذج منها يرجع تاريخها لما بين القرن الاول والثالث الهجرى اظهرت نوعا آخر من علامات الاعراب مكونا من خط ضعيف مائل للنقطة الواحدة او خطين للنقطتين بدلا من التنقيط المستدير كما هو فى الاعراب ، مثال على ذلك كلمة « تجزي » فقد كتبت هكذا ، تَجِرَى ولابد ان الهدف من استعمال الخط المائل الضعيف بدلا من النقط هو من اجل التعرف والتمييز بين نقاط الاعراب واعجام الحرف .

تمييز كل حرف

احرف اللغة العربية هى 28 حرفا هجائيا بالاضافة الى حرف « لا » وقد كانت بعض الحروف قبل ادخال الاعجام فى التحديث الثانى متشابهة ومتقاربة بالكامل لا يمكن تفرقتها الا عن طريق المعرفة المسبقة للكلمة او الاطلاع القوى الطبيعى على قواعد اللغة العربية الفصحى مع ان النطق بهذه الاحرف يختلف اختلافا كليا ، ومثال ذلك احرف : ب . ت . ث . جميعها كانت تكتب متشابه

هكذا (ب) قبل ادخال التنقيط مع ان اللفظ لكل حرف من هذه الحروف مختلف بالكامل عن الآخر ، ولم تتضح الصورة ويتميز الحرف العربى الا بعد ادخال التحديث الثانى على المصاحف حيث اعطيت لكل حرف متشابه حركة معينة من النقاط المميزة له ، وبذلك اصبح من الممكن لاول مرة فى التاريخ العربى ان يتميز كل حرف بمفرده من ناحية الرسم والشكل والنطق السليم الذى لا لبس فيه ولا تصحيف ، وبهذه الطريقة الصحيحة من الاعجام امكن نطق الاحرف العربية فى الكلمات النطق الصحيح المؤكد بدون لحن أو اعتماد على التخمين اللذين رافقا اللسان الاعجمى فى هذه الفترة التاريخية .

وقد شرح السيد محمد طاهر الكردى[2] طريقة التنقيط بالنسبة للاحرف كما بين الاسباب التى دعت لاستعمال اكثر من نقطة على الحرف ، فيقول : « توضع النقط افرادا وازواجا لتمييز الاحرف المتشابهة فلتمييز الدال من الذال تهمل الاولى وتعجم الثانية بنقطة واحدة علوية وكذلك الراء والزاى والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين وجعلا تمييز السين عن الشين باهمال الاولى كالعادة واعجام الثانية بثلاث نقط لان لها ثلاث اسنان فلو اعجمت بنقطة واحدة لتوهم متوهم ان الجزء الذى تحت النقطة نون والباقى حرفان مثل الباء والتاء تسوهل فى اعجامها » .

«وأما الباء والتاء والثاء والنون والياء فلم تجعل واحدة منهن مهملة كالعادة بل اعجمت كلها لأن الاشتباه يقع فيها من وجهين (اولهما) انه اذا اجتمع ثلاث منها يشتبهن بالسين والشين (وثانيهما) انها ليست زوجية كالدال والذال والعين والغين بل هى خمسة احرف فاذا اهمل احدها فربما توهم انه حرف تسوهل فى اعجامه وحينئذ يكون اطراف الشك اربعة وهى كثيرة (أما) الجيم والحاء والخاء فلم يجتمع فيها الاشتباهان اللذان اجتمعا فى السين ولذلك جعل احدها - الحاء - مهملة واعجم الآخران واحدة من تحت والاخرى من فوق (واما) الفاء والقاف فكان القياس ان تهمل اولاهما وتعجم اخراهما بنقطة كباقى الاحرف الزوجية كالدال والذال والراء والزاى وقد ذهب المشارقة الى نقط الفاء بواحدة من اعلى والقاف باثنتين من اعلى ايضا وذهب المغاربة الى نقط الفاء بواحدة من اسفل والقاف بواحدة من اعلى ومعنى هذا الخلاف ان الناقلين عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر غير متفقين على كيفية اعجام هذين الامامين لهذين الحرفين فذهب المشارقة الى رأى والمغاربة الى آخر وكلاهما لا وجه له لان القياس اهمال الاول واعجام الآخر » .

(2) تاريخ الخط العربى وادابه - السيد محمد طاهر عبدالقادر الكردى - مكتبة الهلال -1939

الأحرف المنقوطة

الأحرف المنقوطة فى الهجاء العربى هي : الباء . التاء . الثاء . الجيم . الخاء . الذال . الزاء . الشين . الضاد . الظاء . الغين . القاف . النون . الياء .

أما الأحرف العاطلة فى الهجاء العربى التى لا تحتاج الى تنقيط لفك أعجامها فهي : الألف . الحاء . الدال . الراء . السين . الصاد . الطاء . العين . الكاف . اللام . الميم . الهاء . الواو .

وقبل التحديث الثانى كانت الأحرف العربية على الطريقة الأبجدية أسوة باللغات السامية التى اشتقت منها اللغة العربية ، الا ان التحديث الجديد الذى أدخل الأعجام على الحروف أعطى مجالا طيبا لأن يغير التسلسل الحرفى عما هو متبع فى الأحرف الأبجدية الى طريقة أكثر منطقية وقابلية للواقع الجديد ، تأخذ بعين الاعتبار التجاور للأحرف المتشابهه فى الرسم والكتابة ، بالاضافة الى التدرج العددى بالنسبة للنقاط المستعملة فى هذه الأحرف ولقد أدخل هذا التعديل على مواقع الأحرف من قبل اللجنة الثنائية التى عينت بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفى لادخال الاعجام على الأحرف والمكونة من نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى ، وبهذا فقد أصبح الترتيب الهجائى للأحرف العربية على النحو التالى :

أ . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ . ف . ق . ك . ل . م . ن . هـ . و . لا . ى .

وهناك بعض الاختلاف بالنسبة لمواقع الأحرف بين المشرق والمغرب العربى فاذا أخذنا التسلسل المشرقى كأساس فاننا نرى ان الاختلاف يبدأ بعد حرف . ز ويستمر بالنسبة لتسلسل الهجاء المغربى على النحو التالى : ط . ظ . ل . م . ن . ص . ض . ع . غ . ف . ق . س . ش . ه . و . لا . ى .

قبول الأعجام :

فى بداية عهد التنقيط للأعجام واجهت هذه المهمة بعض الاعتراض من قبل المسلمين الذين كانوا يكرهون أن يزيد أحد شيئا على مافى مصحف عثمان ولو من أجل الاصلاح وقد توقف العديد منهم عن استعمال هذا التحديث فى كتابة القرآن الكريم الا ان الأمر حزم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى حيث أمر بأن تكتب المصاحف فى العراق باتباع وادخال طريقة الأعجام الجديدة دون الالتفات الى احتجاج المعترضين وبهذا فقد أسدى خدمة جليلة للمحافظة على القرآن الكريم من التصحيف واللحن .

وقد اطلع الخليفة عبد الملك بن مروان على هذا التحديث الجديد الذى قام به الحجاج بن يوسف فاستحسنه وأقره عليه . وأمر الكتاب أن يكتبوا المصحف الشريف بهذه الطريقة فعم الاعجام الدولة الأموية وانتقل من مقر الخلافة الى

المغـرب والأندلس وقبله النـاس بعد أن ألفوه وعرفوا أهميته والهدف من ادخاله على كتابة القرآن الكريم .

التحديث الثالث :

لقد تم التحديث الأول فى عهد معاوية بن أبى سفيان حيث وضع أبـو الأسود الدؤلى منهاج التنقيط بـاستعمال اللون الأحمـر لتنقيـط الكلمـات للدلالة عـلى الأعـراب ، ثم تبعه بعـد ذلك التحديث الثـانى الذى تم فى خـلافـة عبـدالملك بن مروان حيث أدخل نصر بن عـاصم ويحيى بن يعمـر التنقيـط بنـفس لون الكتـابة ليعجم أحـرف اللغة العـربيـة ويميـزها عن بعضهـا الآخر وقـد شاع استعمـال هـذه الطريقـة ذات النقـاط الحمراء للدلالة على الأعـراب والسوداء للدلالة عـلى رسم الحـرف فى كتـابـة المصـاحف الكريمـة فى العهـد الأمـوى واستمرت بدون صعوبة أو مشقة تذكر الى أن جاء العصر العباسى وبدأت تكتب المصاحف الكريمة بلون واحد من المداد هو اللون الأسود الذى استعمل لكتابـة كلمات الآيات وللتنقيط المرتبط بالأعراب والأعجام .

وقد شكلت هذه الطريقة الجديدة فى الكتابة صعوبة رئيسية لم تكن معروفة من قبل وهى التمييز بين نقاط الأعراب والأعجام كما ان هـذه الطريقة أدخلت بعض اللبس فى القراءة الصحيحة للقرآن وبهذا فانه كان لابد من ادخال اصلاح آخر جديد يأخذ بعين الاعتبار متطلبات العصر العباسى وهى الكتابـة بمداد ذى لون واحد ويمكن قراءتها معجمة بدون تصحيف ، ومن هـذا المنـطلق فقـد تم ابدال نقاط الأعراب ذات اللون الأحمر التى وضعها أبو الأسود الدؤلى بطريقة مثلى أكثر مـلاءمة للاصـلاح المطلوب . وهذا التعديل هو التحديث الثالث للكتابة



مخـطوط قـرآنى
كريم كتب بخط النسخ واستعملت فيه الزخرفة والتحلية الجمالية فى مواقع عديدة من صفحات القرآن والصـورة تبين سـورة الاسـراء (جزء15) ويلاحـظ فيها تنـاسق الالوان والزخـرفـة الجمـاليـة المختلفـة والمكونـة من الزهـور الصغيرة المتناثرة لتعطى روعـة وجمالا على المخطوط . نسخ هذا القرآن فى ايران فى القـرن العاشر الهجرى

العربية المعجمة .

لقد تم التحديث الثالث فى العهد العباسى فى خلافة أمير المؤمنين المهدى ، محمد بن عبدالله المنصور ، الخليفة العباسى الثالث ، على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة 170 هجرية ، ولقد كان الفراهيدى من أوسع الناس علما واطلاعا باللغة العربية فى عصره فتمكن من ادخال التحديث الجديد عن علم ودراية وخبرة ولقد كان منطلقه هو تغيير طريقة النقاط التى أدخلها أبو الأسود الدؤلى تغيرا كاملا بادخال أشكال وعلامات ورموز جديدة تغنى اللغة العربية وتفك الأعجام النحوى بالكامل وفى نفس الوقت تكتب بنفس مداد الخط المستعمل وهى سهلة الشكل ولا ترتبط بصعوبة أو مشقة تذكر ، واستمرت فى الاستعمال الى وقتنا الحاضر عبر أربعة عشر قرنا فى الزمان .

لقد أدخل الخليل الفراهيدى ثمانى علامات جديدة على أعراب اللغة العربية بدلا من التنقيط وهى : الفتحة (ثَ) . الكسرة (ثِ) . والضمة (ثُ) . السكون (ثْ) . والشدة (ثّ) . المدة (آ) . وعلامة الصلة (أُ) .

أما اذا كان الحرف المعجم منونا كررت العلامة فكتبت مرتين فوق الحرف أو تحته أو أمامه : فتحتان (ثً) . كسرتان (ثٍ) . ضمتان (ثٌ) أو (ثُ) .

وقد اشتقت هذه العلامات والرموز الجديدة من بعض الأحرف الهجائية العربية فالفتحة والكسرة هى خط مائل فوق أو تحت الحرف أما الضم فيرمز اليه برأس واو . والشدة مأخوذة من لفظ (تشديد) من حرف الشين بدون نقط . ويرمز للسكون برأس الخاء بدون نقطة وهى مأخوذة من لفظ (تخفيف) وبدائرة ، ويرمز لهمزة القطع برأس العين وهى مأخوذة من لفظ (قطع) ، ويرمز لهمزة الوصل برأس الصاد وهى مأخوذة من لفظ (وصل) .

هذه الطريقة الجديدة استعملت بتوسع فى المشرق العربى بعد أن شاع استعمالها فى الكتب والمخطوطات الا ان المغاربة والأندلسيين لم يتقبلوها بسهولة فى بادىء الأمر ولكن بمرور الزمن أصبحت مقبولة مستعملة ثم انتشرت فيما بعد الى جميع المناطق والأمصار الاسلامية التى تستعمل اللغة العربية فى الكتابة .

تجزئة القرآن الكريم

كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة خالية من الاعجام ولم تدخل التجزئة على القرآن الا فى وقت متأخر فى القرن الثانى الهجرى ، وقد تفنن الناسخون للقرآن الكريم بتجزئة المصحف الى عدة اجزاء مختلفة منها تقسيم القرآن الى ثلاثين قسما كل قسم منه اطلق عليه اسم (الجزء)، وقسم الجزء ، الى حزبين او اربعة احزاب سمى كل واحد من هذه الاحزاب الاربعة :



مخطوط
قرآني كريم كتب بخط النسخ واستعمل في صفحاته الزخرفة والتذهيب باروع انواعها كما استعملت الالوان الزاهية المختلفة والاشكال الهندسية مع الزهور الصغيرة الهادئة لتكون في مجموعها تناسقا متكاملا يعطى الزخرفة الجمالية اصالة وجمالا ورونقا بديعا وهذا المخطوط كتب في تركيا في حوالى القرن العاشر الهجرى .

ربعا ، كما وضعوا كلمة (خمسة) عند نهاية كل خمس آيات وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات .

ان القصد من تجزئة القرآن الى اجزاء واحزاب هو من اجل التسهيل والتيسير في قراءة القرآن وقد استمرت تجزئة القرآن الى ثلاثين جزءا ليسرها وارتباطها بعدد ايام الشهر حيث يسهل على القارىء ختم القرآن في فترة زمنية معلومة وخاصة في ايام شهر رمضان المبارك .

وتذكر المراجع ان اول من جزأ القرآن هو الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة **95**هجرية وقد كان مواظبا على قراءة القرآن وقيل انه كان يقرأ القرآن كله في كل ليلة ، اى انه كان يختم القرآن كل ليلة ، ويروى ابوبكر بن ابى داود فيقول : « جمع الحجاج بن يوسف الحفاظ والقراء وكنت منهم

فقال الحجاج : اخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف .

قال ابوبكر : فجعلنا نحسب حتى اجمعوا ان القرآن ثلاثمائة الف حرف وأربعين الفا وسبعمائة ونيف واربعين حرفا

قال الحجاج : فأخبروني الى اى حرف ينتهى نصف القرآن ، فحسبوا فأجمعوا انه ينتهى في الكهف (وليتلطف) في الفاء - الآية19

قال الحجاج : فأخبروني بأسباعه على الحروف .

قال ابوبكر : فاذا اول سبع في النساء (فمنهم من آمن به ومنهم من صد) في الدال - الآية55 ، والسبع الثاني في الاعراف (اولئك حبطت) في التاء - الآية147 ، والسبع الثالث في الرعد (اكلها دائم) في الالف آخر (اكلها) - الآية35 ، والسبع الرابع في الحج (لكل

امه جعلنا منسكا) فى الالف الآية34 ، والسبع الخامس فى الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) فى الهاء ـ الآية36 ، والسبع السادس فى الفتح (الظانين بالله ظن السوء) فى الواو ـ الآية6 ، والسابع ما بقى من القرآن .

قال الحجاج : فأخبرونى بأثلاثه .

قالوا : الثلث الاول رأس مائة فى براءه ، والثلث الثانى رأس احدى ومائة آية من طسم الشعراء ، والثلث الثالث ما بقى من القرآن .

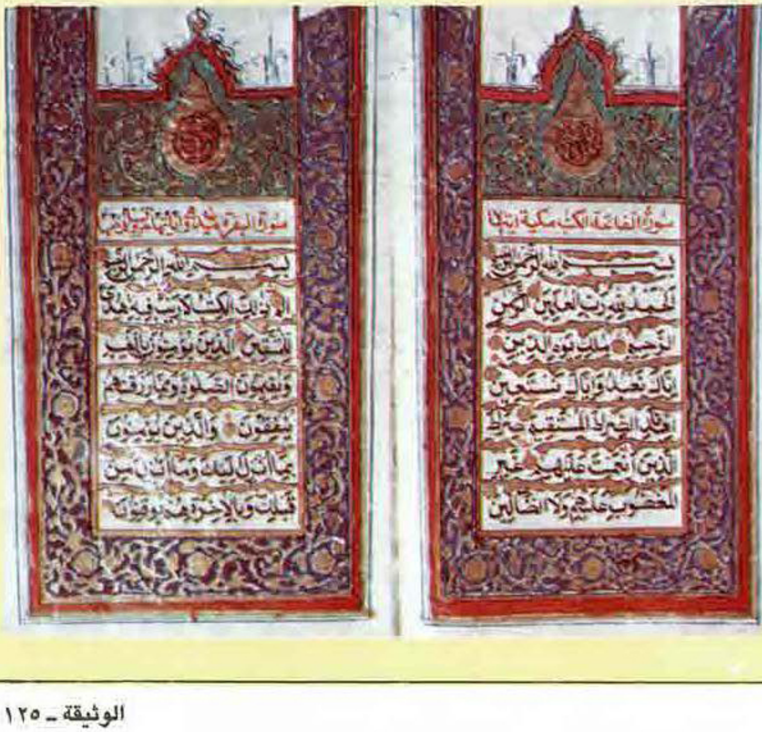
ثم سألهم الحجاج عن ارباعه ،

فاذا اول ربع خاتمة سورة الانعام ، والربع الثانى الكهف (وليتلطف)، والربع الثالث خاتمة الزمر ، والربع الرابع ما بقى من القرآن .

ورواية ابوبكر بن ابى داود ترينا ، كيف جزأ الحجاج بن يوسف القرآن الكريم بالنسبة للاحرف اعتمادا على القراء والحفاظ للقرآن الكريم فى تلك الفترة التاريخية ، ومن هنا يتبين لنا ان الحجاج قد جزأ القرآن الى : النصف ثم الى السبع وذلك ارتباطا بعدد ايام الاسبوع ، ثم الى الثلث ثم الى الربع ، ولا بد ان هدف الحجاج من هذه التجزئة هو ايجاد الطريقة السهلة الميسرة المرتبطة بأيام الشهر والاسبوع لقراءة القرآن الكريم على مراحل تساعد المسلم ليتبصر فى دينه من خلال قراءة قرآنه حسبما يتيسر له من الوقت فالدين الاسلامى ربط بين الدين والدنيا .

الزخرفة الجمالية فى المصاحف

لقد كانت مصاحف عثمان عادية بسيطة لم تدخل عليها الصنعة المجودة



مخطوط كريم استعملت فيه الزخرفة الذهبية مع الالوان المتناسقة كتب بخط النسخ فى الهند فى العهد المغولى يرجع تاريخه الى القرن الحادى عشر الهجرى

ولا الفن المطور وانما كتبت بخط اسود بدون اى نوع من الالوان او الزخرفة او الاعجام واستعمل الخط المدنى البسيط المجود فى كتابتها على صفحات من الرق المصقول وكتبت الآيات الكريمة على الوجهين من الصفحة كما تركت الحواشى الفراغية فى اطراف الصفحة خالية كما ان بعض الكلمات القرآنية فى آخر السطر لم تكتب بالكامل وانما قسمت وقطعت بين سطرين لملء فراغ السطر الاول وتكملة الكلمة فى بداية السطر الثانى كما كانت العادة المتبعة فى تلك الفترة عند الكتابة .

لقد كانت المصاحف فى القرن الاول الهجرى بسيطة كتبت بأنواع عديدة من الخط الكوفى واستعمل فى كتابتها اللون الاسود ثم ادخلت عليها نقاط الاعجام بالالوان المختلفة منها اللون الاحمر والاصفر والاخضر ، وقد كانت الزخرفة الجمالية محدودة فى المصاحف العادية المتداولة الا انها قد عرفت واستعملت فى القرن الاول الهجرى ويمكن تقسيم هذا النوع من الزخرفة الجمالية فى هذه المصاحف على النحو التالى :

- استعملت الدوائر او المربعات الصغيرة بزخارف جمالية منوعة وبألوان مختلفة للفصل بين الآيات .
- استعملت المستطيلات الزخرفية البسيطة بالالوان والتذاهيب فى بداية السور .
- ادخلت بعض الدوائر الصغيرة المكررة او المستطيلات المحلاة فى اخر سطر من السورة لملء الفراغ بين آخر كلمة فى السطر والهامش قبل بدء السورة الجديدة .
- ادخلت بعض الاشكال الهندسية البسيطة فى حواشى الهامش لبعض المصاحف المرتبطة بهذه الفترة .

وفى العصر العباسى بدأت الزخرفة الجمالية تظهر فى المصاحف بشكل رئيسى وبدأت تزين الصفحات الاولى والاخيرة بأنواع مختلفة من الالوان الزاهية الجميلة كما ادخلت التحلية الذهبية وظهرت الزخارف احيانا فى الهامش على شكل دوائر او اشتركت مع النصوص الكتابية وكانت صفحات المصحف تحفظ بين الواح مزينة ومذهبة باشكال هندسية جميلة ومطعمة بالعاج ، ثم ادخل فيما بعد التجليد المذهب المضغوط (1) وقد جودت هذه المصاحف بالزخرفة الجميلة المتطورة بالنسبة لمواقف الآيات ، وفواتح السور وأدخلت الزخرفة الجمالية أيضا على أطراف الكتابة فى الحواشي .

لقد بلغ فن الزخرفة الجمالية فى المصاحف اعلى مستوى يمكن أن يصل اليه أى نوع من الفن المجود وخاصة فى العهود الاسلامية المزدهرة كما أن هذا الفن الزخرفى لم يرتبط بمنطقة معينة وانما شارك فيه جميع المسلمين فى

(1) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه - الاستاذ محمد طاهر عبدالقادر الكردى مكتبة ومطبعة مصطفى البابى - مصر -1953

اقطارهم المختلفة من الأندلس الى الهند وفى كل فترة من فترات التاريخ كان الانتاج غزيرا ، ومن العناصر الأساسية فى الزخرفة الاسلامية استعمال الوحدات الهندسية المكونة من الدوائر المتماسة والمتجاورة والخطوط المتكسرة والمتشابكة بالاضافة الى الأشكال الهندسية المكونة من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات الأضلاع ، كما استعملت النجوم المختلفة والأشكال والزخارف النباتية ، وقد تميزت هذه الفنون الجمالية التى استعملت فى زخرفة القرآن بأنها وحدة متكاملة مترابطة ذات طابع معين ولكنها فى نفس الوقت يمكن أن تكون وحدة منفصلة تعطى نفس الجمال والانطباع بمفردها أو بمجموعاتها المتكررة .

ومع ذلك فان ما وصل الينا من المصاحف المميزة والمخطوطات النادرة يعد القليل جدا بالنسبة لما ضاع من هذه الثروة الفنية والعلمية الرائعة خلال نكبتين من نكبات التاريخ اولاهما دخول التتار دار السلام واحراق واتلاف أعظم المكتبات فى التاريخ والقاء كتبها فى نهر دجلة ، وثانيتهما : ضياع الأندلس ومحاكم التفتيش التى احرقت واعدمت اعظم واجمل ثروة تاريخية عرفت فى التاريخ ، وقد ضاع الكثير من ثروة المخطوطات الاسلامية فى البحر الأبيض المتوسط عند نقلها من اسبانيا الى المغرب بعد ضياع الأندلس فقد كانت السفن المحملة بالمخطوطات تغرق فى البحر عمدا بما فيها من مخطوطات ارتبطت بالحضارة الانسانية لا تقدر بثمن .

بعد هذا الضياع للحضارة الانسانية فقد تمكن المسلمون من المحافظة على تراث اسلامى عريق مرتبط بحكم المماليك حيث تعتبر المصاحف المملوكية المكتوبة بخط النسخ من أجمل واندر المصاحف وتمتاز بضخامة احجامها وخطها الكبير الواضح كما أن زخرفتها الفنية والهندسية ذات الوحدات النباتية أو الأشكال الهندسية تكون فى العادة ملونة بالألوان الزرقاء المنسجمة مع الألوان الأخرى المستعملة المموهة بالذهب بعض هذه المصاحف تكتب بأكملها بماء الذهب ، كما أن بعض المصاحف المملوكية الأخرى تتكون صفحاتها من أسطر مختلفة الألوان فقد تبدأ الصفحة بسطر كتب باللون الأزرق يليه سطر كتب بماء الذهب ثم يلى هذا سطر آخر كتب باللون الأحمر ، وتكرر العملية الثلاثية من الأسطر الى أن تنتهى الصفحة ، كما أن المماليك ادخلوا المقاسات المختلفة للخط فى الصفحة الواحدة ، فقد تبدأ الصفحة وتنتهى بخط كبير جدا ثم تكتب بقية اسطر الصفحة بالخط المعتاد فى كتابة المصاحف ، وقد ادخلوا الخط الكبير كذلك في ثلاثة مواقع من الصفحة القرآنية التى ادخل عليها هذا النوع من الخط المختلف المقاس والحجم .

لقد كتبت المصاحف بخطوط عديدة مختلفة كما أن احجام المصاحف المخطوطة تراوحت احجامها من

مصاحف صغيرة مثمنة الاضلاع لا تتعدى المليمترات الى مصاحف كبيرة الحجم والخط وقد يزيد مقاسها عن المتر والربع فى الطول ، كما ان بعض المصاحف كتبت على شكل ورق طويل ملفوف مقاسه فى العرض 10 سنتميترات وفى الطول أكثر من 250 سنتيمترا ويلف هذا المصحف فى شكل دائرى ويحفظ فى اسطوانة من الفضة وقد استعمل هذا النوع من المصحف السلاطين العثمانيون والسلاطين المغول فى الهند وكانوا يحملونه معهم فى جيوبهم أو يعلقونه على الصدر .

وهناك العديد من المصاحف الجميلة النادرة موجودة فى البحرين لبيت القرآن وهذه المصاحف المخطوطة هى مجموعة نادرة قيمة وتعتبر من الثروات الاسلامية فهى تحتوى على صفحات من المصحف الكريم يرجع تاريخها الى القرن الأول الهجرى كما ان هذه المجموعة تضم مصاحف عديدة يرجع تاريخها الى الفترات الاسلامية المختلفة جمعت منذ فترة لتكون النواة الأولى لمشروع بيت القرآن [1]



هذا المخطوط القرآنى
استعملت فيه الزخرفة البدائية البسيطة والالوان النباتية والطينية والصفحة تبين فاتحة الكتاب وبداية سورة البقرة ، استعمل الخط المغربى الجميل فى كتابة القرآن كما ان هذا المصحف لم يجلد بالمعنى المعروف وانما حفظت الاوراق منفردة بين قطعتين من الورق المقوى (راجع المقال) وقد نسخ هذا القرآن فى المغرب حوالى القرن الحادى عشر الهجرى .

كيف كانت تكتب المصاحف :

تكتب المصاحف من أجل قراءتها وقد كانت توضع فى المساجد وقفا على المسلمين لأن المسجد كان القلب النابض

(1) بيت القرآن مشروع رائد بفكرته الحضارية المتقدمة فهو مركز للقرآن الكريم وقاعدة للبحث والدراسة يجمع بين الدين والحضارة والثقافة ويخدم المعرفة الانسانية ، مكون من خمسة عناصر هى : المسجد للصلاة والوعظ ، مكتبة اسلامية جامعة لأربعين ألف مجلد ، متحف يتكون من خمس قاعات للعرض مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، قاعة للمحاضرات ستقام فيه معارض دورية للقرآن الكريم من متاحف العالم المختلفة وستكون الأولى من نوعها فى هذا التخصص الاسلامى وهو هدية العالم الاسلامى التذكارية للقرن الخامس عشر الهجرى يشيد فى موقع متميز من دولة البحرين قريب من المنطقة الدبلوماسية .

للمجتمع المسلم وبتواجد القرآن فيه أصبح مصدر اشعاع ومدرسة علم ومختزنا دائما لتجديد طاقات الأمة الروحية ، فالعلاقة بين حياة المسلمين والمسجد علاقة متصلة لا ينفصل فيها دين عن دنيا ولا يختلف ايمان عن عمل وهنا كانت القوة الحقيقية فى صياغة النفوس وفى خلق المجتمعات وقد اهتم المسلمون بكتابة القرآن ويسروه ليكون على مقربة من الناس فى المسجد الجامع لأمور الدنيا والآخرة . وفى المسجد أيضا يوجد القرآن الرسمى الموثق الذى تنسخ عليه المصاحف الأخرى المتداولة والمستعملة فى تلك المنطقة أو الامارة الاسلامية .

ولقد تحدث أبو بكر عبد الله السجستانى المتوفى سنة 316 هجرية فى كتاب « المصاحف » عن أبى حكيمة العبدى قال : كنت أكتب المصاحف بالكوفة فيمر علينا على رضى الله عنه فيقوم فينظر فيعجبه خطنا ويقول ؛ « هكذا نوروا مانور الله » كما تحدث عن مالك بن دينار قال : « دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب مصحفا ، فقلت له كيف ترى صنعتى هذه ياأبا الشعثاء ؟ فقال نعم الصنعة صنعتك ، ماأحسن هذا ، تنقل كتاب الله من ورقة الى ورقة وآية الى آية وكلمة الى كلمة ، هذا الحلال



مصحف
صغير الحجم استعملت فيه الزخرفة الجمالية المذهبة فى تناسق رائع نسخ فى مصر فى القرن الحادى عشر الهجرى بخط النسخ الناعم .

لا بـأس به » وهنـاك حديث آخـر نقله السجستـانى فى باب أخـذ الأجرة عـلى كتابه المصاحف فقال : « حـدثنا عيسى بن حنيفة قال : كان مالك بن دينار يكتب المصاحف ولا يشارط ، يكتب المصحف فى بيته فاذا أتى بأجره أخذ مايعلم انه أجرته ويرد ما سوى ذلك »

ومن هذه الأحاديث الثلاثة التى رواها السجستـانى يمكن للمرء أن يستخلص خمسة أمور على النحو التالى :

- ان المصاحف كانت تكتب فى الكوفة فى خلافة الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

- ان الخليفة على بن أبى طالب كان يعلم بـذلك ويشـارك فى التـوجيـه والتـدقيق والاستحسان .

- ان نسخ القرآن كان يتم بعناية فائقة دقيقة جدا « تنقل كتاب الله من ورقة الى ورقة وآية الى آية وكلمة الى كلمة » .

- ان نسخ المصاحف وكتابتها عمل طيب مستحب حلال « نعم الصنعة صنعتك ، ما أحسن هذا » .

- ان كـاتب القرآن لا يشـارط فى أجرة كتابه القرآن فما أعطى من شىء قبله .

وقد « روى عن على بن زيد العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان يقول كـانت المصاحف لا تباع انما يأتى الرجل بورقة عند المنبر فيقوم الرجل المحتسب فيكتب له من أول البـقـرة ثم يـجىء غـيـره حتـى يتـم المصحف[1] هذه الرواية عن كيف كـان يكتب المصحف تدل على الروح التعاونية الاسلامية وفى نفس الوقت تؤكد أهمية الدور الذى كان المسلمون يتسابقون فيه من أجل كتابة المصحف بدون أجر مادى وبـطريقـة سهلة ميسـرة تفيـد المسلم العادى وتنفعه .

واستمر الحال على نسخ المصاحف فى المسجـد نقلا عن المصـاحف الرسميـة الموثقة ، وكان الشخص ينسخ القـرآن لنفسه من المصحف الموثق أو يستـأجر من ينـسخـه له الى ان كـثـر الكتـاب والنـاسخون ممـا ساعـد عـلى تـطوير الدواوين المرتبطة بكل ما يتعلق بالقرآن الكـريم من نسـخ وتصحيـح وتحليـة وتذهيب وتجليد وتقـع هذه الدواوين فى العادة على مقربة من الجـامع الرسمى للامارة أو المنطقة ، ومثال على ذلك فقد كانت منطقـة الجامـع الأموى بـدمشق مـركزا رئيسيـا لصناعـة كتابـة القرآن الكريم وكان الناس يستفدون نسخا من القرآن الكريم تكـون فى العادة منتهيـة وبارزة للاستفداء من هذه الدواوين التى تخصصت وتفننت فى صنـاعة وكتـابـة

(1) تتحدث المراجع العربية المختلفة عن وجود أكثر من ثمانية مصاحف تنسب الى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، من هذه المصاحف ما هو موجود في طوب قبـو ، وفي الروضة الحيدرية وفي المشهد الحسيني ، وفي متحف طهران .



بداية قرآن مخطوط نسخ فى البحرين حوالى 1180 هجرية وقد ظهرت الزخرفة البدائية بالوانها النباتية الثلاثة : الاصفر والاحمر والازرق ، كما استعملت الاشكال الهندسية البسيطة ويلاحظ انه تركت فراغات كبيرة بدون زخرفة جمالية .

المصحف الكريم أو انهم قد يطلبون نوعا معينا من الخط والكتابة والزخرفة لمصحف يكون خاصا بهم حسب طلبهم ومواصفاتهم وعند ذلك فان هذه الدواوين تعد للطالب مايريده من النوعية والجودة والخط والزخرفة المطلوبة حسب مقدرته المادية والفترة الزمنية التى يمكن انتظارها للفراغ من كتابه المصحف المطلوب .

ولقد ظهر فن رفيع متخصص فى كتابة واخراج المصحف وتجليده بدأ فى العصر العباسى واستمر الى العهد العثمانى الى أن ظهرت المطابع والآلة فغيرت الوضع وبدأ هذا الفن يتقهقر رويدا الى أن اندثر اليوم أو كاد ، ويشترك فى اخراج المصحف الواحد مجموعة من الصناع الفنيين ذوى الخبرة والكفاءة والمقدرة ، الذين توارثوا هذا الفن أبا عن جد ، وتبدأ الخطوة الأولى باعداد الورق وترتيبه وصفه وادخال الأسطر عليه باستعمال خيوط ضعيفة ممدودة متساوية الأبعاد لتضبط المقاس بين السطر والآخر وذلك بدلا من استعمال السطر المحبر لضبط الكتابة ، ثم يبدأ الخطاط بكتابة القرآن بالخط المطلوب وبعد الانتهاء من الكتابة والتأكد من صحتها بعد المراجعة ،يبدأ الفنان بادخال الزخرفة الجمالية بأنواعها المختلفة بما فيها التذهيب والأشكال الهندسية وفواصل الآيات ومواقف

القراءة وعلامات الأجزاء والأحزاب ، وبداية السور ، ثم يجمع المصحف بعد أن يكتمل الخط والزخرفة ويحول الى التجليد حيث يتأكد من الجمع والتسلسل للآيات والصفحات وبعد ذلك تبدأ عملية التجليد التى هى فى الواقع فن رفيع وقد تستغرق عملية كتابة القرآن أكثر من سنة ويشتغل فيها مجموعة من الصناع المهرة ، ومع ذلك فهناك العديد من المصاحف كتبت وزخرفت وجلدت من قبل شخص واحد وفى فترة زمنية قياسية .

منذ ادخال فن التذهيب والزخرفة الجمالية فان الصفحتين الأولى والثانية كانتا دائما مركز الصدارة ، وأعطيتا الكثير من الوقت والفن لاخراجهما بأجمل ثوب ممكن وهما دائما أجمل ما فى المصحف من زخرفة وفن وجمال ، يأتى بعد ذلك بداية السور التى تكون فى العادة مستطيلا محلى بأشكال هندسية رائعة ويترك فراغ فى وسط هذا المستطيل ليكتب فيه اسم السورة بخط قد يكون مختلفا عن خط الكتابة المستعملة فى المصحف ، وفى حالات عديدة من المصاحف ترى آخر الصفحات محلاة ومذهبة ومزينة بالألوان والأشكال الهندسية كما ان هناك بعض المصاحف وخاصة الهندية والفارسية منها تدخل الزخرفة الجمالية على الصفحتين اللتين تحتويان على بداية سورة الاسراء ، كما ان بعض المصاحف تحتوى على صفحات زخرفية جمالية فى بداية القرآن . والربع الأول ، والنصف ، والربع الثالث ، وآخر المصحف ، كما ان الزخرفة الجمالية مرتبطة فى بعض المصاحف بالأجزاء الثلاثين فكل جزء من هذه الأجزاء محلى بأجمل أنواع الزخرفة فى حواشى الأجزاء الثلاثين .

والفنان المسلم أعطى كل ما لديه من فن رفيع لصناعة المصاحف وتطويرها ولهذا فان المتاحف ودور الكتب الاسلامية غنية بأجمل وأندر وأجود المصاحف التى تعبر عن روعة الفن الزخرفى فى أجمل حلله ، وقد بقيت هذه المصاحف قرونا عديدة بزخرفتها وجمالها ورونقها لم تتأثر بالزمن . وما حفظ فى المتاحف الأجنبية تحت السيطرة التامة للرطوبة والحرارة يشهد على ذلك الفن الزخرفى الرفيع .

المصاحف هدية المساجد :

كان الخلفاء والسلاطين والعظماء يبنون المساجد تقربا الى الله عز وجل وكان المسجد هو الهدف الأسمى الذى يريد كل انسان مسلم أن يرتبط اسمه به ، واقتداء بالخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما أرسل المصاحف الى الأمصار لتوضع فى المساجد ليقرأ على الناس منها ولتكون المرجع الرسمى الموثق لجميع المصاحف فى تلك البلاد ، فقد سن الخليفة عثمان فى الاسلام سنة حسنة اتبعها المسلمون بعد ذلك وهى عندما ينتهى البناء من أى مسجد جديد يكتب لهذا المسجد مصحف خاص به موثق ومرتبط باحدى القراءات المعروفة ويوضع عند المحراب ويبقى وقفا على

المسجد يقرأ فيه يوميا ويكون المرجع الرسمى للمراجعة والنسخ منه .

وكما نبغ المعماريون المسلمون فى بناء المساجد فقد تفنن الخطاطون فى كتابة المصاحف للمساجد لتكون قمة فى الجمال والزخرفة والخط وقد كانت عملية كتابة هذه المصاحف تستغرق مدة تزيد على السنة ، كما ان هذه المصاحف تكون فى العادة من الحجم الكبير ، والواقع ان العديد من المصاحف الموجودة فى المتاحف فى أنحاء العالم كانت قد كتبت وقفا للمساجد ، وبالاضافة الى المصحف الرسمى الكبير فان هناك العديد من المصاحف التى تقدم وقفا لوجه الله فى يوم افتتاح المسجد وخاصة اذا كان المسجد مقاما من قبل السلطان أو الخليفة فان القواد والوزراء والأعيان يشاركون فى تقديم المصاحف الشريفة هدية للمسجد وتقربا الى الله عز وجل .

ولقد اشتهر المماليك فى مصر بتجويد المصاحف الخاصة بالمساجد التى شيدت فى عصرهم فقد كانت تصرف الأموال لهذا الغرض السامى وكان السلاطين يقربون كاتب القرآن ويعظمونه ويغدقون

آخر صفحة من مخطوط قرآنى نسخ فى البحرين على يد افقر العباد واحوجهم الى رب العباد الحقير المسكين جمعة بن عيد بن ردهان المالكى مذهبا فى شهر ذى الحجة سنة 1215 هجرية.



عليه النعم والعطاء وكان هذا هو أكبر مشجع وأعظم دافع للانقطاع لكتابة القرآن واخراجه فى أحسن حلة وأجمل زخرفة ممكنة ولهذا فاننا نجد ان المصاحف المملوكية كانت دائما ذات رونق وجمال يفوق العديد من العصور الاسلامية ، والمصاحف المملوكية التى كتبت للمساجد أما أن تكون فى مصحف واحد كبير بخط النسخ المملوكى مقاسها يكون فى العادة حوالى 50x75 سم مكونة مما يزيد على 350 صفحة أو أن تكون فى مجلدين بنفس المقاس المذكور كما انه قد يكتب المصحف من ثلاثين جزءا كل جزء مجلد على حدة ويبدأ كل جزء من القرآن بصفحات مزخرفة غاية من الروعة والجمال تتكون عناصرها من الزخرفة الذهبية المرتبطة باللون الأبيض والأزرق والأحمر والأشكال الهندسية البديعة .

ولقد استمرت هذه السنة الحسنة فى تقديم المصاحف الكريمة وقفا على المساجد ابتداء من تاريخ افتتاحها ، ولكن اختلف الوضع الى حد ما ، فبدلا من أن تكون المصاحف مخطوطة مزخرفة غاية من الجمال والروعة أصبحت هذه المصاحف التى تقدم وقفا على المساجد ، مصاحف مطبوعة ، عادية الصنعة والجودة ، خالية من الزخرفة والجمال ، وبخط بسيط عادى غير مجود ، هذه المصاحف تكون فى العادة مستوردة الى منطقة الخليج من الهند مع انه توجد أحدث المطابع العربية فى دول مجلس التعاون التى يمكن الاستفادة منها لطباعة المصحف الكريم ، ولقد تميزت هذه الفترة التاريخية فى منطقة الخليج ببناء وتجديد العديد من بيوت الله والمآذن ترتفع فى كل عاصمة ومدينة خليجية ، فياحبذا ونحن نبنى المساجد الجديدة أن نقتدى بالسنة الحسنة التى سنها المسلمون الأوائل فنكتب مصحفا خاصا تذكاريا بكل مسجد ليكون خير شاهد على هذه النهضة الحضارية التى نمر بها وفى نفس الوقت نسجل أصول الابداع الفنى المرتبط بهذه الفترة التاريخية .

مشاهير كتاب المصاحف

كتابة القرآن شرف عظيم لكل مسلم لا يناله الا من اعطى الخط الحسن الجميل ، وقد كتب القرآن الكريم العظماء والسلاطين والقادة والوزراء وكبار الشخصيات بالاضافة الى العلماء والحكماء والقضاة ورجال الدين وقد شاركت المرأة كذلك فى كتابة القرآن عبر التاريخ الاسلامى ولها مخطوطات قرآنية معروفة ، كما اشتهرت العديد منهن بكتابة المصحف الشريف ، ولم تقتصر كتابة القرآن على كبار الشخصيات والخطاطين وانما كتب القرآن من قبل جمع كبير من الناس على مختلف مستوياتهم العلمية والمعيشية وما اعظم الاجر والثواب لكاتب القرآن الكريم وقدره عند الله عندما يكتب المصحف

لنفسه وينقله معه من مكان الى اخر عبر الصحراء ماشيا ، او راكبا البعير فى ترحاله ، وقد رأينا العديد من هذا النوع ، من المصاحف مكتوبا بالخط المغربى البدائى البسيط ينتقل عبر الصحراء المغربية من نيجيريا والنيجر ومالى الى المغرب العربى بأسره وبالعكس .

تحدثنا كتب التاريخ ان الخليفة علي بن ابى طالب رضى الله عنه هو اول من كتب القرآن الكريم فى مصحف واحد مباشرة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقد آلى على نفسه الا يرتدى برداء للصلاة حتى يجمع القرآن فى مصحف واحد ، حتى جمعه ، وحمل ما جمعه على ظهر ناقته وجاء به الى الصحابة ، والامام علي بن ابى طالب رضى الله عنه من كتاب الوحى وكان يكتب العهود والمواثيق الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو الامام والقائد والمعلم فى الدين واداب اللغة العربية وقواعدها وقد ادخل التجويد والتحسين على الخط المدنى الذى كان يستعمله فى الكتابة . ثم عاصر الخط الكوفي الذي ارتبط بالكوفة مقر خلافته .. وهناك العديد من المصاحف منتشرة في المتاحف والمكتبات الاسلامية مكتوبة بالخط الكوفي الجميل المطور منسوبة اليه .

الخليفة علي بن ابى طالب رضى الله عنه هو سيد زمانه فى العلوم الخطية واللغة العربية ولهذا فان كتابته للقرآن الكريم لابد وان تكون على احسن وجه واجمل خط معروف ، ولابد انه رضى الله عنه قد استعمل الخط الكوفي المجود والمطور المعروف فى زمانه ولكن بدون اعجام للاعراب او الحروف ، لقد كان رضى الله عنه يمر بالكوفة بالذين يكتبون المصاحف فيوجههم ويوصيهم وقد روي السجستانى فى كتاب المصاحف فى رواية اخرى عن «عبدالله بن سليمان العبدي عن ابى حكيمة قال : كان علي عليه السلام يمر علينا ونحن بالكوفة نكتب المصاحف فيقوم فينظر الينا ويعجبه خطنا ، فقال (لي) : اجل قلمك (اى اجعله جليا واضحا) ، فقططت القلم فقال : «هكذا نوروا ما نور الله» .

ويتحدث محمد طاهر الكردي عن كتابة المصاحف فيقول : «اشتهر خالد بن الهياج بكتابة المصاحف وهو اول من اجاد كتابتها وكان منقطعا للكتابة للوليد بن عبدالملك يكتب له المصاحف واخبار العرب واشعارهم وهو الذى كتب بالذهب على محراب مسجد النبى عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة سورة الشمس وضحاها وما بعدها من السور الى اخر القرآن الكريم واشتهر بعده باجادة كتابة المصاحف مالك بن دينار من كبار الزاهدين المتوفي سنة 131 هجرية لم تكن له حرفة يعيش بها غير كتابة المصاحف واشتهر بعده الرشيد البصري ومهدي الكوفى ، وفى زمن المعتصم ابو حدى الكوفي ، واشتهر بعدهم جماعة فى عصر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست وشراشير المصري ، وابومحمد

الاصفهانى وابوحـديد وابـوعقيل وابـو الفرج ، وابن مجالد ، وابن ابى فاطمة ، وابن الحضـرمي ، والمسحـور ، وابن حسن المليح ، وابن ام شيبان . وفى اوائل الدولة العباسية اشتهر رجلان من اهل الشـام بجودة الخـط ، واليهمـا انتهت الرياسة فى ذلك العصر ، وهما الضحاك بن عجـلان وكـان فى خـلافـة السفـاح واسحق بن حماد وكان فى خلافة المنصور والمهدى وفى عهدهمـا بلغ عدد الاقـلام العربية اثنى عشر قلما كان لكل قلم عمل خاص» .

ابن مقلة

لقد كان العهد العباسى عهد النهضة والعلوم ولقـد شاركت عـدة شخصيات اسلامية فى تطوير الخط العربى والفنون المرتبطة بكتابة المصحف الشريف ، ومن ابرز هذه الشخصيات الاسلامية رجل ذو شخصية سياسيـة فذة ، شغـوف بعلم الهندسة والخط وكان وزيرا لثلاثـة من الخلفاء العباسيين هم : المقتدر بـالله ، والقاهر بالله ، والراضى بالله ، هو الوزير أبو على محمد بن مقلة المتوفي سنة 328 هجرية لقد ابتكر بن مقلة طريقة جديدة لوضـع القوانين والقواعد لرسم كل حرف من الهجاء العربى ، فقـد ثبت الاسس الفنية للخطوط العربية وضبط مقاييسها بدقة واحكـام وبشكل هنـدسى مدروس ومحسوب ، وذلك بأتخاذ النقطة لتكون وحـدة للقياس لقـد كان بن مقلة فنـانا وخطاطا وشاعرا كتب المصاحف والعهود وقيـل عنه «ان ابن مقلة نبي فى مجـال الخطوقد الهم هذه الموهبة تماما كما الهم النحل ان يبنى خلاياه بشكل مسدس» .

أبو علي محمد بن مقلة من المجددين للخط العربى ، طور مدرسة فنية لعلوم الخـط استمرت وانتشـرت في المعمـورة الاسلامية ، وعنـه عرف الخـط البديـع المطور الذى كتبت المصاحف به ، وتروي كتب التاريخ ان هذه الشخصية الفذة قد حرمت من اعز ما لديها ، فقد قطعت يده اليمنى بـأمر من الخليفـة الراضي بالله ولكن هذا لم يمنعه عن الكتابة ويقال انه كتب بيده اليسرى وانه كذلك كان يشد القلم على ساعده الايمن ثم يكتب .

ومن الخطاطين المشهورين فى كتـابة القرآن الكريم شخصية اسلامية بغدادية فذة طورت خطوط بن مقلة وادخلت الفن الرفيـع الذي تميـز بـالتنسيق والدقـة والاصـالة على كتـابة المصـاحف ، هذه الشخصيـة هي : أبو الحسن عـلي بن هلال المتوفي سنة 391 هجرية والمعروف بـأسم «ابن البواب» نسبـة الى صنعـة والده الذي كـان بواب بيت القضـاء في بغداد وشهرة ابن البواب الخالدة ترجع الى اكماله واتقانه لاسلوب الكتابة الذي بدأه بن مقلة قبل ذلك بقرن من الزمن .

ابن البواب فاق جميـع سابقيـه من كتبـة المصـاحف وادهش من تبعـه من الكتاب والخطاطين ، حفظ القرآن وكتب اربعـة وستين مصحفـا لم يبق منها الا واحـد مـوجـود ومحفـوظ في مكتبـة جستـر ـ بتي الشهيـرة بمخـطوطاتهـا القرآنية والموجودة فى جمهورية ايرلندا ،

وهـذا المخطوط القـرآنى يعتبـر اجمـل مصحف متـواجد بـالكامـل كتب بخـط النسـخ واستعملت التحلية والزخـرفـة الجمـاليـة فيـه بـأسلوب متميـز دقيق متنـاسق اشتـمـل عـلى اللون الازرق والاحمـر بالاضـافـة الى مـاء الذهب (1) ولاهمية هذا القرآن الكريم فقـد طبعت نسخ محدودة منه بمناسبة السنة العالمية للكتـاب تحت رعايـة اليونسكـو وبنفس المقاس والمستوى والتجليـد فى النسخة الاصلية للقرآن .

ومن المشاهير الذين تفننوا فى كتابـة المـصـاحـف امـين الديـن يـاقـوت المستعصمى المتـوفي سنة 698هـجـريـة والذى كان خازنا لدار الكتب المستنصرية ببغداد ، وقد نقل الخط عن ابن البواب واشتهر بكتابة الخط بـأنواعـه المختلفة والمعروفة آنذاك واخصها خـط الثلث ، ويقال ان خطه قد بلغ اروع ما بلغه الخط العربي من جمال .

ويتحدث الاستاذ ناجح زين الدين عن المستعصمي بـالنسـبـة لكتـابـة المصـاحف فيقـول : «وكتب الكثـير من المصـاحف وانتشر خطه فى الافـاق وقد ذكـرتـه المصـادر بـأنــه احـد علمـاء المستنصـرية وذكـره صـاحب تـذكـرة الخطاطين فقال «ان اول من نقـل الخط الكوفي الى الطريقة العراقية ابن مقلة ، ثم جاء ابن البواب فـزاد في تعريب الخـط وابداعه ، ثم جاء ياقوت وختم فى الخط واكمله ، ومـازال حتى يـومنـا يقـلده الخطاطون وينسجون على منواله ، ويقال انـه كتب الف مـصحـف ومصـحف ، وتشتمل خزائن الكتب فى استانبول على مصاحف كثيرة كتبهـا ياقـوت بالنسـخ والثلث والمحـقق ، وقـلم المصـاحـف ، وزخرفت بزخارف مذهلة» .

وقد كتب القرآن الكـريم من الخلفاء والسلاطين ما يزيد على اكثر من اربعـة وعشـرين من العهد العبـاسي الى العهد العثمانى ومن مجموعـة هؤلاء الخلفـاء والسلاطين شخصيات عديدة لم تشارك في كتـابة القـرآن وحسب وانمـا امتـد اهتمامها

لصناعة الخط والاجتهاد فيه ومن بين هؤلاء الخليفة العباسى الثامن والعشرون المستنصر بالله احمد بن عبدالله المقتدى المتـوفى فى عام 512هـ وكـذلك الخليفـة العباسى الذى حكم من بعده وهو الخليفة المستـرشد بـالله المتوفى فى عـام 529هـ وهناك العديد من السلاطين العثمـانيين ممن كتب القـرآن يـزيـد عـددهم عـلى الثمـانيـة ، اهمهم السلطان العثمـانى محمـد عبدالمجيـد خـان الثـانى وهـو السـلطان الثـلاثـون مـن السـلاطين العثمـانية وكـان خطه فى غـاية الحسن والجمـال يكتب بخط الثلث وتـوفى سنة 1258هـ وكان اول الكتاب للمصاحف من السـلاطين العثمانيـين السلطان مـراد الثـانى وهو السلطان السـادس المتوفى سنة 855هـ .

(1) ذكر المنجد في الاعلام (ص 147) ان لابن البواب قرآن في استنبول مكتـوب بيده بالخط الريحاني .

بدون اسم الكاتب

وهناك العديد من الخطاطين الذين من الله عليهم بكتابة المصحف الشريف وتراوحت عدد النسخ التى كتبوها من ثلاثة مصاحف الى الف مصحف ويقال ان السيد حسن بن على المعروف بأبن الخازن دون خمسمائة مصحف وان رمضان بن اسماعيل نسخ 400 مصحف ومحمد صلاح قيوم زاده خط مائة مصحف اما السيد حافظ ولى الدين فقد كتب 99 مصحفا ومن الاشخاص الذين كتبوا 25 مصحفا محمود كمال وناصر الدين متطيب أما الأشخاص الذين كتبوا مصحفا واحدا فان عددهم لا يحصى اذ أن مصاحفهم متفرقة فى الامصار الاسلامية ، وهناك ملاحظة لابد منها وهى ان معظم الخطاطين لا يذيلون المصحف بأسمائهم مما يشكل صعوبة لمعرفة اسم الخطاط والفترة التى كتب بها القرآن كما ان عددا كبيرا من المصاحف فقد الصفحات الاخيرة التى يدون فيها فى العادة اسم الخطاط .

بالاضافة الى الخطاطين فان المرأة كذلك كتبت المصحف ونسخته كما ان عددا كبيرا من النساء اشتهرن بالخط الجميل الحسن ، منهم حفصة ام المؤمنين رضى الله عنها وفاطمة البغدادية المتوفية فى عام 74هـ وكذلك السيدة بزم عالم والدة السلطان العثمانى عبدالمجيد خان اما النساء الذين كتبن المصاحف فمنهن درة هانم فقد كتبت مصحفا مؤرخا بتاريخ 1172هـ اما باد شاه خاتون فقد كتبت عدة مصاحف وكان ذلك فى حوالى عام 695هـ .

أدوات الكتابة

لقد تحدث القرآن الكريم فى اكثر من موضع عن أدوات الكتابة وذكرها بالاسم من هذه الايات الكريمات آيات تحدثت عن : القلم . الرق . القرطاس . المداد . السطور . الصحف . الكتاب .

القلم ـ « ن والقلم وما يسطرون » سورة القلم (1)

« اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم » سورة العلق (4) .

الرق ـ « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » سورة الطور (2)

القرطاس ـ « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » سورة الانعام (7) .

المداد ـ « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر » سورة الكهف (9) .

السطور ـ « كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاسراء (58) سورة الاحزاب (6) .

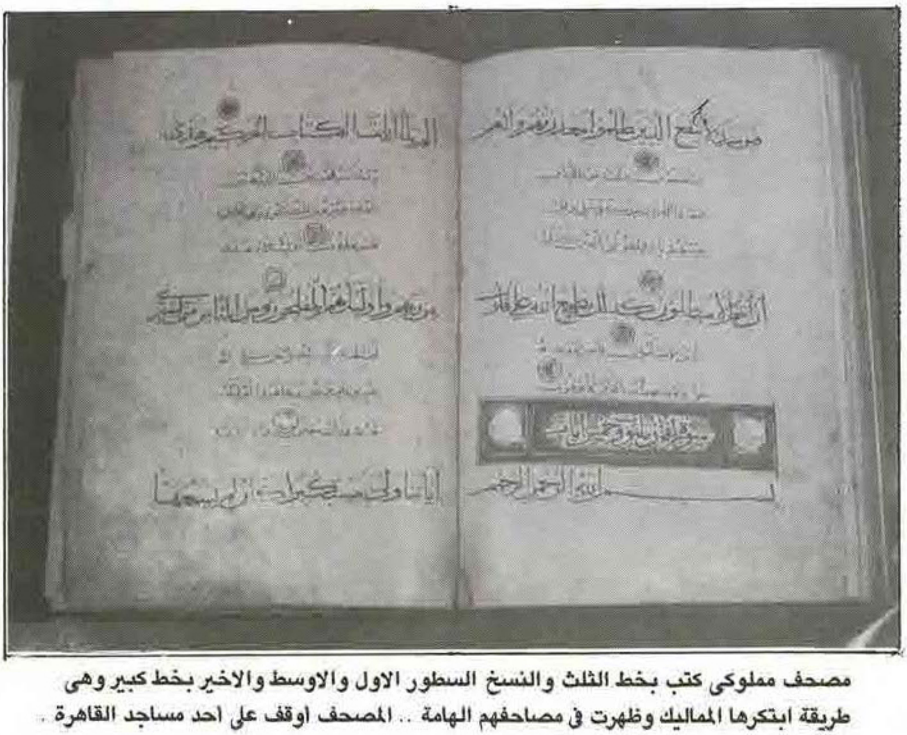
الصحف ـ « آيات عديدة احداها : « ان هذا لفى الصحف الاولى » سورة الاعلى (18)

الكتاب ـ « آيات عديدة احداها : « ام لكم فيه كتاب تدرسون » سورة القلم (37)

الورق ـ (بمعنى ورق الشجر) : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق

الجنة » سورة طه (121) . هذه الآيات القرآنية الكريمة تبين لنا ان هناك العديد من مواد الكتابة كانت معروفة فى صدر الاسلام وتحدث عنها القرآن الكريم ، واستمرت فى الاستعمال لفترات مختلفة من العصور الاسلامية ، ثم ادخل عليها التطوير والتجويد والتحسين لتصبح فيما بعد صناعة متكاملة وصلت أعلى درجة من الكمال فى العصر العباسى حيث انتشرت دواوين الكتابة والنسخ وسميت بدواوين الوراقين فى مختلف الرقعة الاسلامية ، ولعبت بغداد دار السلام وعاصمة الخلافة العباسية دورا نشطا مهما فى القرن الثالث الهجرى حيث انتشرت فيها مكاتب الوراقين الذين زاد عددهم على المائة ديوان كان يجتمع فيها بالاضافة الى اصحاب المهنة عدد من السفراء والعلماء والكتاب والمؤلفين والمترجمين ، ومع ذلك فأن ادوات الكتابة المستعملة فى هذه الدواوين لم تتغير تغيرا جذريا الا بعد استعمال الورق (ويسمى كذلك : الكاغد . القرطاس) كمادة أساسية لصناعة الكتابة بدلا من المواد المختلفة التى كانت تستعمل قبل ذلك ، وكذلك استعمال التذهيب والرونقة الجمالية بالاضافة الى التجليد المجود .

أنه من الطبيعى فى منطقة صحراوية منعزلة بعيدة عن التمدن والحضارة ان تجد مواد الكتابة نابعة من البيئة المحلية ومرتبطة بها الى حد كبير فاستعمال عظام



مصحف مملوكى كتب بخط الثلث والنسخ السطور الاول والاوسط والاخير بخط كبير وهى طريقة ابتكرها المماليك وظهرت فى مصاحفهم الهامة .. المصحف اوقف على احد مساجد القاهرة .

اكتاف الابل والحجارة الرقيقة وعشب النخل والرق شيء منطقى مسلم به لما له من ارتباط مباشر بالحياة الاعتيادية فى المدن الصحراوية ولتواجده كبقايا من استعمالات حياتية معيشية عادية ، فأكتاف الابل والعظام وجلود الحيوانات تبقى بعد ان تنحر وتؤكل لحومها ، كما ان الصفائح الحجرية وعشب النخل متواجده ومتوفرة فى مختلف المناطق .

ولقد استعمل فى كتابة القرآن الكريم على مر الزمان أدوات مختلفة من مواد الكتابة منها : الجلود (الرق . اللخاف . العشب . الاكتاف . البردى . الورق . القلم . الحبر (المداد) . الالوان . التذهيب .

الجلود (الرق ـ الأدم) .

استعملت الانواع المختلفة من جلود الانعام المدبوغة فى كتابة القرآن الى العهد العباسى فى القرن الثانى الهجرى حين ادخلت صناعة الورق من قبل الفضل بن يحيى البرمكى فى خلافة هارون الرشيد واستمرت الى وقتنا الحاضر ، وقد سميت الجلود المستعملة فى الكتابة ب« الاديم » أو « الرق » وجمعها رقوق ، وهى مصنوعة من جلود البقر والابل والغنم والحمر الوحشية والغزلان ، وتدبغ هذه الجلود وترقق لتصبح ناعمة رقيقة ملساء يمكن الكتابة عليها من الجهتين ، وقد اشتهر رق الغزال فى كتابة المصاحف ، كما استعمل كذلك الرق الابيض والاحمر والازرق ، ولكن الرق الابيض كان المفضل على الانواع الاخرى لبروز المداد الاسود عليه لتسهيل القراءة .

تطورت صناعة دبغ الجلود للكتابة بعد التجارب المختلفة لانتخاب احسنها وادقها سماكة واصلحها لونا وصلاحية لاستقبال الالوان والتذهيب البسيط الذى ادخل على الكتابة العربية بعد عهود الخلفاء الراشدين ، ولقد كانت صناعة الجلود للكتابة معروفة قبل ظهور الاسلام واستعملت فى تلك الفترة التاريخية فى شبه الجزيرة العربية والبلاد المجاورة ، ومما ساعد على شيوع استعمال الرق فى الكتابة متانتة وقوة تحمله بالاضافة الى تماسك الحبر واندماجه بالوجه المصقول من الرق ، وبقائه مدة طويلة من الزمن



صورة توضح طريقة رسم الخطوط حيث كانت تدق مسامير على مسافات متساوية من جانبى الورقة تشد فيها خيوط وبها يتم تحديد الاسطر

بدون تفاعل ضار ويقال ان الرق « سمى بهذا الاسم لجمعه بين الرقة والمتانة وطول البقاء » .

اللخاف

لقد ذكر الصحابى الجليل زيد بن ثابت اللخاف عندما تحدث عن جمع القرآن (الجمع الثانى) للخليفة ابى بكر الصديق رضى الله فقال « فتتبعت القرآن اجمعه من العشب واللخاف (وفى رواية اخرى) الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال » واللخاف هي الحجارة المسطحة الرقيقة البيضاء وتستعمل للكتابة بعد ان تعدل اطرافها وتمسح واجهتها لتقبل مادة الكتابة المستعملة وقد استعملت فى صدر الاسلام واستمرت الى العهد الاموى .

العشب

العشب هو اوراق السعف وجريد النخل الذى نزع خوصه واصلح ليكون مسطح الطرف ناعم الوجه وقد كتب القرآن الكريم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على مواد مختلفة من انتاج النخيل هى الجريد الذى نزع خوصه واصلح للكتابة ، والخوص الذى نسميه فى البحرين ب« السعف » ، والكرانيف الذى نسميه فى البحرين ب« الكرب » .

الاكتاف

وقد استعملت عظام اكتاف الابل والحيوانات الاليفة للكتابة وذلك لكبر حجمها ومساحتها المسطحة التى تصلح للكتابة والتى لا تحتاج كذلك الى عمل اضافى من التصنيع قبل الاستعمال وقد كتبت الآيات القرآنية الكريمة على عظام اكتاف الابل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

البردى

البردى هو نبات طويل متواجد فى المياه الآسنة ومستنقعات دلتا النيل ، يؤخذ لباب النبات ويشق الى شرائح رقيقة جدا تصف متحازية في الاتجاهين المعاكسين ثم تضغط وتطرق لينتج عنها اوراق ناعمة رقيقة تصنع حسب المقاس المطلوب ، وقد استعملت اوراق البردى للكتابة بعد عهد الخلفاء الراشدين واستمرت الى بداية العصر العباسى وانتشرت فى الشام وبغداد فى العصر الاموى وكانت تستعمل فى الغالب لكتابة الرسائل وتدوين مطالب الحياة التجارية والمدنية والمالية ولم تذكر المراجع التاريخية استعمال البردى لكتابة المصاحف كما اننى الى الآن لم أر اى مخطوط قرآنى كتب على البردى ويمكن القول ان البردى استعمل للكتابات المرتبطة بحياة الانسان المسلم اليومية وان كتابة القرآن الكريم دونت على الرق الى ان ظهرت صناعة الورق .

الورق (الكاغد)

لقد عرف العرب الورق عن طريق استيراده من الصين مع القوافل التى كانت تحمل الشاى والحرير والتوابل فى طريقها الى البحر الابيض المتوسط ، وقد بدأ استعمال الورق فى خلافة معاوية بن ابى سفيان فى اوائل القرن الاول الهجرى الا انه لم ينتشر الا فى خلافة

هـارون الرشيد بعـد ان ادخله الفضل بن يحيى البـرمكى وذلك بعد ان تمكن العـرب من انشـاء اول مصنـع للورق بسمـرقند فى حـوالى عـام 177هـ(793)م ويقال انه لما تولى « الرشيد الخلافة امر ألا يكتب الا فى الكـاغـد (الورق) لان الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محى منه فسد » .

وهناك انواع عديدة من الورق بدأت تظهر بعد ان ازدهرت صناعة الورق فى المدن العربية والاسلامية فالاضـافة الى سمرقند فقد انشئت المصانـع فى بغداد والشـام وحمـاة ومصر وعـرفت منهـا الانـواع التـاليـة : الورق البغـدادى . والورق الحـمـوى . الورق الشـامى . الورق المصرى . الورق المغربى . وكان الورق البغدادى ورقا ثمينـا فيه ليـونة ورقـة ، ويستعمل فى الغـالب فى كتـابـة المصاحف الكريمة .

وقد ادخلت بعض المواد عـلى الورق بعد انتاجه للحصول على اللون والنعومة المطلوبة ، ومن هذه المواد استعمال ماء الحنة النقى للحصول على لون مائل الى الاحمرار ، وصفار البيض مـع الصمغ العـربى للحصول عـلى اوراق صغيـرة اللون ناعمة الوجه ، اما اللون الابيض فيمكن انتاجه باضافـة مسحوق ابيض اللون مع الصمغ بنسبة ٣٠٪ ، ويمكن كذلك تشميع الورق عن طريق .
دحرجة الشمعة على الورقة عدة مرات .

لقد نقل العرب الورق الى اوربا عبر حضارتهم عن طريق اسبانيا المسلمة فقد انشىء أول مـصنـع للورق في طليـطلة بـالانـدلس حـوالى عـام 545هـ 1150))وكذلك انشئت مصانـع في كل من مدينة شاطبه ومدينة بلنسيه ، وقبل انشاء هذه المصانع كانت اوربا تستورد الورق الشـامي الى ان دخلت صناعـة الورق الى ايـطاليا وفـرنسـا في القـرن الخامس عشر الميلادي عبر مدن الاندلس العربية .

القـــلم

لقد كتب العرب باقلام مختلفة منها : السعف ، لب الجريد الاخضر ، القاب ، العـاج ، القصب الفـارسي ، القـصب العادى المعتني بزراعته ، كما استعملت الريشة المصنوعة من المعادن منذ فترة لا تـزيـد عن 150 سنـة ومن اهم ادوات الخـطاط : قلم القصب ، الذي استعمل منذ فجر الاسلام واستمر كذلك الى وقتنا الحاضر ، وكان حسن الخط ووضوحـه يرجع الى مقدرة الخطاط على الكتابة وعلى نوعية القلم المستعمل واهم صلة في قلم القصب هى ريشة القلم وكيف بريت هذه الريشـة لتكـون ذات سمـاكـة معينـة مسطحة الوجه بزاوية مناسبة وذات شق في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم الى الورقة بقوة اندفاع محـدودة معينة وحتى يتسنى للخط ان يكون متنـاسقا بتوزيع الحبر على اطرافه المختلفة .

وقـد تحـدث الخـطاطون في مختلف العصـور عن نوعيـة القلم المستعمل في

الكتابة العربية وقد جمعت بعض هذه الاقوال الاستاذة سهيلة ياسين الجبوري منها : ما روي عن ابن الزيات : « خير الاقلام ما استحكم نضجه وخف برزه وبلغ استره واستوي » كما تحدث الوزير بن مقلة عن بري الاقلام فقال : « ملاك الخط حسن البرايه ، ومن أحسنها سهل عليه الخط ، ومن وعى قلبه كثرة اجناس قط الاقلام كان مقتدرا على الخط » كما قال ابن مقلة لاخيه اذا قططت القلم فلا تقطه الا على مقط أملس صلب غير مثلم ولا خشن لآلا يتشطن القلم ، واستحد السكين حدا ولتكن ماضية جدا ، فانها اذا كانت كاله جاء الخط رديئا مضطربا » .

ويتحدث القلقشندي عن العلاقة بين القلم والصحيفة فيقول : « واما حاله (اي القلم) في الصلابة والرخاوة فانه تابع للصحيفة ، لانها اذا كانت لينة احتاجت ان يكون في الانبوب لين ، وفي لحمه فضل وفي قشره صلابة ، واذا كانت صلبة احتاجت ان يكون في الانبوب يبس وصلابة » ثم يتابع حديثه مفسرا الاسباب فيقول : « ذلك ان حاجته (اي القلم) من المداد في الصحيفة الرخوة اكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة ، فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكون في الصحيفة الصلبة ما وصل اليها من القلم الصلب الخالى من المداد كافيا » .

وهناك العديد من القصائد وأبيات الشعر التى نظمت في الخط وادواته ، قالها الشعراء والادباء والخطاطون ومن بين هذه القصائد قصيدة للخطاط البغدادي الشهير بابن البواب ومن بين أبيات هذه القصيدة ثلاثة ابيات تتحدث عن برية القلم :

انظر الى طرفيه واجعل بريه
من جانب التدقيق والتحفير
واجعل لحلفته قواما عادلا
يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقي بريه
من جانبيه مشاكل التقدير

الحبر (المداد)

يقال ان الحبر المستعمل في الكتابة القديمة كان مصدره الصين وكان يأتي الى شبه الجزيرة العربية عبر القوافل القادمة من الشرق ، ثم تمكن العرب من صناعته من الدخان او من العفص والزاج والصمغ وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق ولكنه كما يقال لا يصلح للاستعمال على الورق ولهذا فقد استعمل الحبر الصيني في كتابة الرقوق ، وقد سمى العرب الحبر « مدادا » لانه يمد القلم ويعينه على الكتابة ، وقد وصف ابن البواب في قصيدته مشتقات الحبر فقال :

والق دواتك بالدخان مدبرا
بالخل او بالحصرم المعصور
واضف اليه مغرة قد صولت
مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ما خمرت فاعمد الى
الورق النقي الناعم المخبور

لقد تفنن الخطاطون في صناعة الحبر وتمكنوا في العصر العباسي من انتاج

انـواع مختلفـة من المـداد تـنـاسب المخـطوطات والورق المستعمـل ، فقـد صنعوا المداد من الدخان المتراكم والذى نسميه في البحرين بـ « السنون » الذي ينتـج عن تجمع الدخـان ليكـون مـادة الكربون التى تجمع ويضاف اليها مادة الصمـغ وتصفى ثم يكتب بها لتصبـح الكتابة شديدة السواد ، وهناك نوع اخر من المداد يسمى حبر الرز وهو ذو لون قهوائى غامق يصنع من مادة الرز المقلية والمطحونة والمضاف اليها مادة الصمـغ ثم تخمر في الشمس وتستعمل بعد ذلك للكتـابة ، وقـد استعمل كـذلك البصـل والزيتون والحديد لانتاج انواع مختلفة مـن المـداد المسـتعـمـل في كـتـابـة المخطوطات ، وعند كتابة المصاحف فان السائل المستعمل في خلط الحبر يكون في العادة من احس انواع ماء الورد ليعطي الرائحة الزكية الطيبة .

ويتحدث ابن مقله عن الحبر فيقـول « اجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وبعد ان ينخل ويصفى يصب عليه الماء ويضاف اليه شيء من العسل ومن الملح وصمغا ومقدارا من العفص ثم يـوضع فوق نار غير حاره حتى يسخن فيصير في هيئـة الطين وربما وضـع فيه الكـافور لتطيب رائحته والصبر لمنع وقوع الذباب عليه » .

الالـــوان

لقد استعملت الالوان العديدة الزاهية الجميلة في تحلية وزخرفة القرآن الكريم ، ولقـد كانت بعض هـذه الالوان بسيطة التركيب والمظهـر وبعضها الآخـر معقد التـركيب كما ان قسمـا منها جـاء من الاحجـار الكـريمــة النـادرة في صـــور مسـاحيق ، لهـذا فقـد يبقي لمعـانهـا مستجـدا لا يتـأثـر بـالزمـن والوقت لأصـالتها وجـودتهـا ، ولقـد استعمـل التلوين بجميـع الوانه المكـونـة لقـوس القزح في تحلية المصاحف عبر التاريخ الا ان هنـاك بعض الالوان التى ارتبـطت بعهود وفترات تاريخية ، فاللون الازرق واللون الاحمر استعملا منذ القرن الاول واستمـر الحال عـلى ذلك ، وان اجمـل المصـاحف المملوكية النفيسـة ارتبـطت بـاللون الازرق وبـالزخـرفـة الذهبيـة الرائعـة ، ولقد استعمـل اللون الازرق باشكاله المختلفـة الغامق منـه والفاتـح ومشتقـاتهمـا ، كمـا استعملت تشكيلة الالوان الاخرى مع اللون الازرق بجدارة فائقة وبكميات بسيطة محدودة لتغطيـة الفراغات الصغيرة الناتجة عن الاشكال الهنـدسيـة المتـداخلة ، ومن الالوان الاخـرى التى استعمـلت في زخـرفـة المصـاحف اللون الاحـمـر والاصفـر والعـسـلي والبـنـي والابـيض الا ان استعمـال اللون الاخضر كان محـدودا جدا وكذلك اللون الاسود .

ولقـد اخذت معـظم هذه الالوان من اربعة مصادر رئيسيـة ، فهناك الالوان النباتية المختلفة كالحنة والقهوة والرز ، والالوان المـأخوذة من الورود والزهـور كالزعفران ، ما الالوان الثابتـة التى لا تتغير ولا تتأثر بعامـل الزمن فهي التى

تصنع من الاحجار النفيسة والكريمة على شكل مسحوق يخلط بمواد اخرى منها الصمغ وماء الورد لتعطي الالوان الدقيقة المطلوبة واحجار الفيروز النفيسة ذات اللون الازرق والاخضر خير مثال على هذا النوع من الالوان الزاهية الطبيعية .

ومن الالوان الاعتيادية التى استعملت في العديد من المصاحف البسيطة الصنعة والتجويد ، الالوان الطبيعية المأخوذة من الطين الارضي ذات الالوان المختلفة ، تنخل هذه الاتربة الملونة وتصفى وتسحق لتصبح كالكحل ، مسحوقا صغير الجزيئات يخلط بالماء والصمغ ثم تستعمل هذه المواد السهلة البسيطة في تحلية وتزيين صفحات المصاحف بطريقة اولية بدائية في بلدان شمال افريقيا بالاضافة الى موريتانيا ومالي والنيجر والسودان .

التذهيب

كانت التحلية الجمالية المكونة من الزخارف الذهبية عنصرا مهما في كتابة المصاحف واستعملت بحرية وطلاقة في الاشكال الهندسية وفي كتابة الخط نفسه ، وقد استعملت طريقتان لهذا النوع من التحلية اما تركيب الاوراق الذهبية الرقيقة الناعمة او استعمال ماء الذهب للزخرفة والكتابة .

وهناك نوعان من استعمال التذهيب في المصاحف وهما التذهيب المطفى والتذهيب اللماع ، وتتم عملية التذهيب بلصق الاوراق الذهبية الرقيقة الناعمة في المكان المطلوب تحليته ثم توضع ورقة نظيفة فوق الزخرفة الذهبية وتدلك بقطعة من المحار ترفع بعدها الورقة لتعطي الزخرفة الجمالية باستعمال طريقة التذهيب المطفي . اما اذا اريد للزخرفة ان تكون لامعة فان هذا يتم بصقل وتلميع الزخرفة الذهبية بمسطرة عاجيه بعد ان تدلك بالمحار كما هو الحال في الطريقة المتبعة للتذهيب المطفي .

بالاضافة الى استعمال الاوراق الذهبية الرقيقة جدا للتحلية الجمالية فقد استعمل كذلك ماء الذهب في كتابة الخط والزخرفة في القرآن الكريم ، وصناعة ماء الذهب تتم في العادة بتحليل ورق الذهب الرقيق جدا بخلطه مع عصير الليمون النقي ثم يضاف اليه الماء ويخلط من جديد ثم يترك لفترة من الزمن الى ان تترسب ذرات الذهب في القاع ويزال الماء الزائد ثم يضاف الى المحلول قليل من الزعفران وقليل من ماء الصمغ بعد ذلك ، يستعمل هذا المحلول الذهبي للكتابة ، ويمكن ان تدخل اللمعة على الاوراق المحلاة باستعمال المسطرة العاجية للصقل واللمعان وذلك عن طريق تدليك الصفحات المزخرفة .

كيف كانت الكتابة العربية في البحرين

من المؤكد ان المصاحف كانت تكتب في الامصار الاسلامية على اختلاف رقعتها ، وان البحرين عرفت كتابة المصاحف عند ظهور الاسلام وانه لابد ان العديد من المصاحف الشريفة قد نسخت ووثقت عن المصحف الذي ارسله

الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه الى منطقة البحرين وان العديد من المصاحف المكتوبة على الرق قد تواجدت في هذه الجزر الطيبة وخاصة وان مسجد الخميس كان من المعالم الاثرية القديمة في صدر الاسلام وقد جدد في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، ولابد ان هذه المصاحف كانت متواجدة في هذا المسجد الشامخ لتكون على مقربة من الناس للدرس والقراءة والتبصر .

ان جزر البحرين كانت في طليعة المناطق العربية التى استعملت الخط العربي المطور والمعروف في القرن الثالث والرابع الهجري في احسن وجه من الاتقان والجودة ، ومع ان المواد التى وصلتنا عن الكتابة العربية كنتيجة للتنقيب والحفريات محدودة جدا بالنسبة لما كتب منها على الرق او الورق ، الا ان ماوصلنا من كتابة حجرية يؤكد اصالة الخطاط البحريني واتقانه للكتابة المعروفة آنذاك ، ومتحف البحرين الوطني يحتوى على العديد من نماذج الخطوط العربية المختلفة التى حفرت على الصخر بما فيها خط النسخ وخط الثلث ، وان دلت هذه الكتابة العربية على شيء فانما تدل على المستوى الرفيع الذي وصل اليه الخط العربي في البحرين وكذلك تدل على كفاءة ومقدرة الصانع البحريني الذي تمكن وتابع الاصول الفنية للخطوط العربية التى كانت معروفة في العراق آنذاك .

من هذا المنطلق فانه يمكننا ان نتوقع انه كان في البحرين عدد من الخطاطين الذين برعوا في الكتابة وعاشوا في هذه المنطقة الآهلة ، كما ان العديد من العلماء والرحالة والكتاب والناسخين مروا بهذه الجزر في طريقهم البحري من والى عاصمة الخلافة العباسية دار السلام ، ولهذا فانه ليس بالغريب ولا بالمستغرب ان نرى المدارس الاسلامية المختلفة كان لها صدى حقيقيا في البحرين والحفريات المرتبطة بالفترة الاسلامية لابد وان تظهر لنا الكثير عن تاريخ البحرين الاسلامي وبالاخص الخطوط العربية التى استعملت في تسجيل الوقائع والارتباطات والواقع ان الحضارة الاسلامية لهذه المنطقة من بغداد الى عمان مرتبطة ببعضها البعض ، ولهذا فان ما عرف من تقدم وازدهار للعلوم والكتابة في مقر الخلافة لابد وان يكون له انعكاس وصدى اصيل في هذه المنطقة الساحلية الخليجية الذي تشكل جزر البحرين فيها نقطة الوسط والارتكاز والاصالة .

اقدم المصاحف الخليجية المتواجدة

هناك العديد من المصاحف المخطوطة التى نسخت في الخليج متواجدة الان في المتاحف والمكتبات الخليجية وعند الاسر الا ان اقدم هذه المصاحف لا يتعدى الـ 350 سنة اما معظم هذه المصاحف فقد كتب في اواخر القرن الثاني عشر الهجري اي في حدود 1180هجرية تقريبا او بعد ذلك ، ويوجد في البحرين

اكثـر من 20 مصحفا كتبت في المنـطقة الخليجيـة واكثـر الظن انهـا كتبت في البحرين ومن بين هذه المصاحف هناك 5 مصاحف في متحف البحرين الوطني و 5 مصاحف في مجموعة بيت القرآن وهناك تقدير اولي على انه يوجد لدى العـوائل البحـرينية مـا يزيـد عن 10مصـاحف نسخت في البحرين في حوالي سنة 1180هـ / 1290

العديد من المصـاحف التى كتبت في الخليج لم تؤرخ كما ان العديد منها كذلك لم يسجل اسم كاتبه في آخر صفحة من المصحف او مكان الكتابة (اسم المدينة او القرية) وهذه عادة معروفة ومتبعة في المنـطقة والسبب في ذلك ان النـاسخ او الخـطاط وخاصـة كتـاب المصـاحف في البحرين كانـوا يكتبون هـذه المصاحف توجها وتقربا الى الله عز وجل ، ومن هذا المنـطلق كـانـوا يفضلون الا تـكتـب اسماؤهم لان الهدية وقف على المسجد ، والله اعلم بكل شيء يفعله الانسان ، ومع ذلك فانه بـالامكان التعـرف على تـاريخ المصحف عن طريق المقارنة والتدقيق في نوعية الخـط ونوعيـة الورق والتجليد ، واستعمال الحبر والالوان المتـواجدة في اوائل السور القرآنية وبعض العلامات الاخرى المميزة .

اما بالنسبة لمعرفة مكان النسخ فان هناك بعض الدلائل التى يمكن الاستفادة منها وخاصـة اذا عرف التـاريخ واسم الخطاط ، ومع ان اسماء العوائل مرتبط في المنطقة بأسرها ، فالعائلة الواحدة قد يكـون لها فـرع في الكـويت والبحـرين والسعودية مثلا ، او ان الشخص كاتب المصحف سكن في الاحساء وفي البحرين وفي الكـويت او انه قـد سكن البحـرين والقطيف والنجف ، خلال مراحل متعددة من حياته الا انه من الممكن التعرف على مكان الكتابة اذا وجد اسم ناسخ القرآن وتاريخه وذلك عن طريق اقارب الشخص بالسؤال عن المكان الذي كان فيه في فترة التاريخ المذكورة .

كتـاب المصـاحف التي نـسخـت في البحرين

ومن الكتاب البحرينيين الذين كتبوا المصاحف عدة اسماء منهم :

- احمد بن راشد بن جمعة بن خميس بن هلال المريخي .

وقـد ختم المصحف الذي نسـخـه بالعبارات التالية : « كتب القرآن في اليوم السادس من شهر شعبان في سنة 1231 بقلم الفقير الى الله تعالى احمد بن راشد بن جمعة بن خميس بن هلال المـريخي المالكي مذهبا » .

- جمعة بن عيد بن ردهان

وقـد ختم المصحف الذي نسـخـه بالعبارات التـالية : « وكـان الفراغ من كتابة هذا القرآن الشـريف بعون الملك اللطيف في يوم سابع من شهر ذي الحجة سنة 1215 على يد افقر العباد واحوجهم الى رب العباد الحقير المسكين جمعة بن عيد بن ردهان المالكي مذهبا والقادري طريقه ، غفر الله له ولوالديـه ولاخوانـه ولمحبيـه ولجميع المسلمـين والمسلمـات

والمؤمنين والمؤمنات .. آمين » .
ـ عبدالكريم بن عبدالوهاب

وقد ختم القرآن الذي نسخه بالعبارات التالية : « قد تم الكتابة بيد اقل العباد عبدالكريم بن عبدالوهاب » .

ـ محمود بن حاج محمد

وقد ختم القرآن الذي نسخه بالعبارات التالية : « قد فرغ من تحرير هذا كلام الله حميد مجيد في صبح يوم الثلاثاء اثنى وعشرين من شهر رجب الحرام سنة الف ومائتين وستين من هجرته النبوية صلى الله عليه وسلم بقلم الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير محمود بن حاج محمد غفر الله له » .

ـ حسن بن علي آل عصفور

وقد ختم المصحف الذي نسخه بالعبارات التالية : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم بقلم فقير ربه الغفور حسن بن علي آل عصفور » .

نوعية المصاحف الخليجية

المصاحف التى كتبت في الخليج منذ حوالى اقل من 350سنة كانت في غالبيتها بسيطة الصنعة والخط ، محدودة الزخرفة والتحلية بخط اسود قوى مركز وعلى ورق خشن أصفر متين من صناعة ايران او الهند ، معظم هذه المصاحف يزيد حجمه عن 320 X 220 ملليمترا كما تزيد اسطرها عن الاثنى عشر سطرا واستعمل الحبر الاحمر لتسجيل اسماء السور والاجزاء ومواقف الآيات وعلامات المصحف التوضيحية وحفظت الكتابة في اطار عادى مسطر بالحبر الاحمر .

وقد كتبت الآيات القرآنية في المصاحف الخليجية بعناية تامة ولكن ببساطة وبخط جميل واضح مشابة لخط النسخ كما استعملت بعض الاشكال الهندسية البسيطة والازهار العادية وكذلك بعض هذه المصاحف قد خلت بالكامل من اي نوع من الزخرفة الجمالية كما ان البعض الاخر من المصاحف قد اشتمل على زخرفة جمالية محدودة بالوان نباتية بدائية الشكل والمظهر وقد استعمل الجلد العادي وكذلك القماش المتين الصنع لتجليد هذه المصاحف التى خلت من التذهيب والرونقة الفنية ، اما الالوان المستعملة في المصاحف التى وجدت فيها الزخرفة البسيطة فهى اللون الاحمر والاحمر الغامق والاصفر والازرق ، كما استعملت في هذه المصاحف الاشكال الهندسية البسيطة والازهار العادية المكررة .

اما مواد الكتابة التى استعملت في كتابة المصاحف الخليجية فهى شبيهة بما استعمل في الاقطار العربية الاخرى ومنها قلم القصب المستورد من الهند او ايران وفي الفترة الاخيرة استعملت الريشات المعدنية المستوردة من الهند وكانت تسمى في البحرين بـ « البريه » اما بالنسبة لمداد الكتابة فبالاضافة الى استعمال الحبر الهندي الاسود او الصيني المستوردين يقال انه قد استعمل الحبر المستخرج من الختاك (خذاق) وهو سمك حيواني لازج

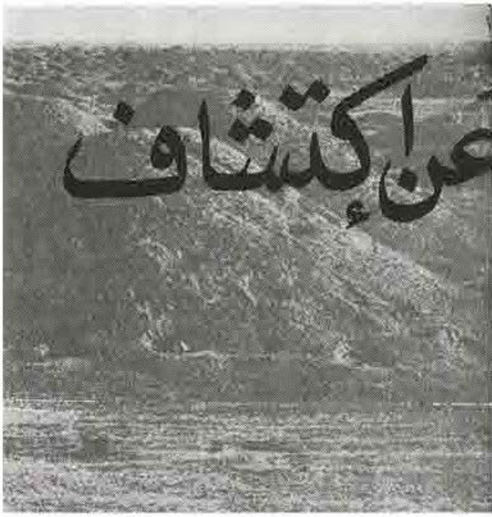
متواجد في السواحل البحرينية ، والمعروف عن هذا النوع من السمك انه يخزن مادة سوداء قاتمة يبثها في محيطه البحري عندما يهاجم من اجل التعتيم والهرب ، اما الالوان الذي ادخلت على زخرفة المصاحف فهي نباتية طينية مستوردة من اسواق الهند وايران .

اين كانت تكتب المصاحف الخليجية

هناك العديد من المدن الخليجية التى اشتهرت بالعلم والكتابة والنسخ خلال العصور الاسلامية المختلفة ومن اهم هذه المدن كانت الهفوف والعجير ، كما كانت القطيف ودارين وكذلك كانت جزر البحرين ونزوى ومسقط وبعد القرن الثامن عشر الميلادي ازدادت المدن العربية الخليجية لتشمل الكويت ودبي والدوحة والرويس والزباره ، وقد كتبت ونسخت المصاحف في هذه المدن العربية الى فترة متأخرة حوالى 1915 عندما بدأت تصل المنطقة الخليجية نسخ من القرآن الكريم طبعت في الهند باستعمال الطباعة الحجرية .

اما في البحرين فقد كانت هناك العديد من المجالس التى يجتمع فيها اهل العلم والمعرفة وهي مكان للكتابة والتدوين والنسخ ارتبطت بمناطق البحرين الآهلة بالسكان فقد كانت المحرق عاصمة البحرين الرسمية (حتى عام 1923)من اهم مراكز النسخ والتدوين ومجالسة العلماء ، كما عرفت مناطق اخرى من البحرين منها الحد والمنامة ، وجد حفص وبلاد القديم والشاخورة والزلاق وسترة ومسجد الخميس .

كلمة تقدير لابد من تسجيلها مع هذا المقال ، فان جميع الصور (ما عدا صورتان من متحف البحرين الوطنى) مصورة من مخطوطات قرآنية كريمة نادرة من مجموعة الدكتور عبداللطيف جاسم كانو وقد قدمها هدية تذكارية لتكون النواة الاولى لمشروع بيت القرآن الذى سيشيد فى البحرين .
(الوثيقة)



التقريرالرئيسيّ عن إكتشاف

القبور كانت سكناً شتوياً للأثرياء

بريدويتساءل:

هل نهب البرتغاليون مقابر عالي المقيبة ؟

قرابين بشريّة فوق الهضاب

وحيوانات الميت تدفن في الغرف العلويّة



الزمن القديم ثم مكاناً للدفن بعد الموت

يعتبر تقرير بريدو عن القبور المقببة احد التقارير او المصادر الرئيسية لكل ما كتب عن هذه القبور . وذلك لأن بريدو او الرائد إف . ب . بريدو هو الشخص الذي كلفته حكومة الهند (البريطانية) بصفة رسمية باكتشاف هذه المقابر واعداد تقرير مفصل عنها . حقيقة لقد سبق بريدو آخرون هم الكابتن دوراند والسيد والسيدة بنيت ولكنهم لم يكشفوا سوى قبر او اثنين اما بريدو فقد قام بفتح اكثر من ٣٧ قبرا من مختلف النوعيات وفى مختلف الاماكن ووصف ما وجده بدقة متناهية . بل تناول وصف خطوات العمل ونوع العمال والتكاليف التى دفعها مقابل الحفر وهى معلومات لاشك هامة لمن يريد ان يعرف شيئا عن هذه القبور من الشخص الذى اكتشفها نفسه والغريب ان بريدو توصل اثناء عمله الى بعض الاستنتاجات الطريفة منها على سبيل المثال ان

القدماء كانوا يستخدمون هذه الهضاب لقضاء بعض الوقت في البر للمتعة والاستئناس وانهم كانوا يدفنون فيها بعد الموت لتغلق عليهم الى الأبد . ومثل اشارته الى ان هذه القبور لابد انها نهبت اثناء وجود البرتغاليين في البحرين خاصة وحالة معظمها تدل على انها تعرضت لذلك .

ولكن لابد هنا ان نؤكد على امر هام وهو ان الجزء الخاص بتقرير بريدو عن عمليات اكتشاف القبور لاشك دقيق ومفيد للغاية . اما الجزء الاول من التقرير والذى كتب فيه بريدو خلفية تاريخية لتكون كمقدمة فلا شك انه ملىء بالأخطاء او المبالغات او عدم الدقة وقد اثرنا ان نقدم التقرير كما هو كي يحيط القارىء به باعتباره التقرير المشهور عن اكتشاف هذه المقابر وان كنا نؤكد للمرة الثانية ان نشره ليس معناه ان كل ما به صحيح بل على العكس ونؤكد ثانية ان الجزء الاول المتضمن للسرد التاريخى من تاريخ البحرين يجب قراءته بتحفظ شديد .

بقى أن نعرف أن الضابط الانجليزى الرائد اف ـ ب . بريدو كان ضابطا في الوكالة السياسية الانجليزية بالبحرين وانه تولى حفر هذه القبور اعوام ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧م و١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م

(الوثيقة)

عرض تاريخى

كانت البحرين معروفة لدى القدماء باسم اكبر جزرها وكان اسم هذه الجزيرة نيدوكى او نيتوك باللغة الاكادية . وتلفن او تلمون باللغة الآشورية . وبدرجة ما كان هذا الاسم مرتبطا بولايات ملوخ وماجان (على الارجح الواحات الحديثة في الاحساء والقطيف) كما ورد في نقوش الرافدين .

وقد فتح سرجون الاكادى نيدوكى او (الرؤوس السوداء) حوالى عام ٢٧٧٠ ق .م كما هزم ابنه نارام سين ملوك ماجان وابيراح . وبيليكال وأوفير الواقعة في ضواحيها بعد بضع سنوات .

وبعد الفى سنة جاء في اخبار سرجون الاصغر ملك آشور بأن هوبر ملك الجزر استسلم له وقد تم العثور على حجر في البحرين قبل ٣٠ سنة وهو يحمل نقوشا

جيرية بابلية وقام السير ج ـ رالنسون بنقل احرفها فكانت على النحو التالى :
« حيكال ريموجاس ، ايرى انزاك ، اقيروا » ومعناها « قصر ريموجاس خادم كوكب عطارد من قبيلة عقير ».

وبعد مضى اربعة قرون ونصف القرن بعد عصر هوبر اى حوالى سنة ٣٢٥ ق . م قام المؤرخون باستكشاف الجزر خلال بعثتين اغريقيتين وجههما الاسكندر الاكبر لاكتشاف سواحل الخليج . وكانت البعثة الاولى تحت قيادة نيركيوس واورثا غوراس وقد ابحرت الى الساحل الفارسى وعندما وصلت الى اوراكتا او فوروكتا (جزر القشم حاليا) استخدم نيركيوس مرشدا بحريا اسمه مترو باستيس ونفهم من رواية سترابو حول هذه البعثة ان مترو باستيس كان قد طرد الى جزيرة طيرين من قبل الملك داريوس وان هذه الجزيرة يوجد فيها قبر الملك اريثراس على هضبة عالية يغطيها النخل البرى وان مترو باستيس سبق له ان هرب الى فوركوتا من عقيرس . ونحن نفترض ان جزيرة طيرين هى فى الأصل منفاه واما البعثة الثانية وكانت بقيادة اندرو ستينيس فقد سافرت الى السواحل العربية حتى جزر تايروس وارادوس وقد وصفتا بأنهما جزيرتان تقعان بالقرب من جرها (ملوخ سابقا) على البر الرئيسى ويقول سترابو بأن هاتين الجزيرتين كانتا تشتملان على معابد تشبه معابد الفينيقيين وقد بنى هذه المعابد بعض الذين استعمروا الجزيرتين .

ويرى السير رالنسون ان الاسمين (طيرين) و(تايروس) اسمان فارسيان لأسمين قديمين هما تفلون ومعناه تل او تلة اما الاسم الآخر فكان لجزيرة اقل اهمية هى اراد او (عراد) وهو الاسم الذى يطلق على نفس المكان بالبحرين حتى الآن .

ومن بين الكتاب فى القرن الاول الميلادى وصف بلينى الرومانى جزيرة تايلوس على انها مقابلة لجرها وبأنها جزيرة تشتهر بلألئها . كما وصف عقيرس بأنها المكان الذى يقع فيه قبر اريثراس .

وبعد ذلك بقرن من الزمان رسم العالم الجغرافى بطلميوس فى خريطته جزيرتى تايلوس وثارو وذكر ارادوس وعقيرس كجزيرتين غير هامتين . والمواقع التى رسمها بطلميوس للجزر غير صحيحة على الاطلاق خاصة ونحن نستطيع الآن تحديد اماكن هذه الجزر فجزيرة ثارو على سبيل المثال هى جزيرة تاروت وتقع مقابل . القطيف وتايلوس هى البحرين .

وفى القرن السابع الميلادى كانت الولاية النصرانية كتارا (قطر حاليا) عبارة عن خمسة مراكز للاساقفة وهى :

١ ـ ديرين
٢ ـ مساميج
٣ ـ تالون او تيلوم
٤ ـ خاطا
٥ ـ حجر

هذه المراكز تدعى حاليا .

١ ـ دارن فى جزيرة تاروت

٢ ـ سماهيج وهى القرية التى تقع فى أقصى شمال جزيرة المحرق وتظهر فى خريطة نيبور .

٣ ـ البحرين نفسها (اكبر جزيرة فى المجموعة)

٤ ـ خط اى الخط الساحلى من سلوى الى القطيف

٥ ـ واحة الأحساء

وفى القرون الوسطى عرف علماء الجغرافيا العرب البحرين كولاية على البحر الرئيسى وتمتد من البصرة الى عمان ومن اليمامة (فى نجد) الى الخليج متضمنة الجزيرة العربية وكانت حجر (تدعى الاحساء فى الوقت الحاضر) عاصمة لها .[1] ويطلق هذا الاسم على نحو مهلهل على الواحات التى تمتد فى مساحة ١٠٠ ميل مربع بما فيها المدينة الرئيسية (الهفوف) تماما مثلما هو متبع بالنسبة للبحرين بعاصمتها المنامة وقطر بعاصمتها الدوحة .

ويرجع مصدر اسم البحرين حسب التفسير الذى ادلى به ياقوت الى البحيرة او البحر الصغير الذى يجرى اليه الماء الفائض من عيون الاحساء التى تقع على حافة الواحة من جهة والى الخليج من جهة اخرى . وهناك تفسير آخر يقول بأن المياه تشير الى مصب نهر شط العرب ونهر يجرى تحت الارض ويغذى عيون الاحساء والقطيف وجزر البحرين وحسب المعلومات الشفاهية التى حصلت عليها فان واحة الاحساء محصورة من الشرق والشمال بالبحيرات السبخية التى تمتد لعدة اميال فى كل جهة .

ويبدو انه يمكن تفسير هذا الاسم من ناحية ثالثة بأنه اطلق على الواحات فى الاصل ثم غطى بعد ذلك مساحات اخرى مثل قطر والقطيف وبالطبع الجزر الاخرى التى احتلها الحكام والقبائل من حين لآخر مثل بنى خالد الذين كانوا يسيطرون على المنطقة كلها قبل بضعة قرون .

ويعطى لنا ياقوت مادة من معلومات مشوقة فيقول بأن السكان القدماء فى البحرين كانوا حميريين وان اسم احدى جزرهم (اوال) هو اسم أحد آلهتهم . وان المحرق كان اسما لاله آخر عندهم والمحرق اليوم هى الجزيرة الثانية وتضم مدينة يصل عدد سكانها الى ٢٠ الفا وتقع فيها قريتا عراد وسماهيج القديمتين . ومن الغريب ان ياقوت لم يذكر اسم (عراد) ومع اننى اوافق السير رالنسون بأنه لا توجد علاقة بين عراد وارواد الفينيقية الا اننى اظن بأن هذا الكاتب ارتكب خطأ فى افتراضه ان

---

(١) ان المصدر الوحيد الذى امكن الرجوع اليه هو معجم البلدان لياقوت الحموى وهو نفس المصدر الذى نقل عنه السير رالنسون فى ملاحظاته حول تقرير الكابتن دوراند فى جيه آر . ايه . اس المذكور اعلاه وقد علمنا ان الكتاب المعاصرين الآخرين كالهمدانى وابن حوقل والاصطخرى والادريسى وابى الفداء وابن خلدون وحاجى خليفة متفقون بصفة عامة على حدود البحرين والمراكز الرئيسية للقبائل المتواجدة داخل حدودها (انظر وستنفيلد ـ البحرين واليمامة ـ جوتنجن ١٨٧٤) (الوثيقة)

اسم اراثوس الذي استخدمه بطلميوس اصح من ارادوس الذى استخدمه الكتاب الاقدمون . وفى رأيى ان استدلال السير رالنسون مبنى على المغالطة لأننى لم أجد كلمة (زاره) كاسم قرية فى كتاب ياقوت بل وجدت كلمة (آره) في نسخة معجم البلدان الذى فى حوزتى . وقد شرح لى اصدقائى من الاحساء موقع هذه القرية ومواقع ثمانى قرى اخرى من بين ٩ قرى ذكرها ياقوت فى مقال خاص له عن البحرين وقد اثبت بأن هذه الاماكن باستثناء دارين تقع على البر الرئيسى ومما لاشك فيه بأن (زارة) التى لم نتمكن من تحديدها تقع خارج مجموعة الجزر .

وفيما يلى اسماء الاماكن التى ورد ذكرها فى قائمة ياقوت وتم تعيين اماكنها ضمن منطقة البحرين القديمة :

١ ـ آره : بئر ومخيم استخدمها البدو فى القديم وموقعها فى شمال العيون فى الاحساء .

٢ ـ الاحساء : تدعى حساء وهى واحة فى الداخل وتقع فيها مدينة الهفوف ولا يزال اسمان قديمان يستخدمان لقلعتين قديمتين بها هما صفاء ومشقر وتشير صفاء الى عين ونهر جار .

٣ ـ اوال : اكبر جزيرة بين جزر البحرين وتسمى حاليا البحرين .

٤ ـ بينونة : وهى قطعة ارض واسعة توجد فيها آبار كثيرة فى الداخل وفى جنوب الساحل العمانى .

٥ ـ ثاج : هى مدينة مدمرة فى وادى المياه شمال واحة الاحساء على بعد كبير .

٦ ـ جبلة : وهى قرية فى جزيرة البحرين .

٧ ـ جبيلة : قرية بجزيرة البحرين .

٨ ـ جفير : قرية بجزيرة البحرين .

٩ ـ جواشة (جواثا) : فيها بقايا جامع وعين ماء على حافة واحة الاحساء وحسب الاساطير المحلية فقد انشىء بها احد المساجد الاربعة الاولى فى الاسلام .

١٠ ـ خط : الخط الساحلى من القطيف الى سلوى

١١ ـ دار : مجموعة آبار فى طريق القوافل الى المناطق الداخلية .

١٢ ـ دارين : وهى قرية على جزيرة تاروت منفصلة عن البر الرئيسى بمياه قليلة العمق يمكن عبورها فى ادنى درجات الجزر .

١٣ ـ رميلة : قرية فى قطر

١٤ ـ صبور بئر مهجورة فى طريق القوافل الى نجد

١٥ ـ سبخا : مستنقع مالح يفصل الاحساء عن عمان

١٦ ـ سماهيج : قرية تقع فى اقصى شمال جزيرة المحرق

١٧ ـ سهلة : قرية فى جزيرة البحرين

١٨ ـ سلاسل : نهر عريض غزير يجرى فى واحة الاحساء

١٩ ـ تريبل : قرية فى واحة الاحساء

٢٠ ـ ظهران : اسم جبل وولاية بالقرب من القطيف

٢١ ـ عدان : شريط ساحلى بين القطيف والكويت

٢٢ ـ عقير (تنطق أجير او أوجير) : وهى ميناء لواحة الاحساء وبها الآن حامية تركية .[٢]

٢٣ ـ عَنَك : (يلفظ عَنِك أو غَنخ) قلعة وقرية فى واحة القطيف

٢٤ ـ عينين : مخيم شمال القطيف وبها آبار

٢٥ ـ عيون : قرية فى اقصى شمال الاحساء بها اسوار وخنادق

٢٦ ـ غابة : عين وحديقة جنوب العيون

٢٧ ـ قارة : (تنطق غارا) جبل دائرى كبير بواحة الاحساء على مسافة حوالى ٥ اميال شرق الهفوف .

وقد زار الرحالة الالمانى (هرمن برخارد[٣]) الاحساء زيارة خاطفة فى سنة ١٩٠٤م وكتب عن قارة ما يلى :

« وجدتها مكانا مشوقا ويقع على مسافة ١,٥ ساعة من الهفوف وبه تشكيلات رائعة من الاحجار الرملية وكهوف واسعة تستخدم للسكن فى موسم الصيف » وسمعت بأن سكان الهفوف يسكنون هذه الكهوف في فصل الصيف بينما توجد حوالى ١٢ قرية فوق مستوى النخيل وحقول الارز التى تحيط بها من كل جانب .

٢٨ ـ قطر : قنة الجبل الواسعة شرق البحرين وربما اطلق هذا الاسم على المدينة الرئيسية الواقعة فى الجانب الشرقى وتسمى الآن (الدوحة)

٢٩ ـ القطيف : وهى المدينة الرئيسية فى الواحة الساحلية شمالى غرب البحرين .

٣٠ ـ قليعة : ويطلق هذا الاسم على خليج فى البحرين والارض الداخلة فى البحر بقطر والقطيف .

٣١ ـ مزيرعة : قرية بالاحساء

٣٢ ـ نتاع : تعرف بـ « انتع » وهى قرية فى وادى المياه شمال الاحساء

٣٣ ـ نقير : مجموعة آبار شمال الاحساء

٣٤ ـ حجر : هذا الاسم لا يستخدم الآن ولكنه كان يطلق فى الماضى على الهفوف .

٣٥ ـ يبرن : او (جابرن) واحة ذات سمعة سيئة جدا من حيث الصحة وتقع فى جنوب الاحساء قراها مهجورة الآن مع ان البدو يستفيدون من النخيل الموجود بها .

وذكر ياقوت اسما آخر هو (ترم) مع ان هذا الاسم غير متداول الآن وقد اشار اليها كمدينة رئيسية لأوال . فهل يمكن ان يكون هذا الاسم هو نفسه اسم تايروس الذى ذكره الرحالة اليونان .

وعندما دخلت البحرين فى الاسلام يبدو أنها كانت قبله بصفة عامة مستعمرة لولاية الحيرة التى كان يحكمها المنذر حكما مستقلا . وبعد مضى قرنين ونصف قرن سقطت الولاية كلها بما فيها قطر وعمان فريسة فى يد المنشقين القرامطة الذين انطلقوا من الكوفة . ومثلوا الخصومات السائدة

---

(٢) فى زمن الكاتب .

(٣) قتل فى سنة ١٩٠٩م فى ضواحي الحديدة

والانعكاسات البارزة التى شاعت فى الجزيرة العربية وفارس ضد الخلافة وضد قريش .

وكانت المبادىء التى تبناها القرامطة قائمة على ألوهية الكون نظريا وعلى الاشتراكية فى التنفيذ . وقد اعتبروا القرأن ليس الا تعبيرا بالمجاز أو الاستعارة . ورفضوا الوحى والصوم والصلاة وكانوا يؤمنون بالشيوعية حتى فى مسألة الزوجات . وفى سنة ٩٢٩م نجح القرامطة فى اقتحام مكة نفسها والاعتداء على حرمة الكعبة ونقل الحجر الأسود الى الأحساء . وأعادوه بعد ٢١ سنة مقابل مبلغ ضخم كفدية (٤)

وقد عاشت هذه الطائفة فى الجزيرة العربية لمدة ٢٠٠ سنة قبل أن تتدهور وان كانت جماعة منهم اسمها (الحشاشون) ، فى شمال ايران استمرت فى نشاطها لمدة قرن آخر ويقول البعض أن الدروز السوريين انحدروا منهم . وتاريخ البحرين فى هذه الفترة وحتى نهاية القرن الخامس عشر غير متيسر .

ومن سنة ١٥٠٧م الى سنة ١٦٢٢م كانت البحرين تحت سيطرة البرتغاليين الذين كانوا يستغلون اللؤلؤ وكانوا مهيمنين هيمنة حقيقية لأنهم بنوا قلعة ضخمة (٥) من الأحجار التى أخذوها من اكبر وأقدم مساجد الجزيرة ولا يبقى منه سوى منارتين حاليا لا يزال يستهدى بهما الملاحون لارساء مراكبهم . وقد طرد البرتغاليون فى النهاية وبشكل مخز على يد شاه عباس الكبير وعلى أثر ذلك أصبحت البحرين تابعة لولاة ايرانيين ولو اسميا فى بعض الأحيان وكان هؤلاء الولاة أنفسهم من شيوخ العرب الذى كانوا يحكمون السواحل الفارسية .

وفى سنة ١٧٨٣م أصبحت البحرين مستقلة بالفعل عندما فتحها اتحاد القبائل العرب من العتوب الذين سكنوا الكويت ثم سكنوا قطر مؤقتا وبعد عدة حوادث استقرت الأمور فيها نهائيا عندما انشأ القائد العربى احمد الفاتح دولة قوية بها .

أما بالنسبة لتاريخ واحات الأحساء والقطيف فلفترة لاحقة يكفينا أن نذكر أنهما خضعتا بسرعة لآل سعود حيث انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى نجد فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ولكن الاتراك انتزعوهما فى سنة ١٨٧١م والحقوهما بولاية البصرة وأصبحا رسميا ضمن الامبراطورية العثمانية .

الوصف الجغرافى

ان اكبر جزيرة فى مجموعة الجزر تدعى البحرين ومدينتها الرئيسية هى المنامة . وتمتد الى ٣٠ ميلا من الشمال الى الجنوب و١٢ ميلا عرضا ويستدق طرفها الى نقطة الجنوب وتتمتع البحرين

(٤) انظر ان . جيه ـ دى غوج مذكرات قرامطة البحرين والفاطميين ليد ١٨٨٠ .

(٥) الصحيح انهم جددوا بناء القلعة التى كانت موجودة من قبلهم (الوثيقة) .

بعيـون المياه العـذبة التى هى امتـداد لعيـون الأحسـاء والقـطيف عـلى البـر الرئيسى ومـلامحهـا حـادة وواضحـة وتشمـل هـذه المجمـوعـة من الجـزر بالاضافة الى الربع الشمالى من جزيـرة البحرين جزيرة المحرق بأكملها والنصف الشمـالى لجزيـرة سترة والعيـون تحت المائية التى تظهر على الصخور المختلفة عند انخفاض المد .

وتوجد القبور المقببة وهى مـوضوع هذا التقرير على الجزيرة الرئيسية فقط وهنـاك ٤ أوه مواقـع منتشرة مـا بـين البساتين والقرى تتواجد فيها القبور على المستوى الأرضى والأرض هنا كلها رملية فى أعماقها وجرداء وتلتف حول الحافات الداخلية بأجمعها للمساحات المزروعـة الشمالية بشكـل الهلال ويقـل عرضهـا غربا وشرقا حتى يصل لبضع مئات من الياردات وداخل الأرض المزروعة يقـع سهل رملى عـار عرضـه ميل واحـد ثم تتخلله بصـورة مفاجئـة أرض مرتفعـة بانحدار ناعم ويصل ارتفاعها الى حوالى ٢٠٠ قـدم وتمتد لمسـافة ميلين بـاتجاه وسط الجزيرة ويغطيها سطح من حجـر الصوان بشكل الحصى وبعد عدة مئات من اليـاردات توجـد حفرة فى الحـافـة الداخلية بصخور متدلية حولها بارتفاع بين ١٥ و٣٠ قدما وهكذا لا يوجد ممـر لدواب حمـل الأثقال الا عـلى بعد عـدة أميـال أما فى داخـل الحفرة وهى غـير بركانية فتوجد مروج (يبدو كما لو أنها مجهزة لسباق الخيل والبولو أو الألعاب المماثلة) وهى متشابكة مع مساحات من الحصى والصخور . ويقع فى الوسط جبل الدخان وهو جبل صخرى أسود ارتفاعه ٤٤٠ قدما ويشكل أول معلم للملاحـين الذين يتوجهون الى الجزيرة .

وكما ذكرت سابقا تقع القبور المقببة على السفوح الشمالية والغربية فى أرض الصوان والتراب الرملى فى أسفلها بصفة رئيسية ومساحتها ٢٠ ميلا مربعا وتنتشر القبور فى عدة جهات والقبور الصغيـرة منها لها قاعدة تبلغ ٢٠ قدما وكثـافتها كبيرة جدا حيث لا يوجد فراغ كاف لقبر آخـر . لكن الكثـافـة تقـل فى الامـاكن المرتفعة الأخرى . وحالة القبـور تزداد سـوءا كلما زاد ارتفـاعهـا وذلك بسبب تعرضها للرياح التى تزيل طبقة التراب من فـوق الحجـر ممـا يـؤدى لسقـوط الاحجار العلوية فى داخل القبر وهو الأمر الذى أدى الى تخريب القبور نفسها .

والاماكن التى توجد بها القبور المقببة هى :

(ا) الساحل الشمالى على بعـد حوالى ميل غرب القلعة البرتغالية وتوجد فى هذه المنطقة ستة قبور فى صف واحد .

(ب) بالقرب من المسجد ذى المنارتين حيث يوجد نفس العدد .

(ج) فى شمال غرب عالى على بعد ميلين حيث توجد هضاب على قطعة من الأرض مساحتها ميلان مربعـان وهذه القبـور ذات طابق واحد تماما مثل معـظم قبور المجموعة .

(ج) عـلى مسـافـة ميلين من القلعـة البرتغالية وفى الجنوب الغربى حيث توجد هضبات صغيرة فى مساحة قدرها ميـل مـربع ولابـد أن القبـور المـذكـورة فى المنطقتين ا و ب كانت أصلا تساوى فى

حجمها قبور عالى . وقد قمنا بحفر القبور فى منطقة عالى بصفة رئيسية ويركز هذا التقرير على هذه الحفريات .

القبور المذكورة فى ا و ب مكونة من حجر الصوان الذى خلط بالتراب وهى الآن تبدو كأكوام غير منتظمة بسبب تأثير الرياح ولم يبق من ارتفاعها الا ١٥ قدما مما يجعل تعيين مواقع القبور بدقة أمرا صعبا . وعلى الرغم من ذلك يمكن أن يؤدى حفرها الى نتائج ايجابية .

وتوجد آثار شائعة جنوب المسجد ذى المنارتين ويسميه العرب « قلعة دقيانوس » أو « القلعة العريقة » هذه الآثار مما يحتمل أن يكون قاعدة لمنارة بابلية وهى عبارة عن قاعدة مربعة دون مدخل ومصنوعة من الطين وحولها حائط من الخرسانة وخارج الحائط طين وتراب بعمق عدة أقدام وهذا الحائط يبلغ حوالى ١٠٠ قدم طولا و١٠ أقدام ارتفاعا وداخل المبنى مجوف ومن المحتمل أن الأهالى نقلوا الطين من هذا المكان خلال السنوات الماضية .

الحفريات السابقة

جذب الكابتن (الآن سير) اى . ال . دوراند أنظار العلماء لأول مرة الى قبور البحرين المقببة . وكان دوراند قد عاش فى البحرين سنة ١٨٧٨م بصفته مساعدا للمقيم السياسى .

وقد أثارت القبور المقببة اهتمام الكابتن دوراند لأنها اكبر مساحة من القبور فى العالم وبدأ بالتنقيب فى أصغرها أولا لكى يعرف أفضل طريقة لحفر اكبرها فيما بعد . وبعد فترة وجيزة حاول فتح قبر كبير فعلا الا أنه لم ينجح . وأدى حفر القبر الصغير الى اكتشاف أن الهضبة الصغيرة كانت مجوفة بسطح مستو وضريح حجرى وفجوتين الى جانبى القبر فى وسط الحجرة وقد اكتشف هيكلا عظميا لانسان جالس فى الفجوة الشمالية الشرقية بينما وجدت عظام ماعز أو غزال فى الفجوة الثانية التى تقابلها ثم عثر على مجموعة من العظام فى جزء آخر من القبر مع اثنين من الفخار وأجزاء من العاج والخشب والنحاس الأصفر والنحاس الأحمر .

ولم يعثر الكابتن دوراند على شىء فى الهضبة الكبيرة لأن السطح كان قد سقط الى اسفل وربما كان هذا السطح مقاما على جذع نخلة كما اكتشفت ذلك فيما بعد عندما قمت بحفر قبر كبير .

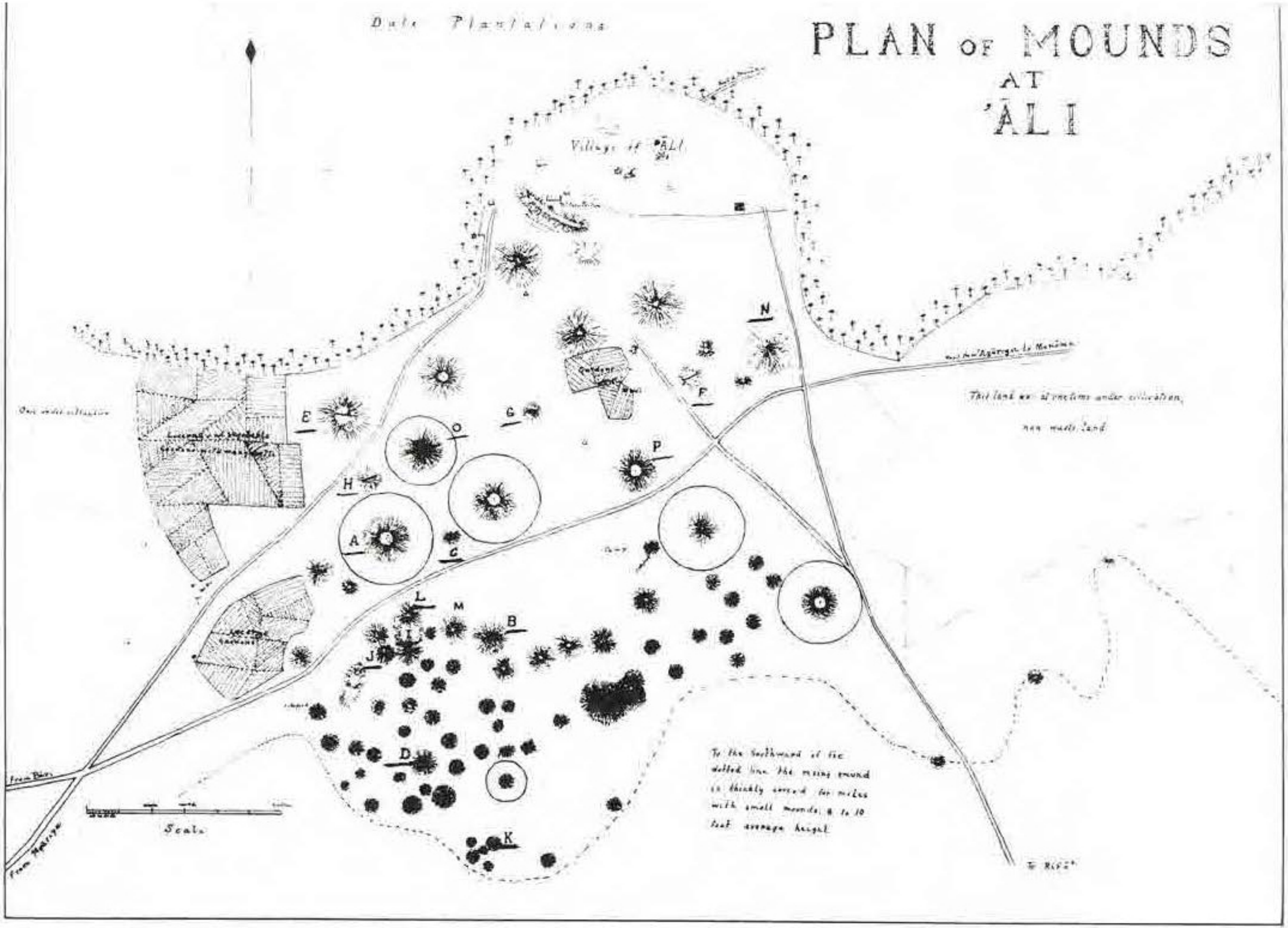
ومن المستحيل أن تحدد بالضبط ما اذا كانت الهضبة أو القبر الذى حفره دوراند من طبقة واحدة أو طبقتين لأنه لا توجد خرسانة وراء العمود العالى . ويبدو من ارتفاع الهضبة ان القبر كان مماثلا لما أشرت اليه .

وحفر الهضبة الثانية أدى الى نتيجة بأن جذوع النخل والخرسانة قد استخدما فيها .

وقد نشرت اكتشافات الكابتن دوراند فى مقال[٦] فى نفس الوقت الذى نشر فيه عن اكتشاف حجر أسود فى البحرين (بنقوش حيرية بابلية) مع انه ليس

---

(٦) جيه . آر . اس المجلد ١٢ ان اس (١٨٨٠) ص ١٨٩ .



خريطة رسمها بريدو لمنطقة عالى وحدد عليها المقابر التى اكتشفها وقد اطلق على كل قبر حرفا من حروف الابجدية الانجليزية .

هناك أى ربط بين صانعى القبور والحجر الأسود .

وقد قامت محاولة أخرى بعد بضع سنوات لفحص القبور قام بها عدد من ضباط السفينة الانجليزية سفنكس(٧) ومن المحتمل انهم فحصوا نفس القبور التى أشرت اليها .

وقد قام كل من السيد والسيدة تيودور بنيت بزيارة البحرين فى ربيع سنة ١٨٨٩ وقد شدهما ماكتبه دوراند عن القبور المقببة وقاما بفتح هضبة كبيرة ومن حسن الحظ وجدا فيها قبرا بطابقين وفى حالة جيدة عدا بعض الأشياء التى فسدت بطبيعتها .

وقد وجد السيد والسيدة بنيت فى الطابق العلوى أجزاء من العاج وصناديق مستديرة وقلائد وجذع تمثال صغير وبعض قطع الأوانى والفخار وقشرا لبيض النعام تحمل بعض النقوش وقطعا من المعادن المصقولة .

وكانت الانقاض تتكون من قطع صغيرة من عظام الجربوع كما عثر على عظام حيوان كبير ربما كان حصانا . وفى الطابق السفلى تم العثور على عظام لانسان وبعض المنسوجات المحلاة بالرسوم . وتحمل الجدران بعض الصور التى تتدلى من أوتاد خشبية (من مقاس أوتاد الخيام .

وحاول بنيت وزوجته فحص قبر صغير آخر لكن الانقاض كانت مكدسة لارتفاع ٤ أو ٥ أقدام ولم يتم تنظيفها واضطر الاثنان الى الزحف على ركبهما ولم يستطيعا الا مشاهدة ثقوب الأوتاد الخشبية . وتوقفا عن المزيد من الفحص(٨) .

وفى سبتمبر ١٩٠٣م قام المستر ام . ايه . جوانين بزيارة قصيرة للبحرين وحصل على تصريح من حاكم البحرين بتوصية المستر جيه . س . جاسكين . المقيم السياسى البريطانى لفتح أحد القبور . واختار قبرا نجح فى حفر سرداب الى داخله عن طريق احدى الفجوتين ودخل اليه الا انه لم يجد شيئا سوى بعض العظام وقطع الفخار .

نتائج أحدث الحملات الاستكشافية

فى سنة ١٩٠٤ وجهت دائرة الآثار بحكومة الهند اهتمامها الى هذا الموقع الأثرى . وأراد المدير العام نفسه أن يزور البحرين لكى يحدد بالضبط وان أمكن أصل مدينة القبور المذكورة . الا انه تقرر فيما بعد أن تفوضنى الحكومة الهندية بهذه المهمة وخصصت لها مبلغا قدره ١٦٠٠ روبية .

وقد باشرت بالعمل فى أول سنة ١٩٠٦م مستخدما العمال الايرانيين لأن سكان قرية عالى لم يوافقوا على ترك حقولهم فى هذه الفترة . اضافة لعدم رغبتهم فى القيام بالأعمال غير الضرورية خاصة والوقت كان شهر رمضان وخاصة

(٧) طبقا لبيان المستر سيسل سميث للمتحف البريطانى نشر فى المجلة الجغرافية الملكية ـ يناير ١٨٩٠م .

(٨) عرض المستر بنيت تقريره على الجمعية الجغرافية الملكية فى سنة ١٨٨٩ ونشر فى عدد يناير ١٨٩٠ كما نشرته السيدة بنيت فى « العربية الجنوبية » سنة ١٩٠٠ بعد وفاة زوجها .



المقابر الكبيرة فى عالى اخذت الصورة من الجنوب الغربى .

اذا كانت هذه الأعمال هى نبش القبور .

وقد حددت الأجرة اليومية بـ ١١ ١/٢ انه وكان ذلك سعرا عاليا لكنه كان لابد من دفعه بسبب ارتفاع الأسعار مع الأخذ بعين الاعتبار ان العامل كان عليه أن يتحمل مشقة احضار طعامه من على بعد يصل الى سبعة أميال . وبعد مضى ستة أسابيع وجدت ان العمال الايرانيين غير مجدين فى عملهم حتى بعد انقضاء شهر رمضان فاستخدمت حوالى ١٢ عاملا من الباتان والبنجابيين الذين توقفوا فى البحرين أثناء عودتهم من أداء فريضة الحج كما استخدمت عددا من سكان قرية عالى فيما بعد وعقب مغادرة الباتان والبنجابيين . وعلى الرغم ان العمال المحليين اجتهدوا فى عملهم مثل العمال الهنود الا انهم فشلوا فى تحقيق نفس مستوى الأداء الذى حققه الباتان . ولم أتمكن من خفض أجرتهم اليومية فعينت ثلاثة جنود للاشراف المستمر على العمال بالاضافة الى ضابط صف . وكان أحد الكتاب من مكتبى ينقل اليهم تعليماتى باستمرار كما حرصت على أن أمضى كل يومين ليلة فى المخيم وكنت أدرس الموضوع لبضع ساعات ليلا أو نهارا لأتأكد من سير العمل وفقا لرغبتى . وكانت الأيام التى لا أحضر فيها لموقع الحفر هى أيام البريد السياسى الاسبوعية حيث كنت ألزم المنامة بمقر الوكالة البريطانية . وكان المشرفون والمساعدون متحمسون لسير العمل ولا يفوتنى أن أشكر المستر دى اكس لوبو والسيد محمد أنعام الحق لعملهما بتفان واخلاص رغم رتابة العمل ورغم انه كان خارجا عن مسئولياتهما الرسمية .

وقد أتممنا الحفر فى ٣١ مارس ١٩٠٧م وذلك بفتح ٧ قبور كبيرة ومتوسطة و٣٥ قبرا صغيرا من طراز أبسط . وقد بذلت جهدا فى تنظيف أجزاء الحفريات كى تصبح تصاميم القبور واضحة . ووجدت ان القبرين اللذين كان السيد والسيدة بنيت قد فتحاهما فى سنة ١٨٨٩ أصبحا مسدودين بسبب سقوط أكوام من التراب على المدخل .

وقد أنفقنا المبلغ المخصص للغرض وكانت الحرارة قد ارتفعت فى المخيم .

وسوف أذكر الآن موجزا لوصف كل هضبة درسناها فى منطقة عالى على حدة كالمذكور فى الخريطة التى أعدها الضابط البحرى (بليو ـ هوز) وهو أحد ضباط السفينة الحربية (ويد بريست) وقد مكث فى ضواحى الجزيرة لفترة قصيرة واستفدت من مشورته الى حد كبير .

لقد سميت الهضبات من A الى M حسب الترتيب الزمنى لحفرها وتبدى الخطوط الغليظة المرسومة على تسع هضبات وضع القبور فى داخلها وأبواب سبعة منها تواجه جنوب الغرب الى حد ما .

وباب القبر I يميل بضع درجات الى شمال الغرب بينما باب القبر D ٣٦ درجة جنوب غرب وهو من هذه الناحية يختلف عن القبور الأخرى .

ويأتى القبر A فى الدرجة الثانية من ناحية الحجم وقد فتحه الكابتن دوراند ولم أجد موقع القبر الصغير الآخر الذى فتحه دوراند ويبدو انه قام بتفكيكه كلية وفى تقدير الكابتن دوراند فان ارتفاع القبر A هو ٤٥ قدما وقد بالغ كثيرا فى هذا التقدير . فقد كان ارتفاع الحائط الخارجى الدائرى حوالى ١٠ أقدام وكان الحائط مربوطا بباب القبر عن طريق ممر مرصوف بارتفاع ٣٠ قدما فى مؤخرته . لذلك يبدو ان مدخل القبر لم يكن عن طريق عمود كما هو الحال فى قبور C وE



المقابر A و H و C من اليسار الى اليمين والمقبرتان E و O فى الصف الأمامى .

و H و I بل أفقيا عن طريق مدخل رائع كما هو الحال فى قبور B و F و G .

وكانت هضبة B الكبيرة موضع الحفر الذى قام به بنيت ومنظرها تهدم من الخارج بسبب التنقيبات الاختبارية التى تعرضت لها من كافة جوانبها .

وقد ذكر بنيت ان ارتفاع الغرفة السفلى هو ٦ أقدام و٧ بوصات ولكن هذا فى الحقيقة هو ارتفاع المدخل فوق العتبة ويزيد ارتفاع الغرفة قدمين آخرين اذا أخذنا فى الاعتبار سمك الخرسانة على الأرضية الصغرى .

ولقد كانت الفواصل فى السقف التحتانى أيضا ممتلئة بالخرسانة . أما الهضبة الصغيرة التى فحصها بنيت وهى هضبة C فان أرضية القبر تقع على عمق ٧ أقدام تحت صخر من حجر الكلس ومن الصعب أن نقرر ما اذا كان التجويف طبيعيا أم ان الأحجار كانت تنقل من هذا المكان الى المقابر المجاورة واختار صانع القبر C هذا الموقع الحصين رغم انخفاضه نظرا للمتانة التى توفرها الصخور الطبيعية المنحوتة هناك للجدران وتبدو الهضبة من الخارج صغيرة وفى الواقع هى أصغرها فى هذا الموقع الا ان الكوم الترابى يرتفع فوق سطح القطع بـ ١٧ قدما فى هذه الحالة لو كانت أرضية القبر على مستوى الأرض لكان تطلب كمية ضخمة من التراب لملء محيط القاعدة .

وقد أمرت بازالة اكوام التراب والانقاض من الموقع كى اقيس ابعاد القبر الذى سبق لبينيت ان فحصه دون ازالة الانقاض . وقد وجدت قطعا من الفخار يرجع تاريخها الى عصر صنع القبور . وكانت احداها اناء فخاريا احمر بقاعدة مستديرة محيطها حوالى ٦٠ بوصة وبخط دائرى غليظ عند الرقبة وكان الاناء الثانى مصنوعا من الطين الاصفر بفوهة صغيرة وحولها ٢٤ ثقبا صغيرا بمقاس القلم الرصاص . جرار الماء الحديثة تصنع بحيث تصدر صوت البقبقة عندما يخرج منها الماء .. وقد قام المستر ازال ـ لافير بدائرة الاشغال العامة بقياس عمق القبر بدقة واشكر له هذه المساعدة كما اشكر مساعدته فى اعداد التصاميم .

وقد فتح ام . جوانين القبر d فى سنة ١٩٠٣ وقد اشرت سابقا الى الاختلاف فى تصميم هذا القبر من حيث اتجاهه الاساسى . وصدفة تجنبت الحفارة المساس بالحائط العمودى الذى يحتفظ بالمدخل . ولم احاول التأكد من وجود حلقات حجرية تحت الانحدارات والغريب ان انقطاعا فى حافة القعر فوق الهضبة اشار الى موقع المدخل لكن المستر ام . جوانين تجاهل هذا الانقطاع وبدأ يفتش عن المدخل فى الجهة الغربية كالمعتاد .

وربما تجنبت فحص هذا القبر بسبب عدم ملاءمته للاختبار وتواجد قعر فوقه لكن القبر فى داخله فى احسن حال مما يدل على ان القعر فوق الهضبة غير مهم مهما كان مقياسه مادام يسمح ثقب فى القعر بتسرب الماء بعد الامطار .

وقد قمت بفحص الهضبة E واخترتها بسبب حجمها ولانها لم تتعرض لاية عملية منذ تشييدها وكنت خائفا من

سقوط السقف بسبب القعر الذى وجد فوق الحجرة العلوية ومع ذلك فكرت فى ان تكون الحجرة الارضية سليمة بسبب صلابة احجار سقفها مثلما كان الحال فى الهضبة B التى فحصها بنيت على اى حال لقد دهشنا لعدم وجود اية الواح حجرية على الاطلاق فى السقف وذلك بسبب عرض السقف الواسع الذى لم يمكنهم من تكسيته بكتل الاحجار بالمقاييس المطلوبة . وبدأت العملية برسم خندق ـ ٥ اقدام ـ عرضا من القمة الى الاسفل على السفح الغربى وقمت بتكوين مجموعات من خمسة عمال فى كل مجموعة على طول الخط لكى يتم الحفر بصورة منتظمة فى نفس الوقت عبر الخط المرسوم .

وبعد الحفر لمدة يومين ظهرت الجدران الجنوبية والغربية للعمود الخارجى المربع والعتبة وسلسلة دائرية من المكعبات والسطح الخارجى لرخام الاحجار الخشنة بالقرب من قاعدة الهضبة . فطلبت من العمال قطع الهضبة افقيا من فوقها الى سطح الغرفة العلوية بينما حفرت بمجموعة اخرى من العمال العمود خارج الباب الذى كان داخل حائط . ووصلت المجموعة الاولى الى الاحجار العلوية للجانب الشرقى للقبر واكتشفت ٤ الواح حجرية فوق الفراغات الجانبية التى كانت خالية من التراب كذلك وجدنا ان سقف الغرفة العلوية الرئيسية كان قد سقط فقمنا بقطع النصف الشمالى لقمة الهضبة للوصول الى الممر وقد استغرقت هذه العملية وقتا طويلا ومجهودا شاقا ولكن هذا الحفر ساعدنا فيما بعد فى رفع كتل الاحجار التى كانت متساقطة من السقف فى القاعة الرئيسية من زوايا مختلفة وكذلك فى نقل الانقاض والاشراف على سير العمل من موقع مسطح . وقد تمت ازالة التراب من النصف الجنوبى للعمود المربع ومن الجانب الداخلى للقبر وقد تبين أن أرض الغرفة العلوية كانت مصنوعة من مادة قابلة للتلف مما احدث فراغات واسعة بجانب كل مدخل وهى الفراغات التى امتلأت بالتراب بدلا من الواح السقف الحجرية . وقد ارتفع العمود الخارجى الى ١٢ قدما تحت السقف فقط مع ان ارتفاع الغرفة من الداخل يصل الى ١٨ قدما . ولم اكن اتوقع ذلك الجهد الذى تطلبه حفر الهضبة وازالة الانقاض وكنت اتوقع العثور على نقوش او مخلفات اثرية فى اكبر الهضبات . وحتى لو لم يتم العثور على نقوش او مخلفات اثرية الا انه من المفيد ان يكشف الحفر تصميم القبور وقد كان ذلك هو مكافأتنا على الجهد الكبير الذى بذل والمصاريف الكثيرة التى انفقت .

وقمت بعد ذلك بقطع الجوانب الشمالية والغربية الخارجية لأتأكد من عدم وجود اية ابنية اضافية الا اننى واثق بأنه يوجد ممر جانبى فى الجهة الجنوبية من الغرفة الرئيسية تماما كما هو موجود فى الجانب الشمالى . وقد وجدت الممرات المذكورة فى هذه الهضبة فقط من بين كل الهضبات التى تعرضت للفحص حتى الان . وفى رأيى انه توجد مثل هذه الممرات والامتدادات للجانب

الشرقى فى هضبة N ايضا كما اشار الى ذلك كل من كابتن دوراند والمستر بينيت مع انهما لم يفتحا تلك الهضبة .

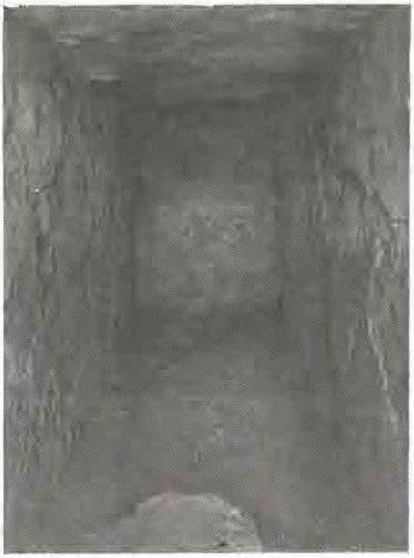
وبالنسبة للحائط الغربى بجانب الممر الجانبى الشمالى .

فيبدو انه تم تشييده بعد تشييد الجوانب الثلاثة الاخرى لان الجدران الثلاثة مصنوعة من الحجر الخرسانة وبدقة تامة .. مثل صنع الغرفة المركزية لكن الجدار الرابع «الغربى» يحتوى على احجار صغيرة وخرسانة خفيفة بسمك اخف من الجدران الاخرى وحتى ارتفاع ٨ اقدام فقط وبقية الحائط لا تتمشى مع المظهر الداخلى ومن الصعب علينا اعتبار ان الجدار الرابع شيد متأخرا لان ذلك لو كان حدث فكيف كان يمكن ان يغطى السقف الفراغ الجانبى وبزاوية .

ويبلغ حجم الفراغات الاربعة ١٠ اقدام وعلى كل منها لوحان من الحجر الرملى فكيف امكن لاحد الالواح ان يستند على الجدارين وجزء من الجدار الثالث المنفصل ويربط ممرين فى حين يوجد جدار الى الجانب الشرقى وارتفاعه يزيد بعشرة اقدام ويسند لوح الحجر فى الطابق العلوى فوق الفراغ . على كل حال ليس من الغريب ان الالواح الاربعة التى شكلت السقف العلوى والسفلى والحائط الرابع لابد انها قد سقطت اثناء عملية الحفر .

ويبدو ان تصميم هذا القبر عند تشييده اتبع الخطوات الاتية :

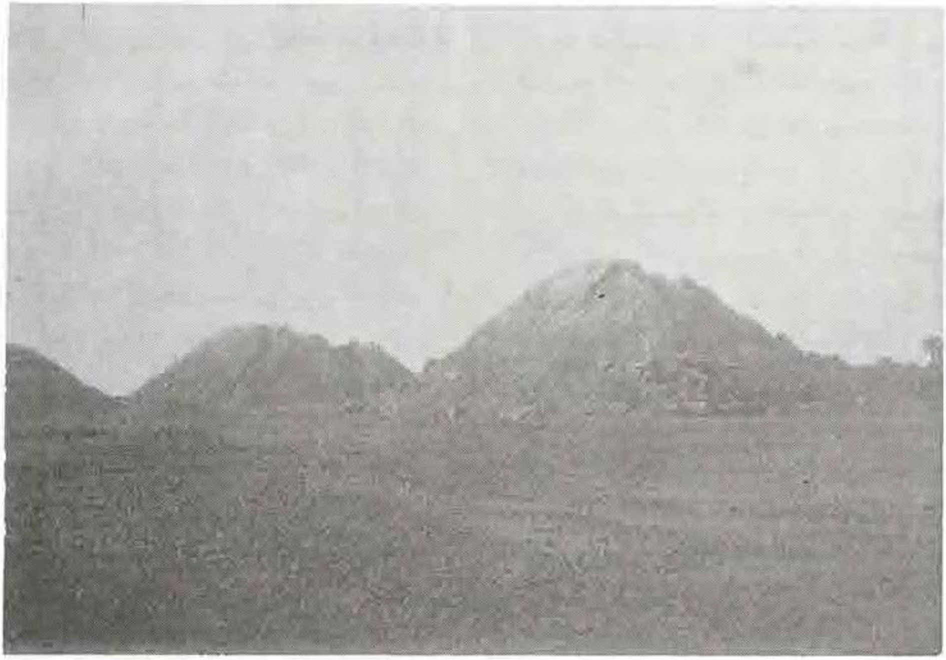
اولا : نقل كل التراب من فوق الارضية الصلدة ووضع خرسانة بسمك ٦ بوصات عليها ثم وضع احجار ضخمة



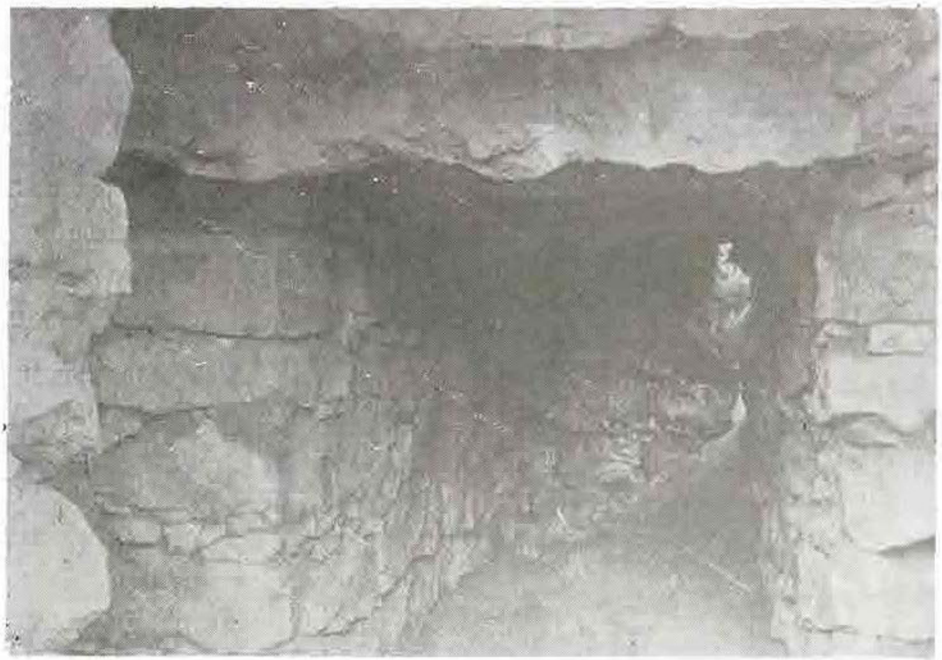
صورة للغرفة السفلى فى المقبرة B

كقاعدة للجدران وقد اهتم البناءون بنعومة الوجوه الداخلية دون توجيه اى اهتمام للاطراف الخارجية ثم اقاموا الجدران مستعينين بمنصة من التراب من الخارج ومن الداخل حسب تقدم العمل فى تشييد القبر وكذلك استخدموا المنصة الترابية فى رفع وتثبيت الاحجار الثقيلة والالواح وهكذا ازدادت المنصة ارتفاعا حتى تجاوزت ارتفاع الهضبة نفسها ببضعة اقدام وساعد العمود فى منع التراب من التساقط اما بالنسبة للقبو ذى الطابقين فقد استخدموا منصات خشبية كما ظهر من فحص الهضبات E وH وI بالاضافة الى السلالم الى سطح الارضية عند المدخل .

ويبدو من مشاهدة القبر E بأنهم استخدموا سلما خشبيا من المدخل الى قاع القبر . وقد لاحظ بعض الزوار بأن



المقبرتان E و D من الجنوب الشرقي .



المقبرة G من الداخل

بعض الرجال الاثرياء الذين بنوا هذه القبور اعدوا المساكن لانفسهم فوق الهضبات للسكنى المؤقتة فيها تماما كالعريش في وقتنا الحاضر وان الرجل الثرى كان يستخدم الطابق العلوى كمخزن والطابق السفلى الحجرى كسكن خاصة في فصل الشتاء وانه كان يدفن في الطابق الاسفل بعد موته وحسب التقاليد التى كانت متبعة وقتئذ فقد كانوا يتركون بعض الاوانى الفخارية والمأكولات والمشروبات واللحوم بجانب الميت وكذلك بعض الحيوانات المحلية في الطابق العلوى . وكانت القرابين تذبح على سطح الهضبة ويحتمل انهم اغلقوا القبور بعد ملء الممرات بالاحجار ووضع كوم من التراب فوق الهضبة . وربما كانت توجد فراغات في الممرات مما ادى الى الانخفاض عند المدخل بسبب سقوط الرمال في هذه الفراغات .

وفي الهضبة E عثرنا على عظام انسان مع الاسنان على ارتفاع حوالى خمسة اقدام فوق الارضية وبالقرب من الممر الرئيسى ومن المرجح ان هذه العظام سقطت من السقف مما يدل على انه كان عبدا وقتل قربانا .

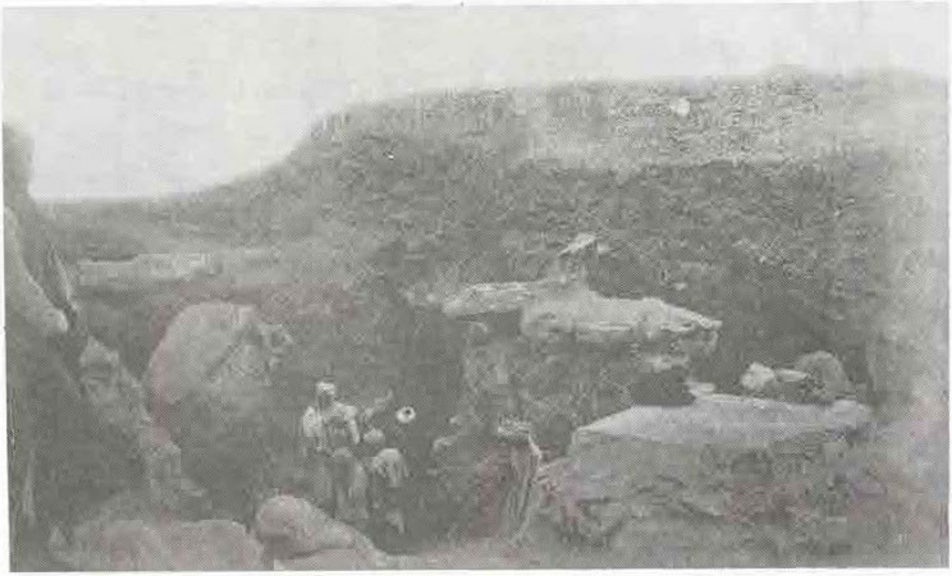
وكان في الغرفة السفلى مشكاة مثلما كان في الهضبة B وفيها عظام الحيوانات مثل الجربوع والنمس وطير وقط وارنب وقد سقطت هذه العظام من الطابق العلوى وفي الهضبة B عثرنا على قطع من الفخار من نوع خشن .

ان الحلقات الحجرية التى توجد في منتصف انحدار كل هضبة ربما ليست سوى زخرفة خارجية .

وقد بدأت فحص قبرى F وG في وقت استمرار العمل حول هضبة E وكانت قمة هضبة E محدبة وقمة G مخروطية ولا يستغرب بعد ذلك ان تكون هضبة G هضبة طبيعية بدون قبر .

ان الهضبتان EوG مملوءتان بالانقاض والرمال ونوع الارض تحتهما رملية تماما والارض في شمال الطريق الى المنامة عمقها بين ٦ ـ ١٢ بوصة فقط فوق الطبقة الصخرية وهى ارض مزروعة بينما الارض في جنوب الطريق نحو الرفاع مملوءة بحجر الصوان في الهضبة F سقط حجر ضخم من السقف الى الارض ورغم المخاطرة فان العمال الباتان زحفوا الى داخلها دون تردد واكتشفوا قطعا من الفخار المزخرف وخاتما ذهبيا مموجا وقطعا من حجر اسود . ووجدنا عظاما لبقرة وجمجمة قط في الهضبة G .

لقد يئست من العثور على هضبة خالية من الانفاق لكننى صممت على محاولة اخرى واخترت الهضبة H لهذا الغرض وحققت نجاحا ملحوظا عندما نظفتها بتكاليف بلغت ٢٥ روبية فقط . وتم العثور على عظام انسان في الممر المركزى . ووجدنا فيها مشكاة على الجانب الشرقى وكان الهيكل العظمى للميت راقدا على ظهره ورأسه متجه للغرب ووجدنا ايضا في هذه الهضبة حلقات للاوتاد وقطعا من اوانٍ فخارية بفوهات مع مرشحات مثل التى وجدناها في الهضبة C كذلك وجدنا قطعة من انية حمراء اللون بها نوع من الدهن . ولكن من سوء الحظ لم نجد ولا اناء واحدا



العمال على بوابة المقبرة E في عالى بعد ازاحة الاتربة



صورة للمقبرة E من الجنوب الشرقي

سليما سواء في هذه الهضبة او الهضبتين الاخريين ..

وفتحنا الهضبات I و J و K وقد كلفتنا مشقة كبيرة ونفقات كثيرة لان مداخلها لم تكن سهلة المنال . ووجدنا فيها قطعا من انية صفراء اللون وقطعة من زهرية حمراء اللون وقد ذاب لونها في الماء عندما وضعناها فيه .

وتم العثور على اداة في الهضبة J مصنوعة من العاج وتشبه القيثارة وكذلك قطعة معدنية كحلية للشعر وكان العاج منحوتا على شكل قدم ثور في اخرها ظلف واظهرت هذه القطعة مهارة كبيرة في النحت .

وهكذا تم فحص الهضبات الكبيرة ثم نقلت العمال الى موقع الهضبات الصغيرة في قرية عالي . وهنا قمنا بفتح ٣٥ قبرا بتكاليف بلغت ما بين ٥ و ١٠ روبيات لكل واحد وفي مدة عدة اسابيع فكانت القبور في كل الهضبات متشابهة مع فروق بسيطة وكان في بعضها مشكاة وكان بعضها مغطى بألواح حجرية ثقيلة حوالي ١٨ الى ٢٤ بوصة فوق الارضية وكانت مقاييس القبور ٦ او ٧ اقدام طولا و٣ او ٤ اقدام عرضا وبارتفاع مماثل ووجدنا فيها هياكل عظمية تالفة وفي اوضاع مختلفة ووجدنا جثة رجلاها وساقاها مشدودان للجسد واخرى في وضع جلوس كما وجدنا بعض التمور وانواعا من الفواكه تالفة للغاية وبعض الاواني الفخارية . ووجدنا حوالي ١٢ انية سليمة كما وجدنا قطعا من المعدن .

وفي ربيع عام ١٩٠٨ م عدت لمباشرة العمل على نفقتي الخاصة وفتحت هضبتين هما L و M في قرية عالي . كانت هضبة L ذات طابقين اعلاهما بارتفاع ٣ اقدام والاسفل بارتفاع ٧ اقدام وعثرنا كالمعتاد على قطع من الفخار والعظام والعاج والمعادن ووجدنا فيها الجثة مدفونة تحت اكوام من الانقاض مما يدل على انهم دفنوا الجثة وسط هذه الانقاض وهذا هو التفسير الوحيد لوجود كمية كبيرة من الانقاض في كل هضبات C و F و G و H وكانت الاكوام فيها مائلة الى الشرق ولم نعثر فيها على اية عظام . وظهر سؤال هو هل من الممكن ان تكون هذه القبور للنساء ؟

لقد تم العثور على قطع لثلاث اوان في هضبة M مع عظام كبيرة للرجل اليمنى والزراعين كما وجدت الجمجمة بجانب المشكاة في شمال الغرب وكان الفك السفلي منفصلا عن الجمجمة بقدم واحدة مع ان العظام لم تظهر اى اصابات سواء من انسان او حيوان . وكان الكابتن وايت والاسقف بارني موجودين عندما فتحت الهضبة .

وفي ختام هذا التقرير يمكن ان اقول ان مسألة القبور المقببة الواقعة بالقرب من قرية عالي قد حلت وان القبور الوحيدة التي تحتاج الى الفتح والفحص هي التي تقع شمال O و ٣ هضبات صغيرة في جنوب غربي A وقد يأتي حفرها بنتائج مشوقة .

وقد اهتم كل من الكابتن دوراند وبينيت بالزحف الى داخل الهضبة N قبل ان يتجها الى اماكن اخرى وتبدى الهضبة O حفرا افقيا حديثا من الشرق الى الغرب وقد يكون نتيجة ان الحجر



صورة من الداخل لأحد المقابر الصغيرة



بعض الآنية الفخارية التى عثر عليها بريدو فى المقابر

الرملى فى سطها غير منتظم وفى رأيى ان هذه الهضبة مشوقة للغاية لسبب موقعها وسط اربع هضبات من نفس الحجم . ومن المرجح ان هذه الهضبة كانت مرصوصة الى ثلث ارتفاعها بالالواح الحجرية وتعتقد القرويات حتى الوقت الحاضر بأن هذه الهضبة مسكن للجن وان الجنى الذى يسكنها يطلب عرض بعض البيض امامه مرة كل اسبوع .

ولاشك ان المستكشفين القدماء دخلوا الى الهضبة P وانهم اختاروا اساليب ملائمة لدخولها وانهم بدأوا حفر العمود الخارجى مثلما فعلت بالنسبة للهضبة H وقد تعرضت جوانبها الاربعة لعوامل التعرية عبر السنين .

ومن الصعب ان نحكم ما اذا كان المستكشفون فى الماضى قد نجحوا فى الوصول الى الغرف وهى فى حالة جيدة ام لا .

وفى رأيى ان الناس الذين حفروا هذه الهضبة ربما كانوا اما من الضباط المصريين واما من البرتغاليين الذين كان عندهم الفراغ اللازم لاكتشاف الثروات فى مثل هذه الاماكن فى القرن السادس عشر .

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من القبور المقببة الكبيرة الحجم فى جنوب الشارع الا ان ما يحتوى منها على طابقين يعتبر قليلا وحوالى ٥٪ فقط من بين الهضبات الصغيرة تضم قبورا لم يلحقها ضرر .

وتوجد الاف من القبور المقببة فى البحرين فهناك مجال واسع اذن امام علماء الاثار فى المستقبل للاجتهاد والتحقيق ولابد انهم سوف يشعرون بخيبة أمل لقلة الفحوص والدراسات التى جرت حتى الان .

اف. ب. بريدو
(١٩٠٦م - ١٩٠٨م)

تعليق

عن اللغة والأصول اللغوية فى البحرين

بقلم : د . مهدى عبدالله التاجر

مؤسسة كيغان بول ـ لندن ١٩٨٢م

من الناحية التاريخية فان الناطقين باللهجة البحرينية تنحدر غالبيتهم من قبائل عبدالقيس التى نزحت اصلا من سهول تهامة واستقرت باقليم البحرين وجزيرة اوال بعد ان تغلبت على قبائل اياد واجبرتها على الرحيل . اما ابناء اللهجة الثانية او اللهجة العنزية فينحدرون من اصول عربية متعددة نزحت غالبيتها من شمال ووسط جزيرة العرب فى اعقاب الحكم الخليفى للجزيرة فى عام ١٧٨٣م .

فأزدعمان نزحوا من اليمن بعد انهيار سد مارب وبالمثل فان قبائل عبدالقيس نزحت من سهول تهامة باليمن قبل ان تتخذ البحرين مقرا لها وربما فسر هذا التقارب التاريخى وجود خصائص صرفية موغلة فى القدم فى كل من اللغة البحرينية والعمانية واليمانية .

ويعتقد بعض المصادر العربية والاوروبية بان الخليج كان موطن الفينيقيين وان القبور المقببة البحرينية كانت اصلا قبورا فينيقية طبقا لما اورده كل من بينت ودوراند وبريدو الا ان هذه النظرية التى كانت مقبولة فى الماضى فقدت صلاحيتها فى ضوء المعلومات الأثرية الحديثة .

فقبل مجىء الاسلام كانت البحرين مأهولة من قبائل عبد القيس وبكر بن وائل وتميم .



الشرق بعيون نيبور

مشاهدات رحالة ألماني عن

نيبور يقول : العرب ملكوا الساحل

على الأور وبين الذين يعيشون بين

لقد حرصت الوثيقة ومنذ عددها الاول ان تحشد قدر المستطاع آراء بعض الكتاب القدامى مع التركيز على الذين عايشوا الاحداث ورأوها رأى العين وذلك لان الهدف الرئيسي هو توفير اكبر كم من المادة التاريخية الممحصة ليكون ركيزة لجيل جديد من الباحثين نتمنى ان تشهده منطقتنا وليكون فى نفس الوقت دليلا للقارىء العادى يعرف منه جوانب من الحياة الماضية على هذه الارض وهى جوانب كانت مجهولة الى حد بعيد . وليس معنى عرضنا لرؤية كاتب ما أننا نؤيد كل ما قاله او نتفق معه فيه او نقر بأنه صحيح مائة بالمائه «فالوثيقة» دورية متخصصة وأى دورية متخصصة يقاس نجاحها بمقدار ما تفجره من نقاش وما تقدمه من آراء متباينة ليست بالقطع فصل الخطاب .



الشرق منذ أكثر من ٢٠٠ عام

الشرقي للخليج من الفرات إلى الأندوس

المسلمين أن يحترموا تقاليدهم ومشاعرهم

لقد اعتمد كل المؤرخين المعاصرين الى حد بعيد على رحلات وكتابات مجموعة من الرحالة العرب والالمان والهولنديين والانجليز والفرنسيين . واذا كنا نحرص على تقديم صفحات مما كتبه هؤلاء الرحالة القدماء الذين تعتبر كتبهم وحتى الان المراجع الرئيسية لعملية التأريخ فاننا نهدف الى ان نضع ما كتبه هؤلاء مباشرة امام عين القارىء دون معالجة ودون تعليق ليستنبط الباحث لنفسه ما يراه ولنقدم صورة دقيقة لاسلوب كتابة هؤلاء الرحالة بمنظارهم هم وبالمؤثرات التى خضعوا لها عندما كتبوا ما كتبوه . ولنثير شهية باحثينا الشباب للتعليق والتصحيح وشدهم الى نوع من البحث منطقتنا احوج ما تكون اليه وهى تعيد كتابة تاريخها على اسس موضوعية وصادقة ومن بين هؤلاء الرحالة الذين نعرض لصفحات من كتبهم الرحالة نيبور الذى نطالع اسمه فى مراجع وهوامش اى كتاب يكتب عن الشرق فمن هو نيبور ؟

اسمه كارستن نيبور وهو رحالة المانى عاش بين سنة ١٧٣٣ و١٨١٥ م . وقد ولد فى هانوفر سنة ١٧٣٣ م واشتغل فلاحا فى بداية شبابه وتعلم المساحة وانضم فى سنة ١٧٦٠م الى الحملة الاستكشافية التى نظمها الملك فريدريك الخامس ملك الدنمارك الى كل من الجزيرة العربية وسوريا ومصر وذلك لينقلوا له صورة دقيقة للحياة فى هذه المناطق .

وقد ادى نيبور مهمته على خير وجه وضمنها عدة كتب منها الكتاب الذى ننقل منه هذه الصفحات عن الانجليزية . ثم رجع الى وطنه عام ١٧٦٧ م بعد ٧ سنوات قضاها متجولا فى الشرق وتوفى بملدورف «هولستائن» فى ٢٩ ابريل ١٨١٥ . ونيبور كان العضو الوحيد من اعضاء البعثة الذى بقى حيا فقد لقى الاخرون حتفهم . وقد طار صيت نيبور بين المؤرخين والعلماء ومازال وقد سجل نيبور مشاهداته فى «وصف للجزيرة العربية» و ..الاسفار فى الجزيرة العربية» وقد حوى كتاب الاسفار الذي ننقل عنه هذه الصفحات مجموعة من الصور بريشة احد زملاء نيبور فى الرحلة هو باورن فيزر سوف نعرض لبعضها اثناء عرض هذه الصفحات .

يقول نيبور : يخطىء بعض الجغرافيين اذا اعتبروا ان جزءا من السواحل العربية كان خاضعا لملوك العجم بل العكس هو الصحيح فقد ملك العرب المناطق الساحلية بالخليج من نهر الفرات الى نهر الاندوس باكمله .

وقد كانت المستوطنات فى هذه المنطقة الكبيرة مستوطنات عربية يستخدم فيها الناس اللغة العربية والتقاليد العربية مثل سكان الجزيرة العربية تماما . ويقال ان العرب استوطنوا هذه المناطق الساحلية منذ قرون عديدة وهناك مؤشرات تدل على وجود هذه المستوطنات العربية منذ ايام اول الملوك الايرانيين كما يوجد تشابه كبير بين حياة السكان القدماء للمنطقة وحياة العرب المعاصرين .

والعرب فى المنطقة عامة يمارسون الملاحة البحرية وصيد السمك وصيد

اللؤلؤ ويـأكلون السمك والتمـر وتأكـل مواشيهم الاسماك ولكل مدينة شيخ وهو ان لم يكن غنيـا فانـه يلجـأ الى شحن البضائع او صيـد السمك كـالاخرين . وتشمل الاسلحة التروس والسيوف وهم يستخـدمون مـراكبهم العاديـة كسفن حربية عنـد الضرورة ولكنهـا لا تكون قادرة على القيام بمهمات كبيرة فى الحرب وذلك بسبب الحاجة الى الطعام والماء فى فترات قصيرة . مما يجعل مطاردة العدو امـرا صعبا وممـا يفوت عليهـا فـرص المـطاردة السـريعـة والفعـالة وليست حـروبهم الا سلسلة من الصـراعـات والغارات دون نتائج حاسمة .

اما المخيمات التى يقيمون فيها فهى بسيطة للغاية وليس فيها ما يدعو العدو الى هدمها . والعرب يلجأون لذلك حتى يسهل عليهم عند الشعور بأى خطر ترك المخيمات والانتقال بواسطة مراكبهم الى مخبـأ امين بـاحدى الجـزر حتى يزول الخطر ثم يعودون .

بعض ولايات الساحل الفارسي

كانت جمبرون ميناء فى ولاية لارستان وقد حكمها الملوك الايرانيون وبعد وفاة نادر شاه حكمها ناصر خان وهو ايرانى الاصـل واعلن ولاءه لكـريم خـان والى شيراز ولكنه لم يدفع له اى خراج كما انه تعود الا يبدى احترامه له الا اذا حشد كـريم خان قـواتـه لتـأديبـه . وتـدعى جمبرون «بندر عباس» وقد ذاع صيتها فى القرن الماضى وبـداية القـرن الحالى كمينـاء لشيراز ولسـائر جنـوب ايـران وكانت تجارتهـا فى تلك الفترة مـزدهرة لكنها الأن كاسدة جدا لدرجة انه لا يوجد مكتب تجـارى اوروبى فيها . ويـرجـع سبب ذلك الى الاضطرابات الداخلية فى ايـران والى الحـرب بـين الانـجـليـز والفرنسيين . وقـد مارس الهـولنديـون التجـارة على مستـوى متواضـع لفترة لكنهم غادروا بندر عباس الى خرج ولم يبق لهم شىء فى جمبرون .

وقد فارق المجـد القديم هـرمز الان ويحكمها ملا على شاه الذى تولى الحكم عقب وفاة نادر شاه . والمعروف ان ملا على شاه كان القائد البحري الايراني . ويملك حاكم هرمز جزءا من جزيرة قشم ايضا بينما الجزء الاخر يملكه حاكم سير وتقع مدينة او ميناء (سير) فى لارستان على بعد ٦ فراسخ من الشاطىء وسكانها يمارسون الزراعة ويعترفون بسلطة خان لارستـان عليهم . ويعيش البلوش وهم قبيلة عربية بين ميناء وخليج جشك وهم يملكـون عـددا كبيـرا مـن المـراكب ويمارسون التجـارة مع البصـرة وحتى المنطقة الساحلية الهندية وقد تحالفوا مع الافغان فى حركاتهم ضد ايـران ويقول بعض علماء الجغرافيا ان قبيلة البلوش تعيش فى سائر انحاء الساحل الايرانى وحتى مصب نهر الاندوس . وهى قبيلة

مقاتلة مولعة بالحرب وتمارس القرصنة . وغالبا لا تعترف القبيلة بأى سلطة خارجية غير سلطة شيوخها . وحكى بعض السياح ما حدث فى القرن الاخير عندما قام حاكم جشك بمقاومة قوات الشاه عباس بشجاعة كبيرة حتى وقع اسيرا بالخدعة ولكن ارملته استمرت فى المقاومة ضد شاه ايران وسجلت بطولات نادرة فى المعركة وربما تتعلق هذه المغامرات بأحد شيوخ البلوش .

والارض الواقعة بين بندر عباس ودلم شمالا تشبه تهامة فى الجزيرة العربية وهى ارض قاحلة ويسميها الايرانيون «كرم سير» اى البلد الحار وليست هناك اماكن مأهولة فيما عدا مكان يسمى «خمير» وهو عبارة عن قصر فوق احدى الصخور يملكه احد الشيوخ ويكثر فيه الكبريت الذى تأتى السفن لاخذ كميات منه .

أراضي قبيلة الهولة

تسيطر قبيلة الهولة على السواحل من بندر عباس الى رأس يردستان وتملك جميع المواني فيها. وتمتد جبال ظهرستان الى البحر ويتوافر فيها الخشب الذي يقوم الناس بتصديره وعلى الرغم من هذه الميزات فان عرب الهولة لا يمارسون الزراعة بل يعيشون على الصيد وهم من أهل السنة وقد اشتهروا بالشجاعة لدى جيرانهم . وهم اذا اتحدوا فان بأمكانهم الاستيلاء على كل المنطقة لكنهم منقسمون على انفسهم ويرأس كل مدينة شيخ ولكن ليس هناك من يستطيع جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتنسيق جهودهم . وهكذا يظلون فقراء ضعفاء .

وفيما يلى تفاصيل عن الشيوخ والامراء من قبيلة الهولة .

«شيخ سير» يملك هذا الشيخ ايضا المدن الاتية بالقرب من جمبرون : كنج ولنجه ورأس حطى . ويقوم سكان سير بتصدير الخشب والفحم كوقود .

شيوخ مخا وخرك : يقوم سكانهما ايضا بتصدير الخشب وهم اشجع الرجال بين الهولة .

شيوخ نخلو ونابند وآلو وطاهرى وشيلو وكونكون ويعتبر سكان نخلو من امهر الغواصين كما يعرف سكان كونكون بحبهم للأمن والسلام ويعيش بينهم بعض اليهود والتجار الهنود ويعيش الايرانيون فى المنطقة بين بوشهر ورأس يردستان و لا يملكون السفن ويهتمون بتربية الدواجن .

مشيختا بوشهر وبندرريق

بوشهر هى عاصمة الولاية التى تحمل نفس الاسم وبها ميناء واسع وتستطيع السفن الاقتراب حتى البيوت نفسها . لذلك اختارها نادر شاه مركزا لأسطوله البحرى . وتبقى بعض اثاره حتى الان .

وقد اصبحت هذه المدينة شهيرة ايام نادر شاه اما الان فهى ميناء لشيراز وللانجليز لانهم الوحيدون بين الدول الاوروبية الذين يمارسون التجارة مع ايران . والعرب الذين يسكنون بوشهر ليسوا من الهولة ومن بينهم ثلاث عائلات بارزة . اثنتان منهما من ابناء البلاد منذ القدم والثالثة (المطاريش) جاءت من عمان وبالتعاون مع العائلتين الاخريين نالت مكان قياديا منذ سنوات عديدة وينتمى الشيخ الحالى(ناصر) الى عائلة المطاريش وله نفوذ على البحرين ايضا ولديه بعض السفن كما يملك بعض الامتيازات فى «كرم سير» التى يملكها نيابة عن كريم خان ويحتجز كريم خان ابناء ناصر لديه كرهائن ليضمن ولاءه له . وهكذا تضمن شيراز بقاء حاكم بوشهر وفيا لمصالح ايران بواسطة مراقبة ممتلكاته فى «كرم سير» .

وكان الشيخ ناصر حريصا على تعيينه قائدا بحريا للاسطول الايرانى ولكن ذلك سبب له ولعائلته بعض الاضرار لان الناس يكرهونه ولا يعتبرونه من الاشراف العرب .

وتقع بندرريق فى شمال بوشهر وهى مدينة حولها سور وتشمل حدودها بعض المساحات «لكرم سير» ولذا يعتمد شيخها الى حد ما على كريم خان . ويمارس سكان هذه المشيخة الملاحة كما يهتم الايرانيون منهم بتربية الدواجن .

وتنحدر الاسرة المالكة لبندرريق من قبيلة بنى كعب العربية وهم فى الاصل من عمان . والامير الحاكم فى بندرريق (مير مهنا) معروف بالقسوة والظلم والاستبداد . ويقال انه امر خدمه بقتل ابيه فى حضوره لانه كان يحب اخاه الاكبر . ثم قتل امه لانها لامته على قتل ابيه وقتل بعد ذلك اخاه و١٦ من اقاربه لكى يطمئن ان لا احد سوف ينافسه على العرش . وقتل اختيه لأن احد الامراء اقترح الزواج من احداهما وتخلى عن بناته بتركهن فى العراء . وكان هذا الوحش الادمى قد فعل كل ذلك وهو لم يبلغ بعد سن الثلاثين وذلك فى سنة ١٧٦٥ م . وقد وقع «مير مهنا» اسيرا فى ايدى كريم خان ولكنه تمكن من الفرار عندما هزم والى ايران فى احدى المعارك ولكنه قبض عليه مرة اخرى ليطلق سراحه بناء على توصية احدى اخواته التى كانت متزوجة من ضابط ايرانى . وعندما عاد الى ارضه واصل نهب القوافل التى كانت تمر بين شيراز وبوشهر كما قام باعمال القرصنة وحاول كريم خان محاصرته ليعاقبه لكنه لم ينجح . وفى عام ١٧٦٥ بعث كريم خان بمبعوثه الى مير مهنا ليطلب منه الخراج المستحق لامتيازاته فى كرم سير لكن المبعوث تعرض للتعذيب وامر مهنا بحلق لحيته . فقام كريم خان بغزو بندرريق واستولى عليها الا ان مير مهنا تركها فى



○ أحد اليمنيين بملابسه القومية كما رسمه باورن مرافق نيبور .

الوقت المناسب مع جنوده الى جزيرة خرج حيث بقى هناك مدة الى ان انسحب الجيش الايرانى من بندرريق فعاد اليها وتولى حكمها مرة اخرى بعد ان اخرج منها الحامية الايرانية .

وقد لجأ هذا الطاغية الى الافراط فى شرب الخمر وبدأ يمارس الظلم والاستبداد حتى ضد جنوده انفسهم وقطع انوف واذان بعض الضباط ورغم ذلك بقى الجنود مخلصين له واستعادوا جزيرة خرج من الهولنديين وهو لايزال فى المنفى .

قبيلة كعب وشيخهم سليمان

تسكن قبيلة كعب فى اقصى جانب للخليج ولم تكن لها اية اهمية حتى تولى الشيخ سليمان الحكم وذاع صيته حتى وصل الى اوروبا لانه تعرض للانجليز واستولى على بعض سفنهم .

وقد استغل الشيخ سليمان انغماس ايران فى مشاكلها الداخلية وضعف حكومة البصرة وبسط سيطرته على جميع المناطق المجاورة له فى ايران . ووعد بدفع الخراج الى «خان» الذى كان يطمع فى تولى العرش على ذلك الجزء من الامبراطورية ولم يحاول احد منهم جمع الخراج ما عدا كريم خان الذى اكتفى بمبلغ ضئيل حصل عليه . واستمر الشيخ سليمان يوسع فتوحاته نحو البصرة وحصل على دعم وصداقة سكان منطقة «أجل» وأصبح مالكا لجميع الجزر فى مصب نهر الفرات (شط العرب) وعقب احتلال الشيخ سليمان لشط العرب حاول بناء اسطول بحرى وبنى اول سفينة فى سنة ١٧٥٨ وازداد عدد السفن فى سنة ١٧٦٥ الى عشر سفن كبيرة وسبع سفن صغيرة .

وقد ارسل كريم خان فى نفس العام اى ١٧٦٥ قوة كبيرة ضد الشيخ سليمان ولكن الشيخ انسحب بأمواله وجنوده الى غرب شط العرب ووجد الجيش الايراني ان مطاردته امر صعب لعدم وجود السفن الكافية فاضطر الى الانصراف . ثم امر باشا بغداد قواته بمهاجمة الشيخ سليمان لكنه اتبع نفس الحيلة التى استخدمها مع الايرانيين ونجا من مطاردة الاتراك بنفس الاسلوب . واراضى قبيلة كعب تمتد من صحراء الجزيرة العربية الى هنديان وفى الشمال الى دويلة الحويزه وتقع فيها انهار كبيرة وصغيرة وتكثر فيها التمور والارز والحبوب والاعلاف ومدنها الرئيسية هى دامك على حدود ايران وحاسر وغبن وهى مقر الشيخ وتقع بالقرب من مصب الفرات .

دويلات مستقلة اخرى

● «هنديان» وتقع فى شمال بندرريق على حدود اراضى قبيلة كعب وهى ولاية صغيرة وتخضع لحاكم مطلق . والعرب

الذين يعيشون فيها يمارسون الزراعة وتربية الماشية .

● «الحويزه» وتقع على حدود الخليج فى المناطق الداخلية ويحكمها حاكم باسم المولى وهو من آل البيت ويصدر العملة باسمه وتوجد جزر عديدة على الساحل الشرقى للخليج معظمها مأهولة وتشتهر من بينها هرمز فقط كدويلة مستقلة اما الجزر الباقية فتخضع لأقرب حاكم على البر الرئيسي حسب موقعها .

* * *

ومن الخليج ينتقل نيبور الى تركيا والشام ومصر ويواصل جولاته فى مختلف انحاء الشرق الاوسط ليقدم لنا صورة لشاهد عيان عن احوال الناس وعاداتهم وازيائهم . فيقول :

ان الملابس التى يرتديها الاتراك غالية جدا حتى بالنسبة لعامة الناس وهى ملابس غير مريحة خاصة اثناء العمل . فيلبس الرجل العادى نوعا من السراويل الضيقة مع قميص . ويلبس الفلاح القميص والسروال الداخلي فقط . ويحمل الاتراك معهم اثناء السفر حقيبة زرقاء يضعون فيها ثيابهم الطويلة . وهم يربطون ارجلهم بلفات من الاربطة ويرتدون احذية واسعة وعلى الرغم من ان هذا الزى غير مريح الا انه يسبب الدفء .

ويلبس المسيحيون فى الشرق ملابس كالاتراك الا انهم يفضلون الالوان الزاهية والاحذية المصنوعة من جلد اصفر ويصبغون منازلهم بألوان قاتمة . ويسمح للنصارى من الاوروبيين باستعمال الجلد الاصفر وجميع الوان الملابس فيما عدا اللون الاخضر اذ انه مخصص للمسلمين .

* * *

ويحلق الشرقيون عامة شعرهم ولا يتركون على رؤوسهم الا خصلة صغيرة وذلك لا ينطبق على بعض رجال الدين المسلمين .. وقد لاقى هذا التقليد نقدا بين بعض الناس فى اوروبا لانهم يعتقدون ان حلق الرأس يؤدى لانتشار الاصابة بمرض السكتة بين الجيل الجديد وهذا لا يسرى على الاتراك الذين يغطون رؤوسهم وبذلك يحافظون على صحتهم بصورة افضل منا . ويبدو انهم يغطون رؤوسهم التماسا للدفء وان كانت هذه الاغطية تبدو لنا ـ كأوروبيين ـ حارة وغير مريحة فى الصيف . وهم لا يرفعون اغطية رؤوسهم تحية للاخرين كما تعودنا على ذلك ويعتبرون التقاليد الاوروبية بهذا الخصوص مضحكة وسخيفة للغاية .. والشرقيون يستعملون انواعا شتى من اغطية الرأس وهذا يخالف الفكرة السائدة التى تقول انهم لا يختلفون في لبسهم . والتباين فى اغطية الرأس لا



○ احدى السيدات وجاريتها في احد البساتين عام ١٧٦٠م .

علاقة له بالازياء بل هو دليل على طبقاتهم ومهنهم وحرفهم اما الخدم فيلبسون زيا خاصا بهم . ويمكن لنا ان نعرف مهنة الشخص بمجرد النظر الى لبسه او غطاء رأسه . ويشير الاوروبيون الى كافة انواع اغطية الرأس على انها العمامة والعمامة لها ثلاثة اقسام .

اولها : العمامة العالية وهى ملفوفة حول قطعة نسيج رقيقة من القطن ويسميها الاتراك (القلنسوة) او الـ (كاؤك) .

والثانية : قلنسوة قطنية قصيرة ومنخفضة الجانب ويسمونها (ساش) وهى عمامة عربية وقد نقل هذا الطراز من العمامة الى انحاء اخرى من اسيا وباشكال مختلفة .

والثالثة : كالثانية الا انه معلق بجانبها قطعة من جلد الحمل او القرد بدلا من قطعة القطن ويسمونها (كلباك) واصلها تترى ويلبسها النصارى الشرقيون .

ويلبس الرجال البارزون فى تركيا (الكوك) وهو من قماش اصفر مع قطعة من نسيج قطنى رقيق . ويرتدى الاشراف وهم من نسل الرسول قطعة خضراء حول العمامة وهم لا يتولون الوظائف العامة ويلبس القبط والنصارى قطعة من القماش القطنى مخططه بالازرق والابيض حول (الكاوك) الذى يصنع من نسيج احمر .. ويقلدهم فى ذلك بعض الاوروبيين وحتى القديسين وغيرهم عدا الرهبان الكبوشيين اذ يرتدى هؤلاء الرهبان ازياء ممزقة وقذرة مما يكرهه المسلمون لان المسلمين يعتبرون النظافة جزءا من الايمان .

ازياء النساء :

يجد السياح صعوبة فى التعرف على ازياء النساء لان الاجانب لا يسمح لهم بالدخول الى حرمة بيوت المسلمين ولذلك يصعب عليهم التعرف على ازيائهن الا اذا خرجن للشارع . ولا يحب المسلمون ان ينظر احد الى نسائهم فى الشوارع نظرة فاحصة .

وعلى العموم فالمرأة تلبس رداء داخل رداء مما يجعل من الصعب على الناظر ان يعرف تفاصيل الزى او ترتيب اللبس لكل قطعة من الزى . وعندما تخرج نساء القسطنطينية الى الشارع يلبسن الكتان الابيض بكثرة ولا يرى من المرأة الا عينيها فقط وتظهر كالمومياء المتحركة . وفى القاهرة تخفى النساء رؤوسهن بمنديل اسود كما يلبسن قطعة كتان واسعة حول صدورهن وهن يخلعنها عندما يدخلن بيوت صديقاتهن . ولم تتح لى الفرصة قط لأرى امرأة من طبقة ممتازة لذلك لا يسعنى الا ان ادعو القارىء الى مراسلة مدام مارى وورتلى حول الموضوع فقد زارت النساء الشرقيات من كل الطبقات داخل بيوتهن

وشاهدت تفاصيل ملابسهن بدقة ومع انه يقال انها تبالغ في وصف المرأة الشرقية وجمالها وروعتها وحسن اخلاقها لكني اعتقد انها على حق لانها اهتمت بمحاسن هؤلاء النساء بينما غيرها من السياح الاخرين لم يهتموا الا بعيوبهن . وما اذكره هنا فقط هو عن ملابس النساء من الطبقات الفقيرة .

تلبس النساء في الشرق السراويل التحتية ولا تلبس النساء من الطبقات الفقيرة الا قميصا طويلا من اللون الازرق وهن بذلك يعتبرن شبه عاريات الا انهن جميعا يلبسن الحجاب ودون استثناء ويبدو ان الحجاب يشكل اهم جزء من ملابس النساء اللائي يحرصن على تغطية وجوههن .

والحجاب عبارة عن قطعة من الكتان مثلثة الشكل مثبتة فوق الرأس وتغطي الوجه دون العينين والنساء في بعض الولايات وخاصة في سوريا يلبسن نوعا من القبعات البيضاء اللون مخروطية او عرضية او ذات اشكال غريبة اخرى . اما العربيات في مصر خاصة في منطقة الصحراء فيلبسن حليا غريبة كالحلقات المعدنية الكبيرة في الاذنين او الانف او الارجل او يلبسن سوارا وخاتما من الخواتم الرخيصة . ويعلقن قطع المرجان على جباههن وفي بعض الاحيان تعلق الفتيات اجراسا صغيرة على خصلات الشعر . او في الاقدام وتزين بعض النساء انفسهن بعلامات زرقاء من الوشم على خدودهن او ذقونهن وبعضهن يصبغن ايديهن بلون أصفر واظفارهن بلون احمر لأنهن يعتبرن اختلاف الالوان وكثرتها رمزا للجمال والجاذبية .

وملابس الاغريقيات لا تختلف عن ملابس التركيات ولان الاوروبيين يتزوجون اليونانيات في بعض الاحيان فان ذلك اتاح لنا الفرصة لرؤية ثيابهن واسلوب ارتدائهن للملابس . وهكذا تكونت لدينا فكرة عن ملابس المسلمات من الطبقة العليا .

الاغريقيات يلبسن السراويل الداخلية الطويلة التي تصل الى اقدامهن . وملابسهن تحت الخصر تشبه ملابس الرجال . والرجال والنساء على السواء يلبسون احذية واسعة تشبه الشباشب . وتلبس النساء فوق السراويل قميصا من كتان خفيف وفوقه صدرية مربوطة بحزام واسع . وفوق الصدرية سترة بكم قصير لا يزيد طوله على شبر واحد وتختلف اشكال اغطية الرأس اختلافا تاما . وتهتم الشرقيات بها اكثر من الاوربيات . بل ان بعضها اجمل من الاخرى التي تستخدم في اوروبا لانها اغلى ثمنا واروع في مظهرها الخارجي ويجب ان ننظر الى الجميلات الشرقيات وهن جالسات على الارائك لان مشيتهن ليست بجميلة فقد تعودن على الجلوس القرفصاء وعلى ارتداء

الشباشب الواسعة المصنوعة من الجلد الخفيف مما جعل مشيتهن تنقصها الرشاقة . وترتدى النساء الاوروبيات اللائى يعشن فى تركيا احذية عادية مهما كان نوع ثيابهن وحتى اذا لبسن ملابس الشرقيات . ومن السهل علينا ان نعرف من مشية المرأة الشرقية ما اذا كانت معتادة على الجلوس القرفصاء او على الكراسى . وكثيرا ما تملك النساء فى القسطنطينية العربات ولكنهن لا يستخدمنها . والعربات التركية تشبه عرباتنا من الخارج الا انها تنقصها الابواب كما تنقصها النوافذ الزجاجية وتوجد بها نوافذ خشبية . ويتم الدخول الى العربة من الخلف عن طريق سلم يصنع لهذا الغرض . وفى داخل العربة توجد سجادة بدلا من المقاعد ويجلس الاتراك على هذه السجادة .

اما فى القاهرة فلا توجد اى عربات وتركب النساء سواء كن غنيات او فقيرات الحمير ويسمح للزوجات اليهوديات والنصرانيات بمواصلة الركوب عند المرور بالاعيان المصريين على سبيل احترام النساء .

اللهو والتسلية عند الشرقيين .

رغم ان موضوع اللهو والتسلية لدى بعض الناس موضوع تافه الا انه يشير الى مسيرة اى شعب واخلاقه ولا يجوز غض النظر عنه اذا اردنا ان ندرس اخلاق شعب ما وخاصة فى الشرق لان اساليب التسلية فيه مرتبطة بتقاليدهم وطقوسهم القديمة ومعرفتنا بها توضح لنا معالم هذه الطقوس .

ان عادات الشرقيين تمتاز بنوع من الكآبة ويرجع سببها الى الطقس والتقاليد المتبعة فليس هناك حرية فى الزيارات والاتصالات بين العائلات على المستوى الاجتماعى وتمنع الخشية من الحسد الاكثار من الدخول الى المنازل او الاكثار من الزيارات مما يخلق نوعا من التصلب فى العلاقات الاجتماعية . والرجال عندما يعودون الى بيوتهم من العمل يلزمون الصمت لانه ليس لديهم موضوعات يحبون تبادل الرأى فيها مع نسائهم . وهكذا يصبح الصمت هو المزاج العادى . ولا يوجد نظام للتوظيف الا للقليلين وعامة الناس اكثرهم اميون ولا مجال لترقية الادب والفن مما قد يدخل الانشراح الى الصدور وهذا يؤدى الى الكآبة وهم قلقون دائما على اعمالهم وتجاراتهم مما لا يعطيهم الفرصة للتفكير فى اللهو او اللعب .

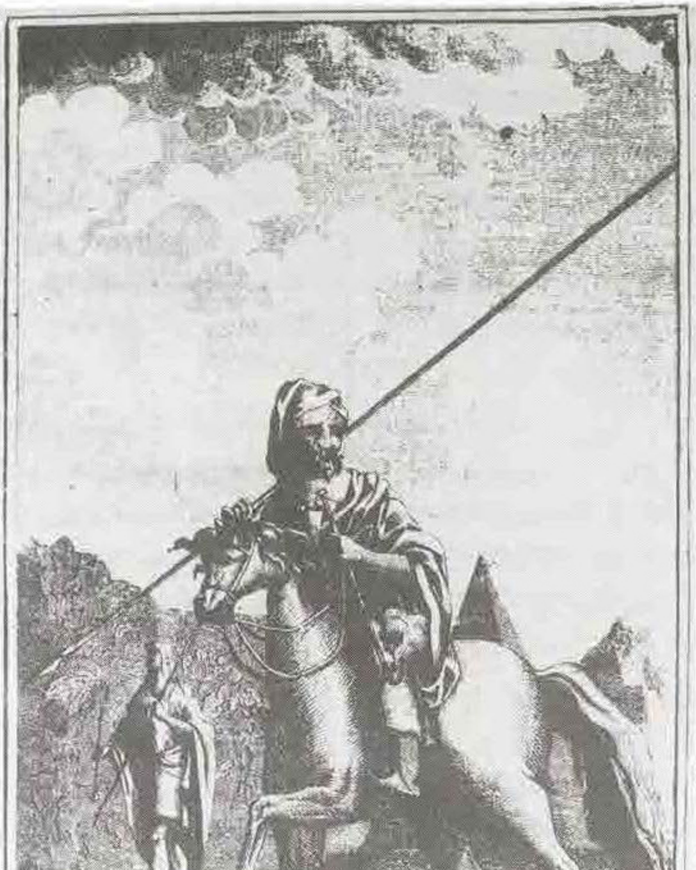
وبالطبع تختلف فكرة اللهو لديهم عن الناس الاخرين الذين يتمتعون بفراغ طويل ويميل الرجال الى ارضاء نسائهم مهما كان الثمن . واذا كان المجتمع الاوروبى يركز على الجنس والنساء والهدوء التام فى الحياة اليومية الا ان الامر فى الشرق على العكس من ذلك

فأساليب اللهو تصطبغ بصبغة اجتماعية اكثر رجولية . وانواع التسلية لدى الشرقيين البسطاء بسيطة وغير شائقة اذ يبقى الرجال فى المساء مع نسائهم داخل البيوت ولا نعرف على وجه التحديد ماذا يحدث فى الداخل . فالمرأة الشرقية فى الغالب جاهلة وهى ليست سوى طفلة كبيرة وقد تكون الالعاب فى جناح النساء العابا صبيانية للغاية وقد سمعت كلاما يؤكد هذا الرأى .

والعثمانلية او الاتراك من الطبقة العليا يمارسون تقاليدهم العسكرية القديمة وهم يحبون العاب الفروسية ويجتمع الاعيان فى القاهرة مرتين فى العام فى ميدان واسع ومعهم الخيول ويجرى سباق الخيل بينهم بأشكال مختلفة كان يركبوا الخيل دون ركاب أو يتباروا فى رمى رماح طولها اربعة اقدام وغيرها من الالعاب . ويجب على اللاعب ان يكون حذرا حتى لا يصاب بجراح خطيرة اما اللعبة الشعبية فهى الرماية وينال الرامى البارع تقدير الشعب حتى انهم يرفعون اعمدة وأقواسا تذكارية له .

واثناء فيضان النيل فى القاهرة يخرج الناس فى مراكبهم الصغيرة ويتمتعون بعزف الموسيقى والالعاب النارية بالمفرقعات التى تقام بهذه المناسبة وقد اخبرنى رجل من طرابلس بأن الباشا رفع سقالتين عاليتين فى المدينة ووضع عليهما سفينتين صغيرتين مزودتين بالمدافع الصغيرة . وقام فريقان بتمثيل حرب بحرية بين السفينتين . والسفينة التى اصيبت بأضرار بليغة اعتبرت مهزومة . ولكن هذه اللعبة الغيت بعد قليل لانها ادت الى بروز خلافات شديدة بين المتنافسين .

ويمارس الخدم فى مصر الرياضة البدنية بالمشى او برمى رماح طولها بين ٤ و٥ اقدام كتمرين لرمى الرماح من على ظهر الحصان او استخدام الهراوة او المصارعة ويلبس المصارعون وسادة على الزراع اليسرى كترس اما فى الريف فيلعب الشباب كما فى اوروبا بالجرى والقفز او الكرة ورمى الحجارة فى الهواء وتلقيها مرة اخرى فى يد واحدة دون ان تسقط على الارض . ومن الطبيعى للناس الذين يعيشون منعزلين عن المجتمع ان يفرحوا بمناسبات الاعياد وتستقبل هذه الاعياد فى مصر بحفاوة بالغة خاصة عند مغادرة الحجاج الى مكة او عند تأسيس مسجد جديد اذ تسير مسيرات شعبية ويجتمع الناس فى الميدان المتصل بالمسجد الجديد . ويحتفل كل من المسلمين والقبط بأعيادهم الخاصة ويشارك كل الناس فى الافراح . ويتم الاحتفال بالاعياد فى بعض الاحيان ليلا ويتم اضاءة الشوارع فى هذه المناسبة بواسطة الاخشاب وتضاء ايضا عدة مشاعل خشبية وترفع على اعمدة ويفرح الناس اثناء النهار بالمراجيح وغيرها من



○ فارس عربى يحمل رمحه الطويل فى احدى مباريات الفروسية .

المظاهر المألوفة .ويقضى الناس عامة فى كل من سوريا ومصر والجزيرة العربية معظم وقتهم فى المقاهى حيث تعزف الموسيقى وتقدم الاغانى وتروى عليهم القصص والحكايات ويلزم الشرقيون فى هذه الاماكن الصمت التام ويسهرون ساعات طويلة دون ان يتفوهوا بكلمة واحدة بل انهم يفضلون التدخين على الكلام وقد يكون التدخين اصدق مظهر لما يشعرون به فى قلوبهم . وهم يستخدمون التبغ بدلا من الافيون او الخمر لان الخمر من المنكرات عندهم .

وهناك انواع عدة لغلايين التدخين منها ما هو مصنوع من الطين المحروق ويستخدمها الفقراء ومنها ما هو مصنوع من مواد غالية وهى مزخرفة ويستعملها الاغنياء بعد وضع قطعة قماش رطبة على فمها لتلطيف الدخان فى الصيف . ومعظم الناس فى آسيا يستعملون الشيشة الايرانية او النارجيلة وهى عبارة عن ثمرة جوزهند ممتلئة لنصفها بالماء ولها انبوبتان احداهما متصلة بالدخان وفوقه النار والاخرى فى فم المدخن . والمعروف ان كريم خان وهو حاكم جنوب ايران حاليا مولع بالشيشة وربما كان ذلك هو السبب فى ان التجار يطلقون على الشيشة اسم (كريم خان) والتدخين بالغليون الايرانى ينعش المدخن ويدفئه فالدخان يدخل الى الرئتين ومنهما تصل الحرارة لباقى اجزاء الجسم .. وقد قمت بزيارة نهر الفرات فى موسم الشتاء وقد اضطر رواد السفينة الى النزول للماء البارد لمعالجة المركب فأعطيت لهم بعض التبغ للتدفئة فرحبوا به لان الخمر ممنوعة عليهم .

الألعاب فى الشرق :

يمنع القرآن القمار فلذلك لا يشارك الشرقيون فى العاب القرعة او اليانصيب . وهكذا يتجنب المسلمون هذه الالعاب المذمومة التى يلعبها الاوروبيون . ويقولون ان هذه الالعاب تفسد قلب الانسان وتثير شهواته وتقضى على قدراته البناءة وتجعله شخصا تافها .

ورغم ذلك فقد رأيت بعض المسلمين يلجأون الى هذه الالعاب تحت تأثير الاوروبيين وخاصة عندما لا تكون معهم نساؤهم . وهم لا يعرفون لعبة الورق ولكنى رأيت اربعة من التجار العرب فى بومباى وهم يلعبون لعبة الورق الصينية ذات الاوراق كبيرة الحجم . وصدفة فاجأت عددا من الشبان المسلمين وهم يلعبون الورق فظهر عليهم الخوف وارتاح بالهم عندما علموا اننى رجل اوروبى . وهم يقلدون اليونانيين فى لعبهم ويلعبون الورق بمهارة .

والشرقيون يلعبون العابا اخرى لا تتطلب الحركة وتقتضى الجلوس فقط فى

مكان واحد مثل الشطرنج والنرد ويلعبونها يوما بعد يوم دون توقف مع ان زملاءهم يعتبرونهم اغبياء .

ويستخدم هؤلاء اللاعبون قطعة من القماش مخيطة بخيوط ملونة بدلا من اللوحة الخشبية لتسجيل النقاط . وبعد انتهاء اللعبة يلفون قطعة القماش وفيها النرد كله وهناك لعبة اخرى تستخدم فيها لوحة خشبية وعليها شكلان مربعان منقسمان الى خطين قطريين وتنقل عليها صدفات او احجار ملونة وقد انتقلت هذه اللعبة الى اوروبا ويلعبها الاوروبيون ببذور بيضاء وسوداء . كما توجد هناك العاب كثيرة اخرى لكنها بسيطة مثل مانكالى او تابوك دوك وتشبه هذه اللعبة لعبة الطاولة وتستخدم فيها ٤ قضبان بيضاء وسوداء تنقل من مربع الى مربع على اللوحة .

وهناك لعبة قديمة اخرى رائجة بين الشرقيين ويسميها العرب (لال الكعب) وتستخدم فيها قطع صغيرة من عظام الخروف او الماعز وقطع العظام المستخدمة لها ارقام رمزية ونجد تفاصيل هذه اللعبة فى الكتب اليونانية واللاتينية القديمة وربما كانت مصدر لعبة زهر الطاولة .

الموسيقى فى الشرق

يعتبر العرب والاتراك من الطبقة العليا تعلم الموسيقى امرا غير مشرف ويبدو انهم ينقصهم الاحساس بالموسيقى وهم لا يقدرونها حق التقدير بل ينظرون للفن بكراهية وحتى الاساتذة من بينهم يبدون احتقارهم للموسيقى والموسيقيين وليس بغريب ان الموسيقار هنا لا يحترم وكسبه محدود جدا .

والموسيقى الشرقية تعرضت للاهمال وتختلف صيغتها عن الموسيقى الغربية وتمتاز ببساطة ورزانة دون تعقيد فى طبقات الصوت او تغييرها ويضطر الموسيقار ان يغنى على مهل حتى يفهم المستمع الكلمات والتعبيرات بسهولة وقد اتيح لى ان استمع لتلاوة القرآن من احد الشيوخ وكان يقرأ بأسلوب رشيق وكان لنغمة التلاوة جاذبية فوق العادة مع تأثير عميق للكلمات . وعندما قمت باسفارى عبر النيل شاركت الملاحين فى ترديد اغاني الحب والغرام وكانت الكلمات تشبه الحبيبة بالخيارة وتشبه عيونها بعيون الغزال كما تشيد بجمال يديها الصفراوين واظافرها الحمراء . وكان الكورس ممتعا للغاية .

ويحفظ الناس كلمات الاغنية عن ظهر قلب ولا يغنون الاناشيد بنوتة موسيقية بل من حيث تأثيرها على الاذن وعندما كنت فى بعض الولايات التركية علمت عن وجود بعض المغنين الكبار فى دمشق يستخدمون علامات سرية ليتذكروا الالحان الموسيقية وعندما رجعت الى دمشق فتشت عن هؤلاء المغنين الا اننى

لم اجـد احدا او حتى شخصـا واحدا يعرف النوتة الموسيقية مع ان الدراويش من طائفة الميرلاوى التركية مشهـورون بمهارتهم فى الموسيقى .

وقد ساعدت فى ترتيب اقامة حفلات موسيقية فى كل من بغداد والقسطنطينية وبـالرغم من انها لم تكن عـلى مستوى الحفلات الاوروبية الا انها كانت ممتعة ومشـوقـة للنـاس الذين لم تكن لديهم مهارات موسيقية فنية . وممـا سبب لى بعض الازعاج تكرار اللحن عـدة مرات بصوت عميق وجهورى بعد عزف الالات المـوسيقيـة بـالانسجـام والتنسيق فى البداية واستمرار التكرار دون توقف .

ان المـوسيقى الشـرقى لا يعجـب الاوروبى كمـا لا يـعجـب المـوسيـقى الاوروبى الشرقيين وقد عزفت انا وزميلى المستر باورن فيزر الكمان امـام العرب المثقفين الذين جاءوا لزيارتنا ومع انهم لم يعبروا عن استيائهم للموسيقى الغربية مباشرة الا اننا احسسنا انهم يفضلون الموسيقى الشرقيـة . ويعتبرونهـا اكثر حيوية ورجولة وذات ليلة شاركنا فى حفلة موسيقية فى القـاهرة مـع بعض التجار الانجليز وعزفنا على الكمان وعند العودة الى منـزلنا سمعنـا اغنية يغنيهـا احـد المطربين على الفلاوت وقد تأثر بها احد خدمنا الذى اعرب عن اعجابه بها بصوت عال قائلا : الله اكبر .. ما اجملها بارك الله فيك» ودهشنا وسألناه كيف وجدت عزفنا فقال : ان موسيقاكم وحشة وغير سليمة ولا يمكن لرجل مثقف ان يتمتـع بها .

وتكوين الالات الموسيقيـة الشرقيـة بسيط ويرجع تاريخها الى زمن قديم ولم يجر عليها اى تعديل يذكر عبـر القرون ويستخـدمها النـاس فى جزر الارخبيـل ايضا وهى ثلاثة انواع ومنها الات ذات ٣ او ٤ اوتـار يسميهـا اليـونـانيـون «اسيتـالى» و«سمارى» و«بكـلاما» عـلى التوالى ويسميها العرب «الطنبورة» وهو اسم يـطلق على كـافة الالات الوتـريـة ويستخدم اليونانيون آلة موسيقية عـلى شكل قوس بثلاثة اوتار ويعزفون عليها بمضـرب خشبى عليه اوتـار من شعـر الخيل ويسميها العرب «الليرا» او «كوكبة القيثارة» وتعزف الآلات الموسيقية عندما يغني الموسيقار بصـوته وبعض الألات المـوسيقية يخص العرب وحدهم مثـل الكمان الذى يتصل بطبل صغير ويصنع من قشرة جوزهند وتشد عليه اوتار ثلاثة من شعر الخيل وهى آلة قبيحة المنظر مثل القيثارة اليونـانية ويعـزف على الكمـان المغنـون الذين يـرافقـون الراقصـات ويتجـولون معهـن وهنـاك آلة اخـرى يستخدمها العـرب يطلقـون عليها اسم «معربة» وهى عبارة عن قطعة من الجلد مشدودة على قشرة جوزهند وعليها شعر خيـل والكمان من هـذا النوع ينـاسب الصيحـة الحادة للمغنى الذى يغنى فى

المقاهى العامة وقد رآيت كمانا فى البصرة له وتر واحد ومركب على قشرة جوزهند بأسلوب مألوف وفى بغـداد رأيت امرأة تعزف على الطبلة بـأسلوب اوروبى كما رأيت امرأة اخرى فى الاسكندرية تعزف الطبلة بأظافر فضية .

والمصريون يحبون الآلات الموسيقية الصاخبة ولكن السكان فى جنوب افريقيا يفضلون الاصوات الناعمة وقد رأيت عند بـربـرى يسكن فى دونجـولا نـوعـا من القيثارة له صوت لطيف وكانت مكونة من قـطعة بيضـاوية من الخشب مشـدودا عليها قطعـة من الجلد والاوتار متصلة بمقبض لشدها من اجل الحصول عـلى النغم المطلوب وتعزف هذه الآلة بواسطة الاصابع او بقطعة من الجلد على شكل قوس وقام صـديقى البربـرى بالرقص اثناء عزفه عليها وقد وجدت تشابها بين هـذه القيثـارة وقيثـارة داود ويسميهـا البـربـر «كسر» ويـسمـيـهـا العـرب «الطمبورة» .

ومن بـين الآلات المـوسيقيـة اذكـر الفلاوت التركية ويسمونهـا «السلمانى» ويعـزفها الرعـاة الاتراك وهى مفتـوحة تماما دون قصب وعـزفها صعب جـدا وهـذه الآلة محبـوبـة عنـد الدراويش الاتراك «الميرلاوى» وهم يعزفونها اثناء تأدية طقوسهم الدينية وهى مصنوعة من القصب أو من الخشب الخفيف . وقـد رأيت فـلاحا فى القـاهرة عنـده فـلاوت مصنوع من قطع القصب المختلفة .

ويـوجد كـذلك فلاوت له انبـوبتـان احداهما لنفخ الهواء والاخرى لاصدار صوت عال مستمـر مثل مـزمار القـربة البلغارى . ويعرف مزمار القربة فى مصر بـاسم سمارى القـربة لكنـه ليس مثل المزمار البلغارى الذى يستخدم فى تركيا والذى يعـزف الاصوات العـالية . ومن المعروف ان الرعاة البلغاريين لديهم تذوق للمـوسيقـى الاوروبيـة ويـستـخـدم الاسيويون الطبول عند الرقص والغناء لتوفير الانسجام . وهناك طبول من انوا ع مختلفـة مصنوعـة من اخشاب دائـرية واوان فخارية مغطاة بالجلد ويعزف عليها بالاصابع والدف يعتبر من اجمل الطبول ويعـزف عليـه اثنـاء رقص النسـاء فى جناحهن والصنج ايضا يعتبر من الآلات المـوسـيقـيـة وتحـمـله الراقـصـات والمتسولون .

وقد بدأ الناس فى اوروبا يتعرفون على الموسيقى العسكرية التركية والموسيقى التى نسمعها فى الشرق مؤذية للاعصاب غير انها مـرتبطة بـالمناصب والطبقـات فالباشـا الذى يلبس ٣ سترات تسبقـه فرقة موسيقية مزودة بالآلات الموسيقية المتنوعة حسب التقاليد المتبعـة وتعزف الفرقة نوتة موسيقية عسكـرية خـاصة حسب رتبة الشخص . والآلات الرئيسية التى تستخـدم فى هذه المنـاسبـات هى البـوق ويسميه المصـريون «السـرمـة»

والطبول التركية الكبيرة التى تثبت افقيا وتضرب على الوجهين والمزمار ذو الانبوبة المزدوجة واخيرا الصفائح المعدنية التى تستخدم لتنظيم الخطوات .

الرقص الشرقي

يعتبر المسلمون المحترمون الرقص شيئا يقلل من شأنهم في المجتمع بينما تمارسه الزوجات المسلمات دون تردد ويعتبرنه من واجباتهن لارضاء ازواجهن ، وترقص الزوجات في مناسبات مثل الزواج وبعض الاحتفالات .

وقد سمعت في طرابلس من يقول ان الرقص هو تسلية النساء في الاحتفالات واظن ان نفس الشيء يتبع في تركيا والجزيرة العربية وان كنت غير متأكد من ذلك . لانه من الصعب ان تقابل شاهد عيان لكيف تتسلى النساء والمعلومات التى وفرها لى صديقى من طرابلس كانت قائمة على ما سمعه من زوجته ردا على الاسئلة التى وجهها اليها .

ولا تظهر النساء في المجالس الا اذا كن في قمة زينتهن وقد ارتدين الملابس الرائعة ، واذا اقيمت حفلة ما في منزل رجل ذى شأن تجمع حوالى ٥٠ امرأة كلهن في قمة زينتهن وتحضر النساء معهن اجمل جواريهن اللائى يحملن صناديق الملابس للسيدات . وبعد تقديم المشروبات للضيوف تأتى بعض البنات يغنين الاغانى ويعزفن على الآلات الموسيقية ، وترقص بعد ذلك ارشد النساء من الضيوف ثم تدخل احدى الغرف حيث تنتظرها جواريها فتبدل ملابسها ، وهي تخلع ملابسها كلية ما عدا غطاء الرأس والاساور وتخلع كذلك الشبشب المطرز بالخيوط الذهبية والفضية وبعد ان تبدل ملابسها تدخل الصالة مرة اخرى وتترك غرفة الملابس للسيدة التالية التى رقصت بعدها وهكذا تستمر الحفلة على هذا المنوال لدرجة ان بعضهن يغيرن ملابسهن عشر مرات في ليلة واحدة وتلبس المرأة في كل مرة رداء اجمل من سابقه بهدف جذب اعجاب المشاركات في الحفلة وتنتهى الحفلة كالمتعاد بكمية كبيرة من الحسد والحقد بين بعضهن البعض .

وقد نقلت الاغريقيات هذه العادة الشرقية وتبدل المرأة الاغريقية الملابس لاوهى الاسباب وقد قال لى صديق اوربي يقيم في القسطنطينية انه زار امرأة يونانية زوجة لأحد اصدقائه وقد غيرت ملابسها خمس مرات خلال ساعتين فقط وتشهد هذه الحقائق على ان النساء متشابهات في كل مكان بالعالم .

ولا يتبع الرجال هذه الطريقة ويقتصرون على رؤية الراقصات يرقصن اما في الملاهي او في المنازل في بعض المناسبات الخاصة . ولطبقة الراقصات اسماء خاصة في القسطنطينية والقاهرة وتنتمى الراقصات الى عائلات فقيرة وطبقة حقيرة ومنهن بنات متزوجات وغيرهن مازلن آنسات ويتم الزواج بين صفوف هذه الطبقة فقط . ورجال هذه

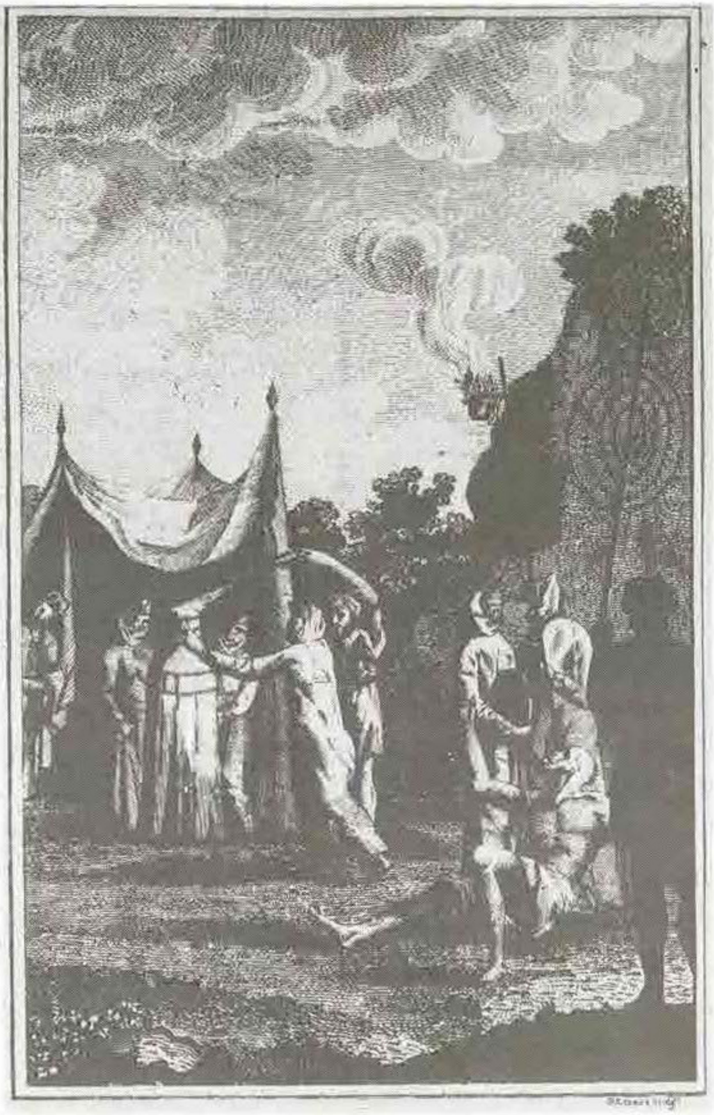
الطبقة عموما يمارسون مهنة البيطرى . ويرافق رجل واحد او عجوز الراقصات اثناء تجوالهن للاشراف عليهن ويعزف هـذا الرجل او العجـوز الكمـان اثنـاء الرقص ومعظم هؤلاء الراقصات فاجرات ورغم ذلك فليس هنـاك اى مـانـع لاى شخص من ان يقيم حفل رقص في منزله مادام يستطيع دفع التكـاليف المطلوبـة للراقصات وليس لدى الراقصات مـانـع من زيارة اي مكان مادام يدفع لهن الاجر المعروف . لكن المسلم الاعزب لا يجرؤ على اقامة حفل راقص في منزله وبالنسبة للتجـار الفرنسيـين فهناك امـر من ملك فرنسا بمنعهم من الزواج من اجنبيات . وفي البـدايـة لم نـر حفـلا راقصـا الا بالصدفة وكان ذلك في ناد خارج حـدود المدينة ولكننا شاهدنا عددا من الحفلات في ختام اقامتنا في مصر ، والبيوت التى يقيم فيهـا الاوربيون تقـع على جـانبى القناة التى تمر في وسط القاهـرة وتقام حفلات الرقص في مجرى القناة عندمـا تكـون جافـة قبل فتـح السـدود امـام الفيضان وقد انتهزنا هذه الفرصة لرؤية رقصات لفرق مختلفة واحدة بعد الاخرى وقد كنا في غاية الحزن لمغادرتنا الوشيكة للقاهرة .

وفي البداية لم تعجبنا هذه الحفلات لان المـوسيقى كـانت سيئـة وكـانت الراقصـات قبيحات المنـظر بـأيـاديهن الصفراء ووجوههن المنقطة وحليهن غير المناسبة ودهان الشعر الكريه الرائحـة ولكننا تعودنـا على التسـامح نحـو هذه الحفلات بالتدريج لانه لم يكن لدينا بديل لها ولذلك اضطررنا الى اكتشاف الجمال والرشاقة في الراقصات . وان كان ذلك في الوهم . وتصـورنا ان اصـواتهن كانت مـرضية وحـركـاتهن كـانت متنـاسقـة والموسيقى لا بأس بها رغم ان الواقع كان خلاف ذلك .

وليس هنـاك شيء غريب في مـلابس الراقصات وعند الرقص يرفعن حجابهن ويتـركنه متـدليا عـلى اكتـافهن وتلبس الراقصة تنورة تحتيه تصل الى الركبتين فقط ومفتوحة من الخلف ومثبتة بحزام واسع له زران كبيران ولا فرق في طراز الرقص سواء كان في دمشق او القاهرة وقـد رسم المستـر بـاورن لوحـة لحفلة راقصة في القاهرة يظهر منها الرجل وهو يعزف الكمان والعجوز وهي تعزف على الطبل .

والرقص والموسيقى لدى المسيحيين الشرقيين يختلفان نوعـا حسب تقاليـد الشعوب التى ينتمون اليها . وقد رأيت في الموصل رقصا لليعقوبيين النسطوريـين بمناسبة احد اعيادهم لكنهم لا يتقنون الرقص مثل اليونانيين وهم يرقصون في شكـل دائرة وعـلى رأسهم امرأة جميلة تقود الرقص . وعند البلغـاريين الرقص الشرقى لكنه من مستوى اقل من الرقص اليونانى .

ومن الافضل للانسان ان يكيف نفسه طبقا للتقاليد والافكار السـائدة في البلد الذي يعيش فـيـه لكن الاوربـيـين في القسـطنطينيـة لا يؤمنـون بهذا المبـدأ



○ عروس مصرية تزف تحت خيمة يحملها أربعة رجال .

ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم سواء كانوا في العاصمة العثمانية او في باريس اولندن وليس عندهم مسرحيات او أوبرا ولكن لديهم حفلة الرقص في كل من (بيرا) و (غلاطه) ويكره المسلمون هذه الاساليب في التسلية وهم لا يرقصون فيما عدا عدد قليل منهم معظمهم من الفقراء وينظر المسلمون الى الراقصات بكراهية وكأشخاص بلا ثقافة او اخلاق . كما يكره المسلمون كراهية تامة الاختلاط بين الرجال والنساء في الرقص المشترك ويقبحون نظام الرقص الغربي حيث يشترك فيه الرجال والنساء . فعلى الاوربيين الذين يعيشون بين المسلمين ان يحترموا تقاليدهم ومشاعرهم ويجتنبوا الممارسات التى لا يحبها الشرقيون لكى يحصلوا على احترامهم .

وقد سمعت عن مواطن تركى زار ايطاليا ايام الاحتفال بأحد اعياد الكرنفال وانه عجب من تصرفات المسيحيين هناك واعتقد انهم فقدوا سلامة عقولهم في الاحتفالات السنوية وانهم استعادوا وعيهم برمى الرماد على رؤوسهم . ولا اعرف مدى صحة هذا القول لكنه على اى الاحوال ذكر في كتاب للمؤلف مونتسكيو عن القصص الفارسية .

عروض عامة في الشرق

لم نتوقع اننا سنشاهد مسرحا في مصر . وعندما وصلنا الى القاهرة رأينا عددا كبيرا من الممثلين ومنهم مسلمون ونصارى ويهود وقد اخذوا يعرضون مهارتهم في التمثيل والألعاب ولكنهم كانوا فقراء وطلبوا مكافأة بسيطة مقابل عرضهم لمهاراتهم . وكان فناء البيت المفتوح بمثابة مسرح لهم ولم يكن يفصل بينهم وبين المشاهدين سوى ستار بدلوا وراءه ملابسهم . ومع ان التجار الاوربيين عاشوا مدة طويلة في القاهرة الا انه لم تتح لهم فرصة مشاهدة مسرح مصري فرتبنا عرضا لفرقة فنية في منزل ايطالى متزوج ولكن العرض لم يكن مشوقا من حيث الموسيقى او شخصيات الممثلين .

وكان الحوار الروائى بالعربية ولم يكن لدى المام بهذه اللغة بقدر كاف لافهم الحوار فشرح لى بعضهم القصة وكان الدور الرئيسى في المسرحية لامرأة وقد قام رجل بدور المرأة ووجد صعوبة كبيرة في اخفاء لحيته . وكانت المسرحية عبارة عن محاولة من المرأة لجذب السياح الى خيمتها حيث تعرض السائح للضرب والجلد والطرد فيما بعد من الخيمة . ويتكرر نفس التصرف عدة مرات حتى يأتى تاجر شاب يعرب عن ضجره حول تكرار حيلة المرأة المسرحية ويشاركه المشاهدون الاخرون هذا النقد وتضطر الفرقة لانهاء العرض وهو ما زال في منتصفه .

وتندر المسرحيات في مصر بينما تكثر عروض الدمى المتحركة حتى في الشوارع حيث تعرض على منصة صغيرة يمكن

لرجل ان ينقلها بسهولة وتدخل فيها الدمى كلها وتوجد ثقوب في غطاء الصندوق لحركة الاصابع وتعلق الدمى بالخيوط وتحرك الاصابع الدمى من داخل الثقوب ويستخدم الرجل الذي يحرك الدمى جهازا يضعه في فمه حتى يمكنه من تغيير صوته حسب شخصيات الدمى . والدمى الموجودة بالقاهرة رديئة جدا ولا تجذب الانظار ، وعلى العموم تبدأ الدمى بتبادل التحية ثم يبدأ الشجار بينها بالتدريج وتنهي اللعبة بان يضرب بعضها البعض .

ويحب الشرقيون الفانوس السحرى كوسيلة للتسلية ولم اكن معجبا به لانه كان عبارة عن سخرية من ملابس الاوربيين وتقاليدهم . والشعوذة مقبولة لدي الناس في مصر ويعبر الناس عن اعجابهم بها الا انها لا تنال اعجاب الاوربيين بهذه السهولة . ويعجب الناس بالنافورة المتقطعة التى تتدفق او تهبط حسب ارادة المحتال لانهم لا يعرفون سرها ويجمع الساحر تبرعات المشاهدين وهي كلها لا تجمع سوى مبلغ تافه لا يكفيه لكى يعيش .

وعروض القردة التى ترتدى الملابس يجذب اهتمام المشاهدين وتوجد القردة بكثرة في غابات اليمن والقرد حيوان ذكى ومستأنس للغاية ومن طبيعته انه يحب الرقص وقد اخبرنى احد الضباط من رتبة الكابتن في شركة الهند الشرقية انه جرب مرات عديدة عزف الموسيقى العسكرية بالقرب من المعابد البوذية المهجورة التى تسكن بها مئات القرود وقد خرجت القرود ومنها أمهات تحمل صغارها على الفور لترقص مسايرة اللحن .

واصحاب القرود لا يحبون الباسها الثياب الشرقية بل يلبسونها الملابس الغربية . وهكذا تزيد كراهية الشرقيين لتقاليد الغربيين وفي رأي الشرقيين ان الاوربي في ثيابه الغربية وهو يحمل سيفه في وضع افقى وحاسر الرأس يشبه قردا بذيله في نفس الوضع .

وهناك من يعرض حيوانات اخرى كالحمار والخروف بعد تدريب هذه الحيوانات على تأدية بعض الحركات المضحكة كما رأينا رقص الثعابين بدهشة وعرفنا ان الثعبان يبدى استجابة لضرب الطبول ويرفع رأسه ويرقص . وقد رأيت منظرا غريبا في احد الايام عندما نظرت الى متسول في شوارع القاهرة وهو يحمل سلسلة ضخمة وثقيلة وادعى بانه كان سجينا في مالطه واضطر الى حمل تلك السلسلة لكى يجذب عطف الناس عليه . وروى للناس بصوت رقيق المحن التى تعرض لها وهو يعامل في سجن الاوربيين كالرقيق وكان الامر الذي أثار غضب الناس هو قوله انه اضطر الى ان يعيش مع الخنازير في نفس الحظيرة طوال الليالى . واستمع العقلاء الى قصته بشيء من الاشمئزاز وقد ادركوا حقيقة نصبه الا انه نجح في خلق مشاعر العداء نحو المسيحيين بين الجمهور .

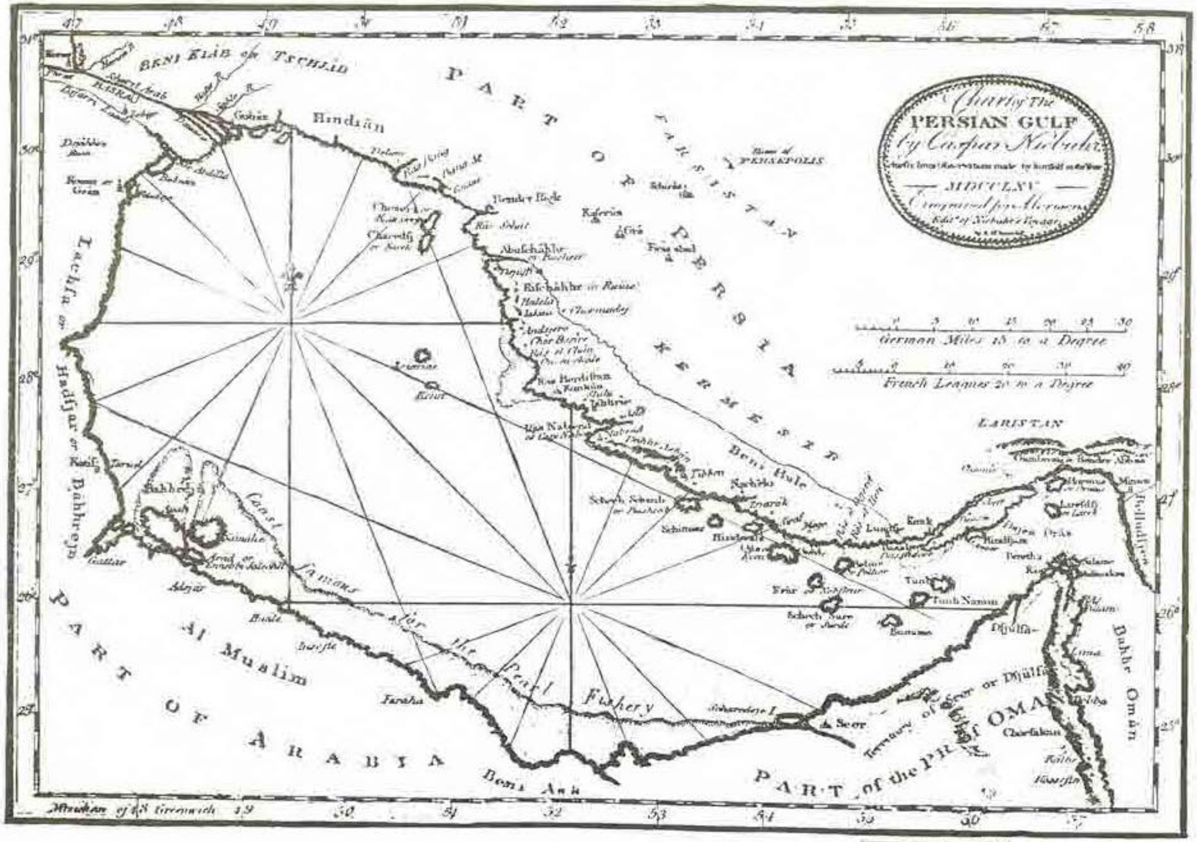
الزواج لدى المصريين

لم اتمكن من الحصول على معلومات خاصة عن مراسم الزواج عند المصريين لان جناح النساء يقع في مكان منعزل من اى بيت وكل ما يحدث فيه محوط بالغموض والاسرار . ولا يسعنى الا ان أصف موكبا رأيته في القاهرة بمناسبة الزواج . وقد رسم المستر باورن فيزر صورة له .

سارت العروس وهى مغطاة من الرأس الى القدمين تحت ظلة رفعها فوقها اربعة رجال وكانت هناك امرأتان تسيران الى جانبيها وكان يسير امام العروس عدد من الارقاء يعزف بعضهم الكمان ويحمل بعضهم مرشات يرش منها الماء المعطر وسار بعدهم النساء والمغنون وهم يركبون الحمير ومعهم عدد من الخدم يعرضون لياقتهم البدنية في اعمال بهلوانية ، وفجأة تصرخ النساء « تو . تو . تو » من الفرح وهو تقليد عندهم . وفي حالة سير الموكب ليلا يحمل العبيد المشاعل ، وفي احد الايام قابلنا موكبا لعروس عربية بالقرب من الاسكندرية وكانت تركب جملا ووراءها المواشى وقطع الاثاث وكلها تشكل جزءا من المهر وكان سير الموكب بطيئا ويتوقف من حين لآخر ويصحبه عزف الموسيقى واطلاق النار من البنادق .

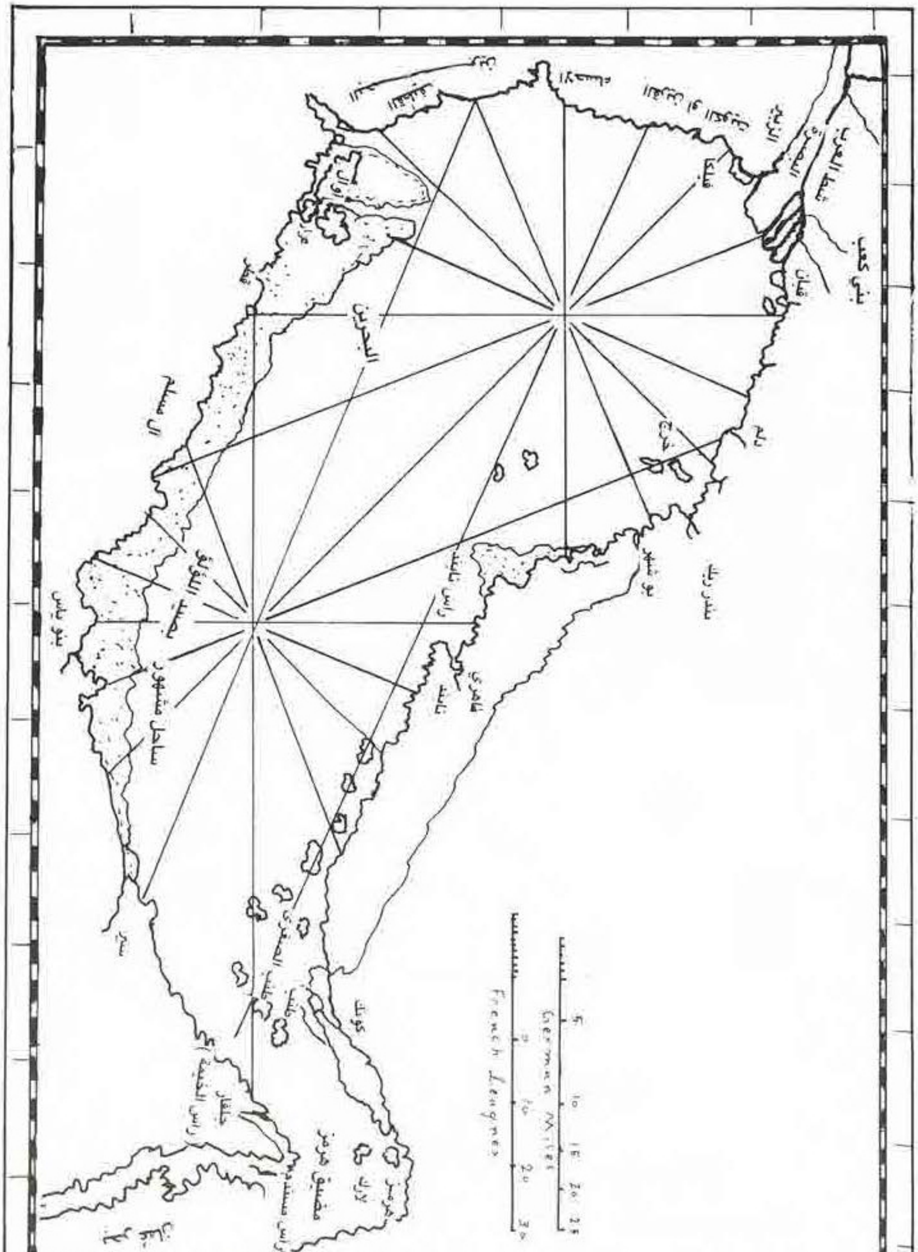
خرائط قديمة

الخرائط القديمة بالاضافة الى انها احد المصادر الرئيسية لعلماء الجغرافيا فانها مصدر رئيسى لعلماء التاريخ ووثائق تكاد تكون مؤكدة للمهتمين بالدراسات السياسية والاقتصادية والأجتماعية .. وقد حرص الجغرافيون القدماء على حشد الكثير من التفاصيل فى مصوراتهم وهى التفاصيل التى تعتبر الآن كنزا من المعلومات خاصة والكثير من الحدود قد تغيرت والكثير من الدول والممالك قد تلاشت بل ان مئات المدن والقرى أصبحت فى طى النسيان ان لم تكن قد انمحت تماما بعد ان طواها الزمن لدرجة ان قراء التاريخ الآن يطالعون فى الابحاث والدراسات التى تتناول الاحداث فى فترة مضت كثيرا من اسماء الاماكن لا يجدونها فى الكثير من الخرائط المعاصرة اما لانها لم يعد لها وجود واما لان الاسماء نفسها دخل عليها بعض التغيير .. وحرصا من الوثيقة على ان تقدم لقرائها المعلومات المتكاملة بقدر الامكان فاننا ننشر فى هذه الصفحات عددا من الخرائط القديمة التى رسمها رحالون قدماء لمنطقة الخليج منذ أكثر من ٢٥٠ عاما . وقد حرصنا التزاما بالامانة العلمية ان ننشر الاصل ثم ننشر مقابله صورة مبسطة له حتى يستطيع القارىء الالمام بما جاء فى الخريطة الاساسية من ملامح رئيسية قد لا تظهر بوضوح وسط التفاصيل الكثيرة التى تضمنتها الخريطة الاصلية .



NEIBUHR'S MAP OF THE PERSIAN GULF

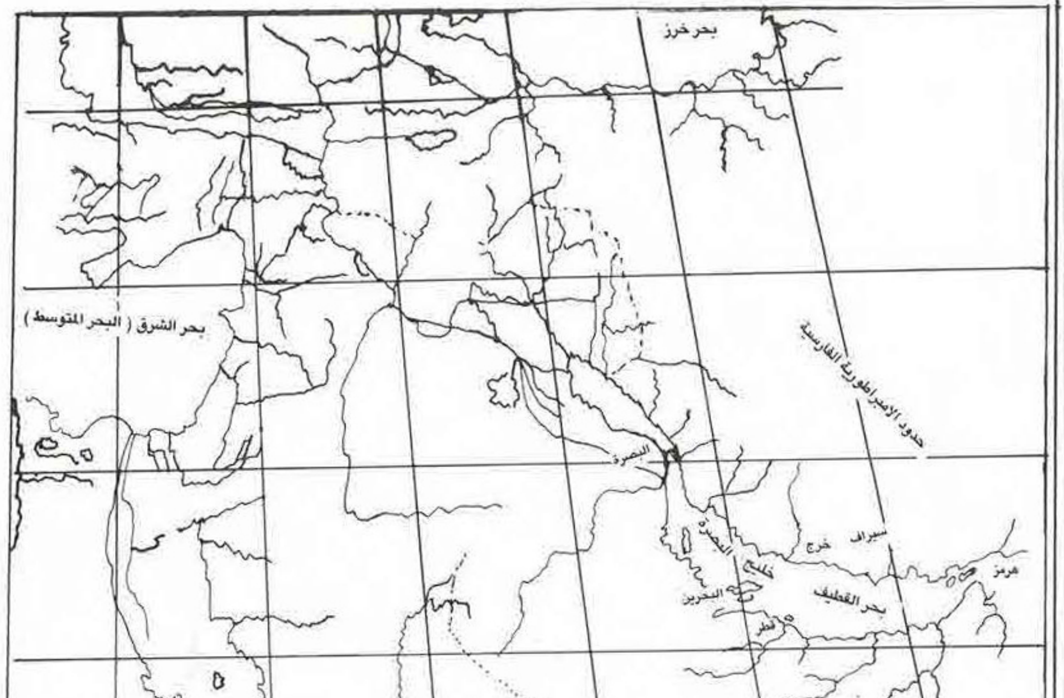
خريطة رسمها الرحالة نيبور عام ١٧٦٥م - ١١٧٩هـ



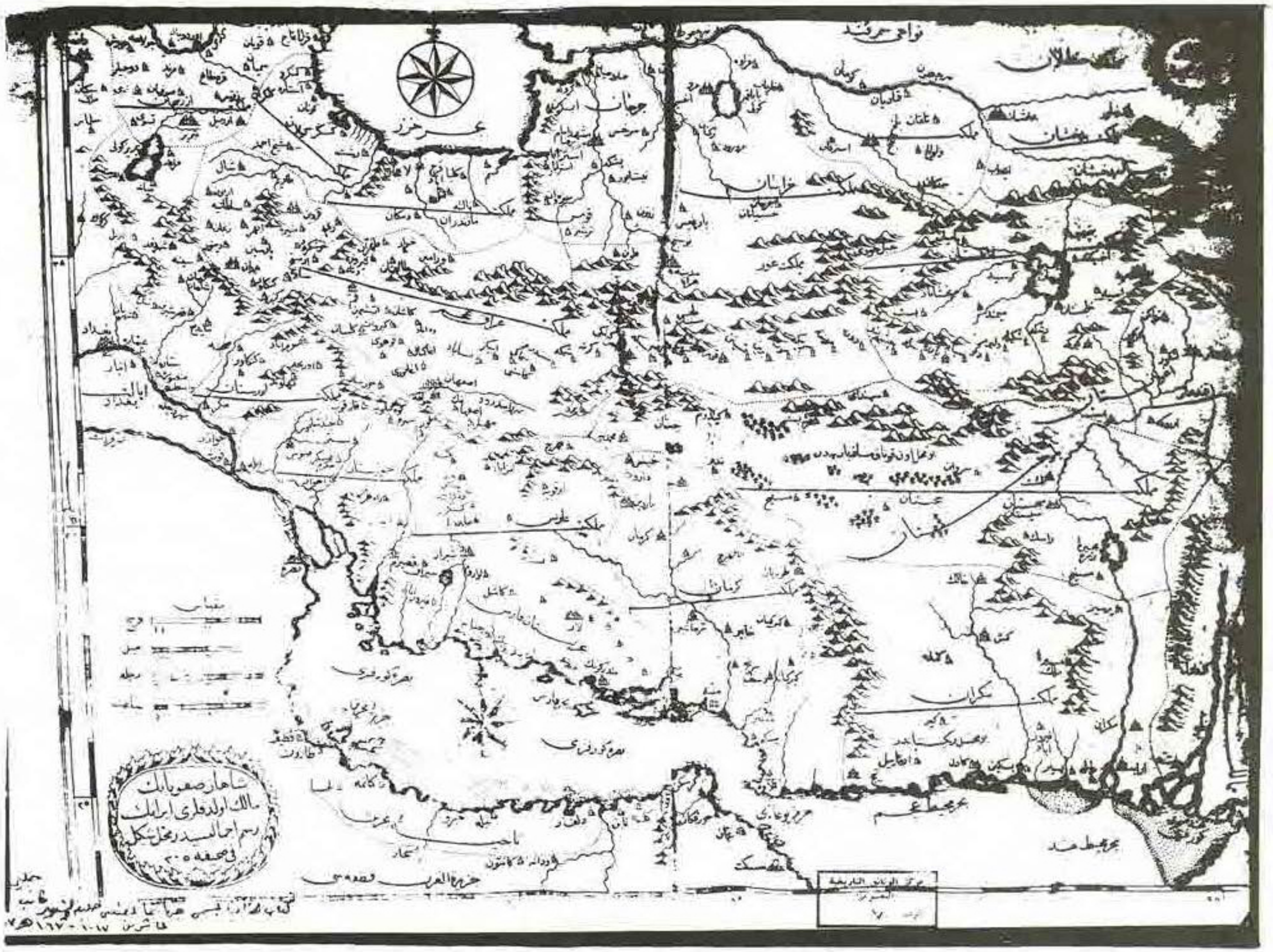
الوثيقة ـ ٢٠١



خريطة عثمانية رُسمت عام ١٧٧٠م - ١١٨٤هـ



الوثيقة ـ ٢٠٣



خريطة من كتاب الجغرافيا المسمى (جهانما) لمصطفى خليفة الشهير بكاتب جلبي ،
عاش بين ١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ الموافق ١٦٥٦م